

تحقيق ودراسة
الدكتور السيد محمد عيسى



للإمام الطبري

وفيليه



دار الأمان للنشر

لأم ابن تيمية

استشهاد الحسين

استشهاد الحسين

للإمام أبي جعفر محمد بن جابر الطبري
المتوفى ٣١٠ هـ

تحقيق ودراسة
الدكتور السيد نجمي

دار البيان للتراث

بِجَمْعِ الْمُتَوَفَّرِ مَحْفُوظَةٍ
لِدَارِ الْكِتَابِ الْعَرَبِيِّ
بِمَدِينَةِ

الطبعة الثانية
١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

دار البيان للتراث

جمهورية مصر العربية
الإدارة : ٣٥٠ شارع الأهرام - الجيزة - تليفون : ٨٥٤٦٨٧

ولهمك

إليك... يا ابن أخت طالب...
بما لك من سوابق الخير، وفضائل السبق
إلى السلام ومناقب أهل البيت التي انجلت
فيك كوارطة العقد العظيم، أرجو أن تقبل
هذه الرسالة إلى مقامك السني الرفيع
ودرجتك العالية في دار البقاء مني من
دار الفناء .

وہا

”اللهم اغفر لنا بذکرکے ، وأغفرنا من سخطکے ،
وأولجنا إلى عفوکے ، فقد ضلّ خلقکے
برزقکے ، فلا تسفلنا بما عندهم عن طلب
ما عندکے ، ورغبنا عن دنیا ورغبنا فی
فی الآخرة وزودنا لها بالتقوی“ .

تقديم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين . . . وبعد

لقد تعرضت أمة الإسلام بعد انتقال رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى إلى فتن قاصمة ونوائب داهمة كادت تودي بالدولة الإسلامية لولا أن الله سبحانه وتعالى أراد لها البقاء والقوة والمنعة .

والفتن الذي لا يرتق والثلمة التي لم تسد والصدع الذي لم يرأب إنما جرح الأمة الإسلامية في فلذة كبدها ولا تزال تتألم من الماراة والحسرة والحدب ، إنه مقتل الإمام الحسين بن علي رضي الله عنه في لحظة من أحرج اللحظات وأصعبها على أمة الإسلام والمسلمين .

ولم يختلف المؤرخون بل والناس مثلما اختلفوا في مقتل الحسين رضي الله عنه ، ولكن مهما كان الاختلاف له أو عليه إنما الجرم لا يغسل أدرانته أنهار الدنيا جميعاً إلى يوم القيامة إنه الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأمه السيدة فاطمة الزهراء ابنة الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام .

وقد روى الشيخان عن رسول الله ﷺ قوله : - « فاطمة بضعة - وفي رواية

بضعة - منى « (١) .

وأن الأنساب تنقطع يوم القيامة غير نسب رسول الله ﷺ وسببه وصهره .
وكان حب النبي عليه الصلاة والسلام للحسن والحسين يفوق كل وصف
ويروى على كل تقدير وهو القائل : - الحسن مني والحسين من علي « (٢) .
وقد روى الترمذي مرفوعاً حسنه عن يعلى بن مرة الثقفي وكذلك ابن
ماجه في سننه قوله ﷺ : - « حسين مني وأنا من حسين » (٣) .

وهذا فضل لا ريب فيه ومنه وكرم لابن بنت رسول الله ﷺ ، ونحن أولى
الناس أجمعين بعرفان هذا الفضل لأنه سنة من سنن نبينا عليه أفضل الصلاة
والسلام .

والنظرة التاريخية الفاحصة بعيداً عن الشطط أو الإغراق أو المغالاة تجعلنا
في حيرة-أي حيرة-لأن كل فريق له رأيه وله حجته فيما انتهى إليه ، وعلينا أن
ندعو لهم ونستغفر الله لنا ولهم ، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا
بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم .

والحسين كان مصرراً على عدم مبايعة يزيد لأنه أحق بالخلافة منه لقربه من
رسول الله ﷺ ، ثم إنه كان قدوة صالحة طيبة وغودجاً للإمام العادل الصادق
القوي في الحق .

(١) وفي زيادة (فمن أغضبها أغضبني) والحديث رواه أحمد والحاكم والبيهقي بلفظة
(بضعة) ، راجع كشف الخفا للعجلوني (١١٢/٢)

(٢) ذكر الشعراني في البدر المنير بغير عزو ، وفيه قال العللاء لأن الحسن كان الغالب عليه الحلم كجده
ﷺ . هـ . كما أن الغالب على الحسين الجرأة والإقدام فالشبه معنوي وقيل صوري . كشف
الخفا (١١٢/٢) .

(٣) : وقد ذكر السيوطي في الجامع الصغير (١٤٨/١) قوله ﷺ : - « حسين مني وأنا منه ، أحب
الله من أحب حسينا ، الحسن والحسين سبطان من الأسباط » البخاري في الأدب المفرد ،
والترمذي وابن ماجه والحاكم وحسنه السيوطي . هـ . .

راجع ترجمة الحسين بن علي رضي الله عنه في تهذيب ابن عساكر (٣١١/٤) وخطط علي مبارك
(٩٣/٥) وابن الأثير (١٩/٤) واليعقوبي (٢١٦/٢) وصفة الصفوة (٣٢١/١)

ولكن الوارد أن معاوية أخذ البيعة ليزيد على رءوس الأشهاد إذ حمد الله وأثنى عليه ثم قال : لقد علمتم سيرتي فيكم ، وصلتي لأرحامكم ، وصفحني عنكم ، وحملني لما يكون منكم ، ويزيد ابن أمير المؤمنين أخوكم ، وابن عمكم وأحسن الناس لكم رأياً ، وإنما أردت أن تقدموه باسم الخلافة ، وتكونوا أنتم الذين تنزعون وتؤمرون ، وتحبون وتقسمون لا يدخل عليكم في شيء من ذلك (١) .

ومع ذلك وبالرغم من كل ذلك فإن الأمر لا يخلو من الغموض الشديد الذي يكتنفه الإبهام ، فقد احتوشته أقوال كثيرة مختلطة ضاعت بينها الحقائق التي أصبح الوقوف عليها متعذراً ونحن هنا نعرض الآراء جميعاً ثم نناقشها بالمنطق العلمي والرأي السديد .



يقول القاضي أبو بكر بن العربي في كتابه الشهير (العواصم من القواصم) ص ٢٢٢ : « فعدل - أي معاوية بن أبي سفيان - إلى ولاية ابنه وعقد له البيعة . وبإيعه الناس ، وتخلّف عنها من تخلّف ، فانعقدت البيعة شرعاً ، لأنها تنعقد بواحد وقيل باثنين (٢) .

فإن قيل إن من شروط الإمامة العدالة والعلم ، ولم يكن يزيد عدلاً ولا عالماً ، فإن الحكم في ذلك متعذر ، كما أن إمامة المفضول موضع جدل وخلاف بين العلماء (٣) .

وقد اکتروا القول على يزيد ورماء بعضهم بالمنكرات فقليل إنه كان خاراً فإن ذلك لا يحل إلا بشاهدين ، فمن شهد بذلك عليه ؟ وقد روى يحيى بن

(١) راجع العواصم من القواصم للقاضي أبي بكر بن العربي المتوفى سنة ٥٤٣ هـ بتحقيق محب الدين الخطيب ط السلفية ص ٢٢٢ - ص ٢٢٤ .

(٢) وقد ذكر ابن حزم في كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل) (١٢٩/٤ - ١٣١) ط . السلام العالمية كيفية انعقاد البيعة وشروطها فعرضها عرضاً دقيقاً فأرجو الرجوع إليها .

(٣) راجع ابن كثير في البداية والنهاية ط . دار الفكر العربي ج ٨ ص ٢١٩ .

بكبر عن الليث بن سعد ، قال الليث ، « توفي أمير المؤمنين يزيد في تاريخ كذا » فسماه الليث أمير المؤمنين بعد ذهاب ملكهم وانقراض دولتهم ، ولولا كونه عنده كذلك ما قال إلا توفي يزيد .

وقد روى الثبت العدل عن عبد الرحمن بن مهدي ، عن سفيان عن محمد ابن المنكدر قال : قال ابن عمر حين بويع يزيد « إن كان خيراً رضيينا ، وإن كان شراً صبرنا » (١) .

وقد رأيت أكثر الشيعة مغرقين في حملهم على يزيد بأقوال كثيرة متضاربة لا تصدق (٢) وأغلبها مكذوب مفترى كذلك فلان ابن العربي وإن كان دقيقاً في بحثه وتحرياته إلا أن القارئ قد يشعر بميوله إلى بني أمية ، ومنافحته عن يزيد (٣) في كثير مما احتو من الإتهامات .

وإن الحيرة والدهشة لتأخذنا عندما نبحث ونحقق هذه الأمور ممن عاصروها ومن كانوا قريبي الصلة بها .

تأمل قول ابن كثير في وصف يزيد بن معاوية : -

« وكان يزيد فيه خصال محمودة من الكرم والحلم والفصاحة والشعر والشجاعة وحسن الرأي في الملك ، وكان ذا جمال حسن المعاشرة ، وكان فيه أيضاً إقبال على الشهوات وترك بعض الصلوات في بعض الأوقات ، وإماتتها في

(١) العواصم من القواصم ص ٢٢٥ ، ص ٢٢٦ بتصرف .

(٢) وقد ورد أن عبد الله بن مطيع مشى هو وأصحابه إلى محمد بن الحنفية (محمد بن علي بن أبي طالب) في المدينة فأزاده على خلع يزيد فأبى عليهم ، فقال ابن مطيع : إنه يشرب الخمر - أي يزيد - ويشرك الصلاة ، ويتعدى حكم الكتاب ، فقال لهم : ما رأيت فيه ما تذكرون ، وقد حضرته وأقمت عنده ، فرأيت موافقاً على الصلاة متحريراً للخير ، يسأل عن الفقه ، ملازماً للسنة . وهذه الشهادة من الثقة العدل ابن الحنفية رضي الله عنه لها التقدير والاعتبار .

وأرجو أن ترجع إلى ترجمة ابن الحنفية في وفيات الأعيان لابن خلكان (٣/٣١٠)

(٣) راجع ترجمة يزيد بن معاوية في الطبقات الكبرى لابن سعد (٦/٢٥٠) ومنهاج السنة (٢/٢٣٧ - ٢٥٤) وابن الأثير (٤/٤٩) ومختصر تاريخ العرب (٧١ - ٧٦) واليعقوبي (٢/٢١٥) وجمهرة الأنساب (١٠٣) ويلغة الظرفاء (١٩) والمسعودي (٢/٦٧) وما بعدها .

غالب الأوقات « (١) .

وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا الحكم بن موسى ثنا يحيى بن حمزة عن هشام بن الغاز عن مكحول عن أبي عبيدة ، أن رسول الله ﷺ قال : - « لا يزال أمر أمي قائماً بالقسط حتى يثلمه رجل من بني أمية يقال له يزيد » (٢) .
وقد ورد أنه ﷺ قال : - « أول من يغير سنتي رجل من بني أمية » عن أبي ذر ، رواه ابن خزيمة عن بندار عن عبد الوهاب (٣) .

وقد أورد ابن عساكر أحاديث في ذم يزيد بن معاوية كلها موضوعة لا يصح منها شيء ، وأجود الأحاديث في موضوعها ما أورده ابن كثير في تاريخه على ضعف أسانيده ، وانقطاع بعضه والله أعلم بالصواب . والحقيقة المرة أن قتل الحسين فجيرة لا نظير لها ولا مثيل لفظاعتها استبشعها البر والفاجر والخب والليث .

وقد ذكر ابن كثير في تاريخه أن ابن زياد لما قتل الحسين ومن معه بعث براء وسهم إلى يزيد ، فسُرُّ بقتلهم أولاً وحسنت بذلك منزلة ابن زياد عنده ، ثم لم يلبث إلا قليلاً حتى ندم ! فكان يقول : - « وما كان عليّ لو احتملت الأذى وأنزلته في داري وحكمته فيما يريد ، وإن كان في ذلك وكف (٤) ووهن في سلطاني (٥) ! حفاظاً لرسول الله ﷺ ورعاية لحقه وقربته ، ثم يقول : - « لعن

(١) البداية والنهاية (٢٤٩/٨ ، ٢٥٠) بتصرف .

(٢) وهذا الحديث منقطع بين مكحول وأبي عبيدة ، بل معضل وقد رواه ابن عساكر من طريق صدقة بن عبد الله الدمشقي عن هشام بن الغاز عن مكحول عن أبي ثعلبة الخشني عن أبي عبيدة عن رسول الله ﷺ قال : - « لا يزال أمر هذه الأمة قائماً بالقسط حتى يكون أول من يثلمه رجل من بني أمية يقال له يزيد » .

(٣) والحديث رواه البخاري في التاريخ ، وأبو يعلى عن محمد بن المثني عن عبد الوهاب ، ثم قال البخاري : والحديث معلول ولا نعرف أن أبا ذر قدم الشام زمن عمر بن الخطاب . راجع البداية والنهاية (٢٥٠/٨) .

(٤) الكف : الضعف والذلة والإثم والعار .

(٥) وأقول إن الندم هنا ظاهري ولو كان حقيقياً لعاقب عبيد الله بن زياد وعمر بن سعد وشمر بن ذي الجوشن ، ولو فرض أن الندم كان حقيقياً فهو لشعوره بأنه آذى شعور المسلمين واكتسب سخطهم إلى يوم القيامة فالندم ليس من الجريمة نفسها .

الله ابن مرجانة فإنه أخرجـه واضطره ، وقد كان سأله أن يخلي سبيله أو يأتيـني ، أو يكون بثغر من ثغور المسلمين حتى يتوفاه الله ، فلم يفعل ، بل أبى عليه وقتله ، فبغضني بقتله إلى المسلمين ، وزرع في قلوبهم العداوة فبغضني البر والفاجر بما استعظم الناس من قتلي حسينا ، مالي ولا بن مرجانة قبـحه الله وغضب عليه (١) .



وفي يقيني أن أمر النزاع بين الحسين ويزيد يجب الإمساك عن الخوض فيه لأن هذا أفضل من الكلام لأن الحق لم يصرح عن محضه .

وصفوة القول أن الحسين قد أفضى إلى ربه شهيداً مجاهداً من أجل انتشال الأمة من كبوتها وعثرتها ولكن الشهادة سعت إليه وهو يذب عن شرف أمته وكرامتها من وجهة نظره وطالما أخلص النية فإن جزاءه عليها ينتظره في جنات النعيم رضي الله عنه ، وأرضاه وألحقنا بالصالحين في دار المقامة (٢) . آمين .



وعن حياة إمام وسيد الشهداء الحسين بن علي رضي الله عنه قال ابن عبد البر عنه في الإستيعاب : قتل الحسين يوم الجمعة وقيل يوم السبت العاشر من المحرم - لعشر مضيـن من المحرم - بموضع يقال له كربلاء من أرض الكوفة ويعرف بالطف أيضاً وعليه جبة خز دكناء ، وهو ابن ست وخمسين سنة ، قاله نسابة قريش الزبير بن بكار ، ومولده لخمس ليالٍ خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة ، وفيها كانت غزوة ذات الرقاع وفيها قصرت الصلاة ، وتزوج رسول

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٢٥١/٨) بتصرف . وإننا لا ندري هل كان هذا الكلام من قلب يزيد ومن داخل طويته أم أنها سياسة عمد بها إلى تصحيح موقفه بعد فوات الأوان ومهما كان من أمر فإن الثلمة لا تسد والفتق لا يرتق .

(٢) وعن هذا الصراع الدموي الأليم العنيف بين الحسين ويزيد أقول : (يفصل الله بينهم يوم القيامة) فإني لا أجرو - بما توافر لدي من آراء وأبحاث ومراجع - على القول بغير هذا عفا الله عنا وعنهم .

الله ﷺ أم سلمة واتفقوا على أنه قتل يوم عاشوراء العاشر من المحرم سنة إحدى وستين ويسمى عام الحزن ، وقتل معه اثنان وثماتون رجلاً من الصحابة مبارزة (١) .

يقول ابن حجر العسقلاني في كتابه الشهير الإصابة في تمييز الصحابة : - « الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف الهاشمي أبو عبد الله ، سبط رسول الله ﷺ وريحانته ، قال الزبير وغيره ، ولد في شعبان سنة أربع وقيل سنة ست ، وقيل سنة سبع ، وليس بشيء .

قال جعفر بن محمد : لم يكن بين الحمل بالحسين بعد ولادة الحسن إلا طهر واحد ، قلت : إذا كان الحسن ولد في رمضان ، وولد الحسين في شعبان ، احتمال أن يكون ولدته لتسعة أشهر ، ولم تطهر من النفاس ، إلا بعد شهرين .

«وقد حفظ الحسين أيضاً عن النبي ﷺ ، وروى عنه ، أخرج له أصحاب السنن أحاديث يسيرة» (٢) ١ . هـ .

ثم يقول ابن حجر العسقلاني : - « وقد صنف جماعة من القدماء في مقتل الحسين تصانيف فيها الغث والسمين ، والصحيح والسقيم ، وقد صح عن إبراهيم النخعي أنه كان يقول : - لو كنت فيمن قاتل الحسين ثم دخلت الجنة لاستحييت أن أنظر إلى وجه رسول الله ﷺ » (٣) .

قال حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار ، عن ابن عباس : رأيت رسول الله ﷺ فيما يرى النائم نصف النهار أشعث أغبر ، بيده قارورة فيها دم ، فقلت بأبي وأمي يا رسول الله ما هذا ؟ قال : هذا دم الحسين وأصحابه ، لم أزل ألتقطه منذ اليوم ، فكان ذلك اليوم الذي قتل فيه .

وعن عمار عن أم سلمة : سمعت الجن تنوح على الحسين بن علي ، قال

(١) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للإمام القرطبي رحمه الله ط . دار الكتب العلمية بيروت لبنان (٢/٢٦٤ ، ٢٦٥) بتصرف .

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة لشيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني (٢/٢٤٨) ط . الكليات الأزهرية .

(٣) المرجع السابق نفسه (٢/٢٥٢ ، ٢٥٣) بتصرف .

الزبير بن بكار نَسابة قريش قتل الحسين يوم الأحد لعشر مضين من المحرم بموضع من أرض الكوفة يقال له كربلاء ويعرف بالطف أيضاً وعليه جبة خبز دكنا وهو ابن ست وخمسين سنة ، ومولده لخمس ليال خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة وفيها كانت غزوة ذات الرقاع وفيها قصرت الصلاة وتزوج رسول الله ﷺ أم سلمة (١) .

واختلفت الأقوال في يوم قتله فالبعض قال قتل يوم الجمعة وقيل يوم السبت العاشر من المحرم والأصح الأول .

واتفق على أنه قتل يوم عاشوراء العاشر من المحرم سنة إحدى وستين وكذا قال الجمهور وشذ من قال غير ذلك (٢) ، وكان يوم الجمعة هو يوم عاشوراء (٣) .

ومن فضائل الإمام الحسين بن علي رضي الله عنه ما رواه أبو أحمد عن أبي حازم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « من أحبهما فقد أحبني ، ومن أبغضهما فقد أبغضني » يعني حسناً وحسيناً .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا أسود بن عامر وعفان ، عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن أنس ، أن رسول الله ﷺ « كان يمر ببيت فاطمة ستة أشهر إذا خرج لصلاة الفجر فيقول : الصلاة يا أهل البيت » .

« إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » (٤) وقد رواه الترمذي عن عبد بن حميد عن عفان به (٥) .

عن بريدة عن أبيه قال : « كان رسول الله ﷺ يُحطِّبنا إذ جاء الحسن

(١) التذكرة للقرطبي (٢/٦٦٤ ، ٦٦٥) بتصرف نقلاً عن الإستيعاب لابن عبد البر .

(٢) الإصابة لابن حجر (٢/٢٥٣) .

(٣) العقد الفريد لابن عبد ربه (٤/٣٨٠) وهو يؤيد الإجماع .

(٤) الأحزاب (٣٣/٣٣) راجع تفسير الآية الكريمة في مختصر ابن كثير (٣/٩٤) والكشاف للزمخشري (٣/٤٢٥) وصفوة التفاسير (٢١/١١٢٠) .

(٥) وقال الترمذي : « غريب لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة » ا . هـ .

والحسين وعليهما قميصان أحمران ، يمشيان ويعثران ، فنزل رسول الله ﷺ عن المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال : صدق الله : إنما أموالكم وأولادكم فتنة (١) . نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران ، حتى قطعت حديثي ورفعتهما (٢) .

وقد صح عنه ﷺ أنه قال : « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » رواه الترمذي من حديث سفيان الثوري وغيره عن يزيد بن أبي زياد وقال : حسن صحيح (٣) .

وقال محمد بن سعد أنبأنا قبيصة بن عقبة ، ثنا يونس بن أبي إسحاق ، عن العيزار بن حريث قال : بينما عمرو بن العاص جالس في ظل الكعبة ، إذ رأى الحسين مقبلاً فقال : هذا أحب أهل الأرض إلى أهل السماء وقال الزبير بن بكار نسبة قريش : حدثني سليمان بن الدراوردي عن جعفر بن محمد عن أبيه « أن رسول الله ﷺ بايع الحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر وهم صغار لم يبلغوا ولم يبايع صغيراً إلا منا » (٤) .

وقد حج الحسين خمساً وعشرين حجة ماشياً ، ونجائبه تقاد بين يديه وروى آخر أن الحسين بن علي حج خمساً وعشرين حجة ماشياً ونجائبه تقاد وراءه (٥) .



(١) التغابن (١٥/٦٤) وقدم على الأولاد المال لأن فتنة المال أشد . راجع الصابوني (١٥٦٤/٢٨) البداية والنهاية (٢٢٢/٨) .

(٢) وهذا لفظ الترمذي وقال « غريب لا نعرفه إلا من حديث الحسين بن واقد » ا . هـ .

(٣) وقد تكلم المحيي في كتابه (الجنتين) على هذا الحديث بإسهاب ، ومما قاله فيه : ويرد على هذا الزام سيادتهم المرسلين لأنهم داخلون في هذا التأويل ، وجوابه أنه عام خصص بالإجماع ، فإن المرسلين أفضل من غيرهم باتفاق . راجع حاشية كشف الخفا للعجلوني (٤٢٩/١) ط . التراث الاسلامي حلب .

(٤) وهذا حديث مرسل غريب كما قال ابن كثير (٢٢٥/٨) .

(٥) قال ابن كثير في البداية والنهاية (والصواب أن ذلك إنما هو الحسن أخوه ، كما حكاه البخاري) ا . هـ .

ومن مناقب الإمام الحسين بن علي^(١) رضي الله عنه إثارته لأخيه الحسن أنه جرى بينهما كلام فتهاجرا ، فلما كان بعد ذلك أقبل الحسن على الحسين ، فأكب على رأسه يقبله ، فقام الحسين رضي الله عنه فقبله أيضاً ، وقال « إن الذي منعتني من ابتدائك بهذا - أني رأيت أنك أحق بالفضل مني ، فكرهت أن أنازعك ما أنت أحق به مني »

وحكى الأصمعي عن ابن عون ، أن الحسن كتب إلى الحسين يعيب عليه إعطاء الشعراء . فقال الحسين : إن أحسن المال ، ما وقى العرض .

وقد أورد الطبراني في معجمه الكبير في ترجمة الحسين قصيدة للفرزدق قالها في الحسين بن علي وهو يطوف بالبيت وأراد أن يستلم فما وسع له الناس فقال رجل : يا أبا فراس ! من هذا فأجاب الفرزدق^(٢) :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته	والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم	هذا التقى النقي الطاهر العلم
يكاد يمسه عرفان راحته	ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
إذا رآته قریش قال قائلها	إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
يغضي حياءً ويغضي من مهابته	فما يكلم إلا حين يبتسم
في كفه خيزران ريحها عبث	بكف أروع في عرينه شمم
مشتقة من رسول الله نسبته	طابت عناصره والخيم والشمم

(١) راجع الطبقات الكبرى لابن سعد (٢٧٨/٨ - ٢٧٩) بتحقيق إحسان عباس ط . دار صاير بيروت .

(٢) لعل الفرزدق يكون قد قالها في علي بن أبي طالب وليس في الحسين فإن الفرزدق لم ير الحسين إلا وهو مقبل إلى الحج والحسين ذاهباً إلى العراق ، فسأل الحسين الفرزدق عن الناس خلفه فضمه الفرزدق إلى صدره وقبله وقال :

أعطاك الله سؤالك وأملك فيما تحب . ثم قال الفرزدق : قلوب الناس معك ، وسيوفهم مع بني أمية ، والقضاء ينزل من السماء والله يفعل ما يشاء . . .

والوارد - حسب الروايات الوثيقة التي بين أيدينا - أن الحسين بن علي رضي الله عنه قد قتل بعد مفارقتة للفرزدق بأيام قليلة ، فمتى رآه الفرزدق وهو يطوف بالبيت ؟ ولا سيما أنه لم يحدث لقاء بينهما قبل ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم .

لا يستطيع جوادٌ بعد غايته ولا يدانيه قومٌ إن همو كرموا
من يعرف الله يعرف أولية ذا فالدين من بيت هذا ناله أمم
أي العشائر هم ليست رقابهم لأولية هذا أوله نعم

رَأْيُنَا الْخَاصُّ فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ

لم يختلف المؤرخون فيما عَرَضَ لهم وعُرِضَ عليهم من مسائل التاريخ مثلاً
اختلفوا في قضية مقتل الإمام الحسين ، من بدايتها حتى نهايتها من الدوافع
الأولية إلى الخديعة وخيانة الأعراب .

وقد اختلفت كما أسلفنا الروايات الحقيقية بالمكذوبة التي افترها البعض
وروجوا لها بأسلوب يهدر كل القيم والمثل ومهما كان من أمر فإن الجريمة بشعة
لكنها لا تخرج عن منافحة ومجاهدة في سبيل الحق ، رجل رغب عن الدنيا
ورغب في الآخرة ، وكلف بالباقية فهانت عليه الفانية ، فنال خير ما يتمنى
الصالحون، نال الشهادة وهي أعظم وأجل ما يطمح إليه ويطمع فيه المسلم
الصدوق .

ولكن لي في هذه المسألة جملة من الخواطر والآراء أوجزها فيما يلي :

○ أن الحسين بن علي رضي الله عنه قد أحسن الظن بالأعراب فكان
تعويله على خطاباتهم ورسلمهم إليه ثقة مطلقة لم يضع لها احتمالاً للخيانة أو
الخديعة .

○ إصرار الحسين على الخروج رغم تحذير أقربائه وأصحابه وناصحيه فلم
يأخذ برأي أي منهم كانت نقطة عليه لا له ، وكأنه نسي قول جده ﷺ : « ما
خاب من استخار وما ضل من استشار »

○ لما قتل مسلم ابن عقيل روى ابن كثير أن الحسين اقتنع في آخر اللحظة بالقول والإياب من حيث خرج لكن أخوة مسلم بن عقيل أصروا على التقدم ولم يمتثلوا لإرادة الحسين رضي الله عنه مصممين على الأخذ بالثأر لأخيهم فكان الحسين في أعصى جند .

«وذلك مثل الذي حدث لأبيه علي إذ خذله الشيعة ، ولذلك قال معاوية : « نصرت على عليّ بأربع : كان يفشي سره وكنت أكتمه ، وكان في أعصى جند وكنت في أطوع جند الخ »

○ الذي يدان به يزيد أنه أضمر الإنتقام رغم دهاء سمته الذي ورثه عن أبيه معاوية وعن جده أبي سفيان وإن لم يعدم الحلم الموروث عنهما إلا أنه كان مصراً على أشد الإنتقام عندما عمد إلى تعيين عبيد الله بن زياد في قيادة الجند ووكل إليه وشميرين ذي الجوشن مواجهة الحسين تحت قيادة عمرو بن سعد وهؤلاء الثلاثة معروفون بعدائهم الشديد وسخيمتهم الملتهبة وحدة شرهم نحو أهل البيت لذلك فلم يراعوا الله في ابن بنت رسول الله ﷺ وشددوا عليه وحصلوه وأحصره وبنحوه ورجاله وقد احتوشوهم جميعاً وأعملوا في رقابهم السيف إثنائاً وتنكيلاً بلا رحمة أو هوادة ، ثم يأتي بعد ذلك يزيد فيقول : « قبحه الله ابن مرجانة - وفي رواية سمية - أما والله لو كنت صاحبه لتركته ، رحم الله أبا عبد الله وغفر له^(١) .

فإن كان الذي حدث لم يكن يرضي يزيداً فكيف يكون ذلك متمشياً مع المنطق ومع الواقع ، وهل تم القتل والإثخان من أهل البيت والكلاب المسعورة الضالة تحتوشهم من كل جانب تلغ في دمائهم هل تم ذلك إلا بأمره وهل كان عبيد الله بن زياد أو عمرو بن سعد أو غيرهما إلا مأمورين من يزيد ؟؟ !!

ولماذا لم يعاقب يزيد بن معاوية القاتل أو القتلة على هذه الجريمة النكراء ؟

ثم يقال بعد ذلك إنه كان حزيناً مغتماً ، وكيف ذلك ويروي لنا القرطبي

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه (٣٨١/٤)

في التذكرة (٦٦٧/٢) أن يزيد بن معاوية وضع رأس الحسين في طست من ذهب وجعل ينظر إليه ويقول هذه الأبيات :

صبرنا وكان الصبر منا عزيمةً وأسيفنا يقطعن كفا ومعصماً
نعلق هاماً من رجالٍ أعزّة علينا وهم كانوا أعقّ وأظلماً
ثم يقول القرطبي بعد ذلك « ثم تكلم بكلام قبيح ، وأمر بالرأس أن
تصلب بالشام » ا . هـ .

فكيف يقال بعد ذلك أن يزيد أظهر الضيق والندم ، وقد كان حرياً به أن
يكون أقرب إلى العفو منه إلى الإنتقام والتشفي والتمثيل ، وكان ذلك أكرم
وأطيب ولذلك فهمها بدر من الحسين ، كان خليفاً بيزيد أن يتجمل ويشدد على
رجاله ألا يقربوه بسوء وأن يحملوه إليه ، ولا جرم أن يزيد فجع القلوب وجرح
الخواطر وقطع الرحم بذلك وألب عليه الرأي العام في عصره وفي كل العصور
والأمصار إلى يوم القيامة

○ أني أرى - وهذا رأي خاص - أن الحسين انتصر على المدى البعيد ،
فهو إن لم يظفر بمراحه في معركة حربية ومواجهة عسكرية إلا أن نيله الشهادة في
حد ذاته كان انتصاراً له ثم أنه زرع بذور الحسيكة والحقد والسخيمة في قلوب
الناس جميعاً نحو بني أمية ولا يخامرني شك في أن الحسين انتصر على المدى
البعيد وكان استشهاده سبباً مباشراً في زلزلة عرش دولة الأمويين ، مع انصباب
جام اللعنات والسخطات عليهم بسبب ومن جراء هذه الجريمة البشعة .

* * *

أخيراً . . . نقول إننا مأمورون بالاستغفار لهؤلاء وهؤلاء والدعاء لهم فإذا
ما بعثوا يوم القيامة يفصل الله بينهم فأمرهم راجع إلى ربهم فهو وحده الذي
يعلم السر وأخفى وهو وحده أعرف بحقيقة نوايا كل منهم وهو أعلم بالسرائر .

اللهم إنا نسألك العفو والصفح والنجاة من النار وآخر دعوانا أن الحمد
لله رب العالمين .

الإمام الطبري

هو أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، كان مولده في سنة أربع وعشرين ومائتين ، وكان أسمر أعين مليحاً وجهه مديدة قامته ، ذرب اللسان فصيح البيان ، جمع الكثير وحصل الجمل الغفير ، ورحل إلى آفاق بعيدة في طلب الحديث ، وله تفسير كامل فريد لا نظير له .

وقد روي أن الطبري رحمه الله مكث أربعين سنة يكتب كل يوم أربعين ورقة . قال الخطيب البغدادي : استوطن ابن جرير بغداد وأقام بها إلى حين وفاته وكان من أكابر العلماء والأئمة ، ثم يقول : - وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره ، وكان حافظاً لكتاب الله عارفاً بالقراءات كلها ، بصيراً بالمعاني ، فقيهاً في الأحكام ، عالماً بالسنن وطرقها ، وصحيحها وسقيمها ، وناسخها ومنسوخها ، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم .

وللامام الطبري كتابه القيم تاريخ الطبري الذي سرد فيه تاريخ الأمم والملوك وكتابه في التفسير لم يصنف أحد مثله وقد أجمع العلماء أنه لم يسبقه أحد فيه ، لقوة مادته وشموخ بنائه .

وله كتاب إسمه : تهذيب الآثار يقول فيه ابن كثير : لم أر سواه في

معناه^(١) إلا أنه لم يتمه . كما أن لابن جرير كثيرا من المصنفات في أصول الفقه وتفرد بآراء ومسائل أثرت عنه وحفظت له ، وأبو بكر الخوارزمي الشاعر المشهور ابن أخته^(٢) .

وقد روى الخطيب عن إمام الأئمة أبي بكر بن خزيمة أنه طالع تفسير محمد بن جرير الطبري في سنتين من أوله إلى آخره ثم قال « ما أعلم على أديم الأرض أعلم من ابن جرير »^(٣) . ا . هـ .

وقد شهد كثير من الناس له بالزهد والورع والتقوى والعبادة ، والقوة في الحق لا تأخذه فيه لومة لائم ، وشهد له بأنه من كبار الأئمة الصالحين العارفين ، وقد طلب من الخليفة المقتدر أن يأمر الشرطة أن يمنعوا السؤال يوم الجمعة فلا يدخلوا إلى مقصورة الجامع فنفذ الخليفة له ما طلب وأمر بذلك من فوره .

وكان الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ينفق على نفسه وبيته من فعل قرية بطبرستان تركها أبوه له .

وقد جاوز الإمام الثمانين من عمره بخمس سنين أو ست سنين حسب بعض الأقوال ، وكان كثير سواد شعر الرأس واللحية ، وقد توفي وقت المغرب عشية يوم الأحد ليومين بقيا من شوال من سنة عشر وبلانمئة^(٤) وقيل توفي يوم السبت آخر النهار في السادس والعشرين من شوال^(٥)

(١) البداية والنهاية لابن كثير (١٤٥/١١) ط . دار الفكر العربي .

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان (٣٣٢/٣) ط . السعادة .

(٣) البداية والنهاية (١٤٦/١١) .

(٤) المرجع السابق نفس الصفحة ، ومروج الذهب للمسعودي (٣٠٨/٤) بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . ط . دار المعرفة بتصرف .

(٥) وفيات الأعيان لابن خلكان (٣٣٢/٣) ط . السعادة بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .

وأرجو مراجعة ترجمة الإمام محمد بن جرير الطبري في إرشاد الأريب (٤٢٣/٦) وتذكرة الحفاظ للذهبي (٣٥١/٢) والوفيات لابن خلكان (٤٥٦/١) وطبقات السبكي (١٣٥/٢) - (١٤٠) ومفتاح السعادة (٢٠٥/١) وما بعدها وتاريخ حكماء الإسلام (٢٩) وميزان الاعتدال (٣٥/٣) ولسان الميزان (١٠٠/٥) وكشف الظنون (٤٣٧) وتاريخ بغداد (١٦٢/٢)

ودفن الطبري في بيته ، نزولا على إكراه الجهلة والرعاع من الحنابلة ، الذين افتروا عليه ونسبوه إلى الرفض زوراً وبهتاناً واحتدوا عليه حياً ولم يصفحوا عنه ميتاً ، إذ منعوا ورفضوا دفنه نهائياً في مقابرهم ، وقد بلغ بالجهلة الأمر إلى أن رموه بالإلحاد ، وحاشاه من ذلك كله وهو الإمام العالم العامل بعلمه يتيم عصره وفريد أثرابه ، والذي قال فيه قاضي القضاة ابن خلكان (تاريخه أصبح التواريخ وأثبتها) . هـ .

ولعل ثمة سراً وراء هذا التهويل وتلك الحملة الهوجاء الرعناء التي شنها على الطبري خصومه ، فإن الدافع إلى ذلك والذي أوقد نار هذه الفتنة وأسعر حزامها هو أبو بكر محمد بن داود الفقيه الظاهري حيث تكلم في الرجل ورماه بالعظائم والرفض .

ولعن الله الحرص والحقد ، وقاتل الله السخيمة وقبح الله من أيقظ الفتنة ، فإن لها كثيراً من الضحايا الأبرياء الشرفاء في كل عصر ومصر ولم تمنع هذه الافتراءات تقدير الناس والخلصاء والصالحين لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري فقد ورد أنه لما توفي هرع الناس من سائر أقطار بغداد وصلوا عليه بداره أرسالاً ثم دفنوه بها .

وليس هذا فحسب إنما يروي لنا ابن كثير في تاريخه المشهور أن الناس كانوا بل ظلوا يترددون على قبره شهوراً يصلّون عليه بكرامته وعلمه وفقهه الذي طبق الأفاق .

وفيه يقول القاضي ابن العربي صاحب أحكام القرآن ومصنف كتاب (العواصم من القواصم) أهـ. ص ٢٤٨ : -

«إنما ذكرت لكم هذا لتحترزوا من الخلق - المنافقين والملحدة والجهلة - وخاصة من المفسرين والمؤرخين ، وأهل الآداب ، بأنهم أهل جهالة بحرمت الدين ، أو على بدعة مصرين ، فلا تبالوا بما رووا ، ولا تقبلوا رواية إلا عن أئمة الحديث ، ولا تسمعوا لمؤرخ كلاماً إلا للطبري ، وغير ذلك هو الموت الأحمر ، والداء الأكبر» .

وهذه شهادة من القاضي ابن العربي لها قيمتها ، وهل يقدر الرجال ويقيم شخصياتهم ، وهل يعرف فضائل الرجال وأقدارهم إلا الرجال ولا يعرف الفضل لأولى الفضل إلا ذوو الفضل .

رحم الله الإمام أبا جعفر محمد بن جرير الطبري ، وجزاه عنا وعن الإسلام خيراً والحقنا به في دار كرامته وجمعنا وإياه والصالحين في سوق الجنة .

القاهرة في شوال سنة ١٤٠٤ هـ يوليو سنة ١٩٨٤ م .

السيد الجميلي

خلفاء يزيد بن معاوية

وفي هذه السنة (٦٠ هـ) بويع ليزيد بن معاوية بالخلافة بعد وفاة أبيه للنصف من رجب في قول بعضهم وفي قول بعض لثمانٍ بقين منه على ما ذكرنا قبل من وفاة والده^(١) معاوية فأقر عبيد الله بن زياد على البصرة والنعمان بن بشير على الكوفة .

وقال هشام بن محمد عن أبي مخنف ولي يزيد في هلال رجب سنة ٦٠^(٢) وأمير المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وأمير الكوفة النعمان بن بشير الأنصاري وأمير البصرة عبيد الله بن زياد وأمير مكة عمرو بن سعيد بن العاص ولم يكن ليزيد همّة حين ولي إلا بيعة النفر الذين أبوا على معاوية الإجابة إلى بيعة يزيد حين دعا الناس إلى بيعته وإنه وليّ عهده بعده والفراغ من أمرهم فكتب إلى الوليد :

بسم الله الرحمن الرحيم من يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة: أما بعد؛ فإن معاوية كان عبدا من عباد الله أكرمه الله واستخلفه وخوّله ومكّن له فعاش

(١) وهو معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، أسلم هو وأبوه أبو سفيان عام الفتح وقد عهد إليه رسول الله ﷺ بكتابة الوحي .

راجع ابن الأثير (٢/٤) واليعقوبي (١٩٢/٢) والمسعودي (٤٢/٢) .

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه (٣٧٥/٤) ط. دار الكتاب العربي والإمامة والسياسة لابن قتيبة (١٧٤/١) وما بعدها ط. دار المعرفة .

بقدر ومات بأجل فرحه الله فقد عاش محمودا ومات براءً تقيًا والسلام (١) .

وكتب إليه في صحيفة كأنها أُذُنُ فأرة أما بعد فخذ حسينا وعبد الله ابن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام فلما أتاه نعي معاوية فقطع به وكبر عليه فبعث إلى مروان بن الحكم فدعاه إليه وكان الوليد يوم قدم المدينة قدمها مروان متكارها فلما رأى ذلك الوليد منه شتمه عند جلسائه فبلغ ذلك مروان فجلس عنه وصرمه (٢) فلم يزل كذلك حتى جاء نعي معاوية إلى الوليد فلما عظم على الوليد هلاك معاوية وما أمر به من أخذ هؤلاء الرهط بالبيعة ، فزع عند ذلك إلى مروان ودعاه فلما قرأ عليه كتاب يزيد استرجع وترحم عليه واستشاره الوليد في الأمر وقال كيف ترى أن نصنع قال فإني أرى أن تبعث الساعة إلى هؤلاء النفر فتدعوهم إلى البيعة والدخول في الطاعة فإن فعلوا قبلت منهم وكففت عنهم وإن أبوا قدمتهم فصرفت أعناقهم قبل أن يعلموا بموت معاوية فإنهم إن علموا بموت معاوية وثب كل امرئ منهم في جانب وأظهر الخلاف والمنابذة ودعا إلى نفسه لا أدري أما ابن عمر فإني لا أراه يرى القتال ولا يحب أنه يؤلى على الناس إلا أن يدفع إليه هذا الأمر عفواً فأرسل عبد الله بن عمرو بن عثمان وهو إذ ذاك غلام حدث إليهما يدعوهما فوجدهما في المسجد وهما جالسان فاتاهما في ساعة لم يكن الوليد يجلس فيها للناس ولا يأتيانه في مثلها فقال أجيبا الأمير يدعوكما فقالا له انصرف

(١) وقد ذكر صاحب العقد الفريد خطبة ليزيد بعد ثلاثة أيام من موت أبيه إذ خرج وعليه أثر الحزن فصعد المنبر وأقبل الضحاك فجلس إلى جانب المنبر وخاف عليه الحصر ، فقال له يزيد : يا ضحاك ، أجتت تعلم بني عبد شمس الكلام ! ثم قام خطيباً فقال : الحمد لله الذي ما شاء صنع ، من شاء أعطى ، ومن شاء منع ، ومن شاء خفض ومن شاء رفع ، إن معاوية بن أبي سفيان كان جبلا من جبال الله ، مده الله ما شاء أن يمده ، ثم قطعه حين شاء أن يقطعه ، فكان دون من قبله ، وخيرا من يأتي بعده ، ولا أزكيه وقد صار إلى ربه ، فإن يعف عنه فبرحمته ، وإن يعذب به فبذنبه وقد وليت بعده الأمر ، ولست أعتذر من جهل ولا أقر عن طلب وعلى رسلكم ، إذا كره الله شيئا غيره ، وإذا أراد شيئا يسره .

العقد الفريد (٤/ ٣٧٥) .

(٢) يقال صرم الرجل : قطع كلامه من صرم الشيء إذا قطعه ، ومنه الإنصرام وهو الإنقطاع .

الآن نأتيه ثم أقبل أحدهما على الآخر فقال عبد الله بن الزبير للحسين طُنَّ فيما تراه بعث إلينا في هذه الساعة التي لم يكن يجلس فيها فقال حسين قد ظننت أنَّ طاغيتهم قد هلك فبعث إلينا ليأخذنا بالبيعة قبل أن يُفْشُو في الناس الخبر فقال وأنا ما أظن غيره قال فما تريد أن تصنع قال أجمع فتياي الساعة ثم أمشي إليه فإذا بلغتُ الباب احتسبتهم عليه ثم دخلت عليه قال فإني أخافه عليه إذا دخلت قال لا آتيه الا وأنا على الإمتناع قادر فقام فجمع إليه موالیه وأهل بيته ثم أقبل يمشي حتى انتهى إلى باب الوليد وقال لأصحابه إني داخلُ فان دعوتكم أو سمعتم صوته قد علا فاقتموا عليّ بأجمعكم وإلا فلا تبرحوا حتى أخرج إليكم فدخل فسلم عليه بالإمرة ومروان جالسٌ عنده فقال حسين كأنه لا يظن ما يظن من موت معاوية الصلة خير من القطيعة أصلح الله ذات بينكما فلم يجيباه في هذا بشيء وجاء حتى جلس فأقرأه الوليد الكتاب ونعى له معاوية ودعاه إلى البيعة .

فقال حسين إنا لله وإنا إليه راجعون ورحم الله معاوية وعَظَّمَ لك الأجر أما ما سألتني من البيعة فإن مثلي لا يعطي بيعته سراً ولا أراك تجتزئ بها مني سرا دون أن تُظهرها على رءوس الناس علانية قال أَجَلُ قال فإذا خرجت إلى الناس فدعوتهم إلى البيعة دعوتنا مع الناس فكان أمراً واحداً فقال له الوايد وكان يجب العافية فانصرف على اسم الله حتى تأتينا مع جماعة الناس فقال له مروان والله لئن فارقك الساعة ولم يبايع لأقدرت منه على مثلها أبداً حتى تكثر القتل بينكم وبينه أحبس الرجل ولا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه فوثب عند ذلك الحسين فقال يا ابن الزرقاء أنت تقتلني أم هو كذبت والله وأثمت^(١) ثم خرج فمر بأصحابه فخرجوا معه حتى أتى منزله فقال مروان للوليد عصيتني لا والله لا يمكنك من مثلها من نفسه أبداً قال الوليد وبُخَّ غيرك يا مروان إنك اخترت لي التي فيها هلاك ديني والله ما أحب أن لي ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال الدنيا ومُلْكها وأني قتلتُ حُسَيْنًا سبحان الله أقتل حسينا إن قال لا أبايع والله إني لا أظن امرأةً يُحاسبُ بدم حسين الخفيف الميزان عند الله

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٨/١٥٩) .

يوم القيامة. فقال له مروان فاذا كان هذا رأيك فقد أصبت فيما صنعت. يقول هذا له وهو غير الحامد له على رأيه .

وأما ابن الزبير فقال الآن آتيكم. ثم أتى داره فكنن فيها فبعث الوليد إليه فوجده مجتمعاً في أصحابه متحرزاً فألح عليه بكثرة الرسل والرجال في إثر الرجال فأما حسين فقال: كف حتى تنظر ونظر وترى ونرى. وأما ابن الزبير فقال: لا تعجلوني فإني آتيكم أمهلوني. فألحوا عليهما عشيتهما تلك كلها وأول ليلها وكانوا على حسين أشد إبقاءً وبعث الوليد إلى ابن الزبير موالي له فشتموه وصاحوا به يا ابن الكاهلية والله لتأتين الأمير أو ليقتلنك فلبث بذلك نهاره كله وأول ليله يقول: الآن أجيء. فاذا استحثوه قال والله لقد استربت^(١) بكثرة الإرسال وتتابع هذه الرجال فلا تعجلوني حتى أبعث إلى الأمير من يأتيني برأيه .

وأمره فبعث إليه أخاه جعفر بن الزبير فقال: رحمك الله كف عن عبد الله فانك قد أفزعته وذعرت به بكثرة رسلك وهو آتيك غداً إن شاء الله فمُرْ رُسُلكَ فلينصرفوا عنا. فبعث إليهم فأنصرفوا وخرج ابن الزبير من تحت الليل فأخذ طريق الفرع هو وأخوه جعفر ليس معهما ثالث وتجنب الطريق الأعظم مخافة الطلب وتوجه نحو مكة فلما أصبح بعث إليه الوليد فوجده قد خرج فقال مروان والله إن أخطأ مكة فسرح في أثره الرجال فبعث ركباً من موالي بني أمية في ثمانين ركباً فطلبوه فلم يقدروا عليه فرجعوا فتشاغلوا عن حسين بطلب عبد الله يومهم ذلك حتى أمسوا .

ثم بعث الرجال إلى حسين عند المساء فقال أصبحوا ثم ترون ونرى فكفوا عنه تلك الليلة ولم يُلحوا عليه فخرج حسين من تحت ليلته وهي ليلة الأحد ليومين بقيا من رجب سنة ٦٠ وكان يخرج ابن الزبير قبله بليلة خرج ليلة السبت فأخذ طريق الفرع فبينما عبد الله بن الزبير يساير أخاه جعفر إذا تمثل جعفر بقول صبرة الحنظلي .

(١) استربت : أخذتني الريبة .

وكل بني أمّ سَيِّمُسُونَ ليلة ولم يبقَ من أعقابهم^(١) غير واحدٍ

فقال عبد الله: سبحان الله ما أردت إلى ما أسمع يا أخي. قال: والله يا أخي ما أردتُ به شيئاً مما تكره. فقال: فذاك والله أكرهُ إليّ أن يكون جاء على لسانك من غير تعمّد^(٢). قال: وكأنه تطيّر منه^(٣). وأما الحسين فإنه خرج ببنيه وإخوته وبني أخيه وجُلّ^(٤) أهل بيته إلا محمد بن الحنفية^(٥) فإنه قال له يا أخي أنت أحب الناس إليّ وأعزهم عليّ ولست أدخر النصيحة لأحد من الخلق أحق بها منك تنحّ بتبعيّك عن يزيد بن معاوية وعن الأمصار^(٦) ما استطعت ثم ابعث رُسلك إلى الناس فادعهم إلى نفسك فإن بايعوا لك حمدت الله على ذلك وإن أجمع الناس على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك ولا يذهب به مروءتك ولا فضلك. إني أخاف أن تدخل مصرأً من هذه الأمصار وتأتي جماعة من الناس فيختلفون بينهم فمنهم طائفة معك وأخرى عليك فيقتتلون فتكون لأول الأسنة فاذا خیر هذه الأمة كلها نفساً وأباً وأماً أضيعها دماً وأذلها أهلاً .

قال له الحسين: فاني ذاهب يا أخي. قال: فانزل مكة فإن اطمأنت بك الدار فسييل ذلك وإن نَبْتُ بك لحقت بالرمال وشَعَفَ الجبال وخرجت من بلد إلى بلد حتى تنظر إلى ما يصير أمر الناس وتعرف عند ذلك الرأي فانك أصوب ما يكون رأياً وأخزمه عملاً حتى تستقبل الأمور استقبالا ولا تكون الأمور عليك أبداً أشكل منها حين تستدبرها استدباراً .

(١) الأعقاب : النسل والأبناء والحفدة .

(٢) من غير تعمّد : من غير قصد .

(٣) تطيّر منه : بتشديد الياء أي تشاءم منه قال تعالى: ﴿ قَالُوا ، إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجِمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ يس (١٨/٣٦) .

(٤) جل أهل بيته : أكثرهم .

(٥) راجع ترجمة محمد بن الحنفية في وفيات الأعيان لابن خلكان/بتحقيق محمد عبيد الحميد (٣١٠/٣) .

(٦) الأمصار : الأقطار والبلدان مفرداً مصر .

قال: يا أخي قد نصحت فأشفقت فأرجو أن يكون رأيك سديداً موفقاً .

قال أبو مخنف وحدثني عبد الملك بن نوفل بن مُساحق عن أبي سعد المقبري قال: نظرت إلى الحسين داخلاً مسجد المدينة وإنه ليمشي وهو معتمد على رجلين يعتمد على هذا مرة وعلى هذا مرة وهو يمثل بقول ابن مفرغ

لَا دَعَرْتُ السَّوَامَ فِي فَلَقِ الصُّبِّ حَجْرٍ مُغِيرًا وَلَا دُعَيْتُ يَزِيدًا
يَوْمَ أُعْطِيَ مِنَ الْمَهَابَةِ ضَيْمًا^(١) وَالْمَنَايَا يَرْصُدُنِي أَنْ أَحِيدَا
قال: فقلت في نفسي والله ما تمثل بهذين البيتين إلا لشيء يريد. قال فلما مكث إلا يومين حتى بلغني أنه سار إلى مكة ثم إن الوليد بعث إلى عبد الله بن عمر فقال: بايع ليزيد. فقال: إذا بايع الناس بايعت. فقال رجل: ما يمنعك أن تبائع إنما تريد أن يختلف الناس فيما بينهم فيقتتلوا ويتفانوا فإذا جهدهم ذلك قالوا عليكم بعبد الله بن عمر لم يبق غيره بايعوه. قال عبد الله: ما أحب أن يقتتلوا ولا يختلفوا ولا يتفانوا ولكن إذا بايع الناس ولم يبق غيري بايعت. قال: فتركوه وكانوا لا يتخفونه. قال: ومضى ابن الزبير حتى أتى مكة وعليها عمرو بن سعيد فلما دخل مكة قال إنما أنا عائد ولم يكن يصلي بصلاتهم ولا يفيض بافاضتهم كان يقف هو وأصحابه ناحية ثم يفيض بهم وحده ويصلي بهم وحده قال فلما سار الحسين نحو مكة قال فخرج منها خائفاً يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين فلما دخل مكة قال فلما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل .

وفي هذه السنة^(٢) عزل يزيد الوليد بن عتبة^(٣) عن المدينة عزله في شهر رمضان فأقر عليها عمرو بن سعيد^(٤) الأشدق .

(١) الضيم : الحيف والظلم .

(٢) أي سنة ٦٠ هـ .

(٣) لأنه رأى فيه لنا وهواة وتعاطفا مع الحسين .

(٤) وكان يزيد قد عمد إلى تعيين عمرو بن سعيد بن العاص إنما لأنه شديد العداءة والسخيمة لأهل البيت ، فجاء تعيينه لقصد هذلف وتخطيط قتالي وليس أمراً عرضياً ، أو لقاء مصادفة .

وفي ترجمة عمرو بن سعيد بن العاص أرجو مراجعة كتاب الإصابة لابن حجر العسقلاني (١١١/٧ ، ١١٢) مكتبة الكليات الأزهرية .

وفيهما قدم عمرو بن سعيد بن العاص المدينة في رمضان فزعم الواقدي أن ابن عمر لم يكن بالمدينة حين ورد نعي معاوية وبيعة يزيد على الوليد وأن ابن الزبير والحسين لما دعيا إلى البيعة ليزيد أبيا وخرجا من ليلتهما إلى مكة فلقيهما ابن عباس وابن عمر جاءيين من مكة فسألاهما ما وراءكما قالا موت معاوية والبيعة ليزيد فقال لهما ابن عمر أتقيا الله ولا تفرقا جماعة المسلمين وأما ابن عمر فقدم فأقام أياماً فانتظر حتى جاءت البيعة من البلدان فتقدم إلى الوليد بن عتبة فبايعه وبايعه ابن عباس .

وفي هذه السنة وجه عمرو بن سعيد عمرو بن الزبير إلى أخيه عبد الله بن الزبير لحربه .

ذكر الخبر عن ذلك

ذكر محمد بن عمر أن عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق قدم المدينة في رمضان سنة ٦٠ فدخل عليه أهل المدينة فدخلوا على رجل عظيم الكبر مفوه قال محمد ابن عمر حدثنا هشام بن سعد عن شيبه بن نصاح قال: كانت الرسل تجري بين يزيد ابن معاوية وابن الزبير في البيعة فحلف يزيد أن لا يقبل منه حتى يؤق به في جامعهم وكان الحارث بن خالد المخزومي على الصلاة فمنعه ابن الزبير فلما منعه كتب يزيد إلى عمرو بن سعيد أن ابعث جيشا إلى ابن الزبير وكان عمرو بن سعيد لما قدم المدينة ولى شرطته عمرو بن الزبير لما كان يعلم ما بينه وبين عبد الله بن الزبير من البغضاء فأرسل إلى نفر من أهل المدينة فضربهم ضرباً شديداً قال محمد بن عمر حدثني شرحبيل بن أبي عون عن أبيه قال: نظر إلى كل من كان يهوى هوى ابن الزبير فضربه وكان ممن ضرب المنذر بن الزبير وابنه محمد بن المنذر وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث وعثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام وخبيب بن عبد الله بن الزبير ومحمد بن عمار بن ياسر فضربهم الأربعين إلى الخمسين إلى الستين وفر منه عبد الرحمن بن عثمان وعبد الرحمن بن عمرو بن سهل في أناس إلى مكة فقال عمرو بن سعيد لعمر بن الزبير من رجل توجه إلى أخيك قال لا توجه إليه رجلا أبداً أنكأ له مني فأخرج لأهل الديوان عشرات وخرج من موالي أهل المدينة ناس كثير .

وتوجه معه أنيس بن عمرو الأسلمي في سبعمائة فوجهه في مقدمته فعسكر بالجرف فجاء مروان بن الحكم إلى عمرو بن سعيد فقال: لا تغز مكة واتق الله ولا تحمل حرمة البيت وخلوا ابن الزبير فقد كبر هذا له بضع وستون سنة وهو رجل لجج^(١) والله لئن لم تقتلوه ليموتن فقال عمرو بن الزبير والله لنقاتلنه ولنغزونه في جوف الكعبة على رغم أنف من رغم. فقال: مروان والله إن ذلك ليسوءني. فسار أنيس بن عمرو والأسلمي حتى نزل بذي طوى وسار عمرو بن الزبير حتى نزل بالأبطح فأرسل عمرو بن الزبير إلى أخيه بَرَيْمٍ^(٢) الخليفة واجعل في عنقك جماعة من فضة لا ترى ولا يضرب الناس بعضهم بعضاً واتق الله فإنك في بلد حرام قال ابن الزبير: موعدهك المسجد فأرسل ابن الزبير عبد الله بن صفوان الجمحي إلى أنيس بن عمرو من قبل^(٣) ذي طوى وكان قد ضوى إلى عبد الله بن صفوان قوم ممن نزل حول مكة فقاتلوا أنيس بن عمرو فهزم أنيس بن عمرو أقبج^(٤) هزيمة وتعوَّق عن عمرو جماعة أصحابه فدخل دار علقمة فأتاه عبدة بن الزبير فأجاره ثم جاء إلى عبد الله بن الزبير فقال إني قد أجرته فقال أخرج من حقوق الناس هذا ما لا يصلح قال محمد بن عمر فحدث هذا الحديث محمد بن عبيد بن عمير فقال أخبرني عمرو بن دينار قال كتب يزيد بن معاوية إلى عمرو بن سعيد أن استعمل عمرو بن الزبير على جيش وابعثه إلى ابن الزبير وابعث معه أنيس بن عمرو قال فسار عمرو بن الزبير حتى نزل في داره عند الصفا ونزل أنيس بن عمرو بذي طوى فكان عمرو بن الزبير يصلي بالناس ويصلي خلفه عبد الله بن الزبير فإذا انصرف شبك أصابعه في أصابعه ولم يبق أحد من قريش إلا أتى عمرو بن الزبير وقعد عبد الله بن صفوان فقال مالي لا أرى عبد الله بن صفوان أما والله لئن سرت إليه ليعلمن أن بني جمح ومن ضوى إليه^(٥) من غيرهم قليل فبلغ عبد الله بن صفوان كلمته هذه فحركته فقال لعبد

(١) رجل لجج : أي متردد إمعنه ، يقال الحق أبلج والباطل لجلج .

(٢) بَرَيْمٍ الخليفة : أن كن باراً به صادق الوفاء له .

(٣) من قبل : بكسر القاف وفتح الباء أي من ناحية .

(٤) كذا وردت في بعض النسخ والأصح بدون واو .

(٥) من ضوى إليه : أوى إليه .

الله بن الزبير إني. أراك كأنك تريد البقاء على أخيك فقال عبد الله أنا أبقي عليه يا أبا صفوان والله لو قدرت على عون الذر عليه لاستعنت بها عليه فقال ابن صفوان فأنا أكفيك أنيس بن عمرو فأكفني أخاك قال ابن الزبير نعم فسار عبد الله بن صفوان إلى أنيس بن عمرو وهو بذى طوى فلاقاه في جمع كثير من أهل مكة وغيرهم من الأعوان فهزم أنيس بن عمرو ومن معه وقتلوا مدبرهم وأجهزوا^(١) على جريحهم وسار مصعب بن عبد الرحمن إلى عمرو وتفرق عنه أصحابه حتى تخلص إلى عمرو بن الزبير فقال عبيدة بن الزبير لعمرو: تعال أنا أجيرك فجاء عبد الله بن الزبير فقال قد أجرت عمراً فأجره لي فأبى عبد الله أن يجيره وضربه بكل من كان ضرب بالمدينة وحبسه بسجن عارم. قال الواقدي قد اختلفوا علينا في حديث عمرو بن الزبير وكتبت إلى كل ذلك .

حدثني خالد بن إلياس عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي الجهم قال: لما قدم عمرو بن سعيد المدينة والياً قدم في ذي القعدة سنة ٦٠ فولى عمرو بن الزبير شرطته وقال قد أقسم أمير المؤمنين أن لا يقبل بيعة ابن الزبير إلا أن يؤتى به في جامعة فليُبرِّم أمين أمير المؤمنين فإني أجعل جامعة خفيفة من ورق أو ذهب ويلبس عليها بُرُساً ولا ترى إلا أن يسمع صوتها وقال :

خُذْهَا فَلَيْسَتْ لِلْعَزِيزِ بِخُطَّةٍ وفيها^(٢) مقال لا مَرِيءٌ مُتَذَلِّلٌ
أَعَامِرُ إِنَّ الْقَوْمَ سَامُوكَ خُطَّةً^(٣) ومالك في الجيران عَدْلٌ مُعَدَّلٌ
قال محمد وحدثني رباح بن مسلم عن أبيه قال بعث إلى عبد الله بن الزبير عمرو بن سعيد فقال له أبو شريح لا تغز مكة فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول إنما أذن الله لي في القتال بمكة ساعة من نهار ثم عادت كحرمتها فأبى عمرو أن يسمع قوله وقال نحن أعلم بحرمتها منك أيها الشيخ. فبعث عمرو جيشاً مع عمرو ومعه أنيس بن عمرو والأسلمي وزيد غلام محمد بن عبد الله بن

(١) وردت في الأصول (وأجازوا) وهذا تحريف والأصح ما أورده .

(٢) شطر البيت الثاني من بحر الطويل وكذلك البيت الثاني من بحر الطويل ولكن الشطر الأول من البيت الأول من بحر الكامل وهذا يقتضي أن يزيد حرفاً في أوله فيصبح من الطويل فيقول (وخذها) بدلاً من خذها فيتحول من الكامل إلى الطويل .

(٣) ساموك خطة : أي أولوك إياها وأرادوك عليها .

الحارث بن هشام وكانوا نحو ألفين فقاتلهم أهل مكة فقتل أنيس بن عمرو والمهاجر مولى القلَمْس في ناس كثير وهزم جيش عمرو فجاء عبيدة بن الزبير فقال لأخيه عمرو أنت في ذمتي وأنا لك^(١) جَارٌ. فانطلق به إلى عبد الله فدخل على ابن الزبير فقال ما هذا الدم الذي في وجهك يا خبيث فقال عمرو..

لَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَدْمَى كُلُّوْنَا^(٢) ولكن على أقدامنا يَقْطُرُ الدِّمَاءُ فحبسه وأخفر عبيدة وقال أمرتك أن تحير هذا الفاسق المستحل لحرمت الله ثم أقاد عمراً من كل من ضربه إلا المنذر وابنه فإئهما أبيا أن يستقيدا وماتا تحت السياط قال وإنما سمى سجن عارم لعبد كان يقال له زيد عارم فسمى السجن به وحبس ابن الزبير أخاه عمراً فيه. قال الواقدي حدثنا عبد الله بن أبي يحيى عن أبيه قال: كان مع أنيس بن عمرو ألفان (وفي هذه السنة) وجه أهل الكوفة الرسل إلى الحسين عليه السلام وهو بمكة يدعونه إلى القدوم عليهم فوجه إليهم ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه^(٣) .

(١) وأنا لك جَارٌ : أي مجير وناصر. وإن لم نعثر في مراجع اللغة على هذا الاشتقاق فربما يكون قصد به (جَارٌ) من الجوار .

(٢) الكلام : جمع مفردة كلم وهو الجرح . وتجمع أيضاً على كُُلُوم .

(٣) راجع مروج الذهب للمسعودي (٣/٦٧ ، ٦٨) ط . دار المعرفة .

ذكر الخبر عن رسالة الكوفيين الحسين عليه السلام للصيرفي ومسلم بن عقيل رضي الله عنه

حدثني زكرياء بن يحيى الضرير قال حدثنا أحمد بن جناب المصيصي ويكنى أبا الوليد قال حدثنا خالد بن يزيد بن أسد بن عبد الله القسري قال حدثنا عمار الذهني قال قلت لأبي جعفر حدثني بمقتل الحسين حتى كأي حضرته قال مات معاوية والوليد بن عتبة بن أبي سفيان على المدينة فأرسل إلى الحسين ابن علي ليأخذ بيعته فقال له أخربي وارفق فأخبره فأخرجه فخرج إلى مكة فأتاه أهل الكوفة ورؤسهم إنا قد حبسنا أنفسنا عليك ولسنا نحضر الجمعة مع الوالي فأقدم علينا وكان النعمان بن بشير الأنصاري على الكوفة قال فبعث الحسين إلى مسلم بن عقيل بن أبي طالب ابن عمه فقال له سر إلى الكوفة فانظر ما كتبوا به إليّ فإن كان حقاً خرجنا إليهم فخرج مسلم حتى أتى المدينة فأخذ منها دليلين فمراً به في البرية فأصابهم عطش فمات أحد الدليلين وكتب مسلم إلى الحسين يستعفيه فكتب إليه الحسين أن امض إلى الكوفة فخرج حتى قدمها ونزل على رجل من أهلها يقال له ابن عوسجة قال فلما تحدث أهل الكوفة بمقدمه دبوا إليه فبايعوه فبايعه منهم اثنا عشر ألفاً قال فقام رجل ممن يهوى يزيد بن معاوية إلى النعمان بن بشير فقال له إنك ضعيف أو متضعف قد فسد البلاد فقال له النعمان أن أكون ضعيفاً وأنا في طاعة الله أحب إليّ من أن أكون قويا في معصية الله وما كنت لأهتك ستراً ستره الله فكتب بقول النعمان إلى يزيد فدعا مولى له يقال له سرجون وكان يستشيريه فأخبره الخبر فقال له أكنت قابلاً من معاوية لو

كان^(١) حياً قال نعم قال فاقبل مني فإنه ليس للكوفة إلا عبيد الله بن زياد^(٢) فولها إياه وكان يزيد عليه ساخطاً وكان هم بعزله عن البصرة فكتب إليه برضائه وإنه قد ولاه الكوفة مع البصرة وكتب إليه أن يطلب مسلم بن عقيل فيقتله إن وجده قال فأقبل عبيد الله في وجوه أهل البصرة حتى قدم الكوفة متلثماً ولا يمر على مجلس من مجالسهم فيسلم إلا قالوا عليك السلام يا ابن بنت رسول الله وهم يظنون أنه الحسين^(٣) بن علي عليه السلام حتى نزل القصر فدعا مولى له فأعطاه ثلاثة آلاف وقال له اذهب حتى تسأل عن الرجل الذي يبيع له أهل الكوفة فأعلمه أنك رجل من أهل حمص جئت لهذا الأمر وهذا مال تدفعه إليه ليتقوى فلم يزل يتلطف ويرفق به حتى دل على شيخ من أهل الكوفة يلى البيعة فلقبه فأخبره فقال له الشيخ لقد سَرَّني لقاءك إياي وقد ساءني فأما ما سرنى من ذلك فما هداك الله له وأما ما ساءني فإن أمرنا لم يستحكم بعد فأدخله إليه فأخذ منه المال وباعه ورجع إلى عبيد الله فأخبره فتحول مسلم حين قدم عبيد الله بن زياد من الدار التي كان فيها إلى منزل هانئ بن عروة المرادي وكتب مسلم بن عقيل إلى الحسين بن علي عليه السلام يخبره ببيعة اثني عشر ألفاً من أهل الكوفة ويأمره بالقدوم وقال عبيد الله لوجوه أهل الكوفة مالي أرى هانئ بن عروة لم يأتني فيمن أتاني؟ قال فخرج إليه محمد بن الأشعث في ناس من قومه وهو على باب داره فقالوا إن الأمير قد ذكرك واستبطأك فانطلق إليه فلم يزالوا به حتى ركب وسار حتى دخل على عبيد الله وعنده شريح القاضي فلما نظر إليه قال لشريح أتتك بحائن رجلاه فلما سلم عليه قال يا هانئ أين مسلم قال ما أدري فأمر عبيد الله مولاه صاحب الدراهم فخرج إليه فلما رآه قُطع^(٤) به فقال أصلح الله الأمير والله ما دعوته إلى منزل ولكنه جاء فطرح نفسه عليّ قال اثني به قال والله لو كان تحت قدمي ما رفعتها عنه قال ادنوه إليّ فادنني فضربه على حاجبه فشججه قال وأهوى هانئ إلى سيف

(١) أي أنه يجذب عليه ويشفق عليه حذب الأب وإشفاقه .

(٢) لأن عبيد الله بن زياد كان مجرمًا وشديد الكراهة لأهل البيت من الهاشميين ، وبني طالب .

(٣) ولعل هذا مما زاد في غضب ابن زياد وحنقه .

(٤) قطع به : كُسر في ذرعه من هول المفاجأة .

شَرَطِيَّ لَيْسَلَهُ فُدَّعَ عَنْ ذَلِكَ وَقَالَ قَدْ أَحْلَى اللَّهُ دَمَكَ فَأَمَرَ بِهِ فَجَبَسَ فِي جَانِبِ الْقَصْرِ وَقَالَ غَيْرَ أَبِي جَعْفَرٍ الَّذِي جَاءَ بِهِاءَ بْنَ عُرْوَةَ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ عَمْرُو بْنُ الْحَجَّاجِ الزُّبَيْدِيُّ .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو قَتِيْبَةَ قَالَ حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ أَبِي اسْحَاقَ عَنْ الْعِيزَارِ بْنِ حَرِيْثٍ قَالَ حَدَّثَنَا عِمَارَةُ بْنُ عَقْبَةَ بْنِ أَبِي مَعِيْطٍ فَجَلَسَ فِي مَجْلِسِ ابْنِ زِيَادٍ فَحَدَّثَ قَالَ طَرَدْتُ الْيَوْمَ حُمْرًا فَأَصَبْتُ مِنْهَا حِمَارًا فَعَقَرْتَهُ فَقَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ الْحَجَّاجِ الزُّبَيْدِيُّ إِنْ حِمَارًا تَعَقَّرُهُ أَنْتَ لِحِمَارٍ حَائِنٍ فَقَالَ أَلَا أَخْبَرُكَ بِأَحْيَيْنَ مِنْ هَذَا كُلِّهِ رَجُلٌ جَاءَ بِأَبِيهِ كَافِرًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَمَرَ بِهِ أَنْ يَضْرَبَ عُنُقَهُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ فَمَنْ لِلصَّبِيَّةِ قَالَ النَّارُ فَأَنْتَ مِنَ الصَّبِيَّةِ وَأَنْتَ فِي النَّارِ قَالَ فَضَحِكَ ابْنُ زِيَادٍ .

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ عِمَارِ الدُّهْنِيِّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ

قَالَ فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ خَرَجَ الْخَيْرُ إِلَى مَذْحِجٍ فَازْدَا عَلَى بَابِ الْقَصْرِ جَلْبَةً^(١) سَمِعَهَا عُبَيْدُ اللَّهِ فَقَالَ مَا هَذَا فَقَالُوا مَذْحِجٌ فَقَالَ لَشَرِيحٍ أَخْرَجَ إِلَيْهِمْ فَأَعْلَمَهُمْ أَنِّي إِنَّمَا حَبَسْتَهُ لِأَسَائِلِهِ وَبِعْتُ عَيْنًا عَلَيْهِ^(٢) مِنْ مَوَالِيهِ يَسْمَعُ مَا يَقُولُ فَمَرَّ بِهِاءُ بْنُ عُرْوَةَ فَقَالَ لَهُ هَانِيءٌ: اتَّقِ اللَّهَ يَا شَرِيحُ فَإِنَّهُ قَاتِلِي. فَخَرَجَ شَرِيحٌ حَتَّى قَامَ عَلَى بَابِ الْقَصْرِ لَا بِأَسٍ عَلَيْهِ إِنَّمَا حَبَسَهُ الْأَمِيرُ لِأَسَائِلِهِ فَقَالَ صَدَقَ لَيْسَ عَلَى صَاحِبِكُمْ بِأَسٍ فَتَفَرَّقُوا فَأَتَى مُسْلِمًا الْخَبَرَ فَنَادَى بِشَعَارِهِ فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَرْبَعَةُ آلَافٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ فَقَدَّمُوا مَقْدَمَتَهُ وَعَبَّيَ مَيْمَنَتَهُ وَمَيْسَرَتَهُ وَسَارَ فِي الْقَلْبِ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ وَبِعْتُ عُبَيْدُ اللَّهِ إِلَى وَجْهِهِ^(٣) أَهْلَ الْكُوفَةِ فَجَمَعَهُمْ عِنْدَهُ فِي الْقَصْرِ فَلَمَّا سَارَ إِلَيْهِ مُسْلِمٌ أَنْتَهَى إِلَى بَابِ الْقَصْرِ أَشْرَفُوا عَلَى عَشَائِرِهِمْ فَجَعَلُوا يَكْلُمُونَهُمْ وَيَرُدُّونَهُمْ فَجَعَلَ أَصْحَابُ مُسْلِمٍ يَتَسَلَّلُونَ حَتَّى أَمْسَى فِي خَمْسَمِائَةٍ فَلَمَّا اخْتَلَطَ الظَّلَامُ ذَهَبَ

(١) الجلبة : الصخب والضجيج .

(٢) العين : الجاسوس .

(٣) وجوه أهل الكوفة : وجهاءها من الأعيان .

أولئك أيضاً فلما رأى مسلم أنه قد بقى وحده يتردد في الطرق حتى أتى باباً فنزل عليه فخرجت إليه امرأة فقال لها اسقيني فسقته ثم دخلت فمكثت ما شاء الله ثم خرجت فإذا هو على الباب قالت يا عبد الله إن مجلسك مجلس^(١) ريبة فقم. قال إني أنا مسلم بن عقيل فهل عندك مأوى؟ قالت نعم ادخلن وكان ابنها مولى لمحمد بن الأشعث فلما علم به الغلام انطلق إلى محمد فأخبره فانطلق محمد إلى عبيد الله فأخبره فبعث عبيد الله عمرو بن حريث المخزومي وكان صاحب شرطه إليه ومعه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فلم يعلم مسلم حتى أحيط^(٢) بالدار فلما رأى ذلك مسلم خرج اليهم بسيفه فقاتلهم فأعطاه عبد الرحمن الأمان فأمكن من يده فجاء به إلى عبيد الله فأمر به فأصعد إلى أعلى القصر فضربت عنقه وألقى جثته إلى الناس وأمر بهاء فسحب إلى الكناسة فصلب هنالك وقال شاعرهم في ذلك:

فإن كنت لا تدرين ما الموتُ فانظري إلى هانيء في السوق وابن عقيل
أصابتها أمرُ الإمامِ فأصبحا أحاديثَ مَنْ يسعى بكل سبيل
أتركبُ أساءَ الهماليج^(٣) آمناً وقد طلبته مذحجٌ بذحول
وأما أبو مخنف فإنه ذكر من قصة مسلم بن عقيل وشخصه إلى الكوفة ومقتله قصة هي أشعب وأتم من خبر عمار الدهني عن أبي جعفر الذي ذكرناه ما حدثت عن هشام بن محمد عنه قال حدثني عبد الرحمن بن جندب قال حدثني عقبة بن سمعان مولى الرباب ابنة امرئ القيس الكلبيبة امرأة حسين وكانت مع سكينه ابنة حسين وهو مولى لأبيها وهي إذ ذاك صغيرة قال خرجنا فلزمنا الطريق الأعظم فقال للحسين أهل بيته لو تنكبت^(٤) الطريق الأعظم كما فعل ابن الزبير لا يلحقك الطلب قال لا والله لا أفارقه حتى يقضى الله ما هو أحب إليه .

(١) الريبة : الشك والتهمة .

(٢) أحيط بالدار : أحصرت واحتشوها .

(٣) الهماليج : يقال فرس مملاج وهو يهيج براكبه وخيل هماليج . راجع أساس البلاغة للزعرشي ص ١٠٦٦ ط . الشعب .

(٤) تنكبت الطريق : تجنبه واعتزله .

قال فاستقبلنا عبد الله بن مطيع^(١) فقال للحسين جعلت فداك أين تريد قال أما الآن فإني أريد مكة وأما بعدها فإني أستخير الله قال خار الله لك وجعلنا فداك فإذا أنت أتيت مكة فإياك أن تقرب الكوفة فإنها بلدة مسئومة بها قتل أبوك وخذل أخوك واغتيل بطعنة كادت تأتي على نفسه ألزم الحرم فإنك سيد العرب لا يعدل بك والله أهل الحجاز أحداً ويتداعى إليك الناس من كل جانب لا تفارق الحرم فذاك عمى وخالي فوالله لئن هلكت لنُسترقنَّ بعدك فأقبل حتى نزل مكة فأقبل أهلها يختلفون^(٢) إليه ويأتونه ومن كان بها من المعتمرين وأهل الأفاق وابن الزبير بها قد لزم الكعبة فهو قائم يصلي عندها عامة النهار ويطوف ويأتي حسينا فيمن يأتيه فيأتيه اليومين المتواليين ويأتيه كل يومين مرة ولا يزال يشير عليه بالرأي وهو أثقل خلق الله على ابن الزبير قد عرف أن أهل الحجاز لا يبايعونه ولا يتابعونه أبداً ما دام حسين بالبلد وأن حسينا أعظم في أعينهم وأنفسهم منه وأطوع في الناس منه فلما بلغ أهل الكوفة هلاك معاوية أرجف^(٣) أهل العراق بيزيد وقالوا قد امتنع حسين وابن الزبير ولحقا بمكة فكتب أهل الكوفة إلى حسين وعليهم النعمان ابن بشير * قال أبو مخنف فحدثني الحجاج بن علي عن محمد بن بشر الهمداني قال اجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صرد^(٤) فذكرنا هلاك معاوية فحمدنا الله عليه فقال لنا سليمان بن صرد إن معاوية قد هلك وإن حسينا قد تقبض على القوم ببيعته وقد خرج إلى مكة وأنتم شيعة وشيعة أبيه فإن كنتم تعلمون أنكم ناصروه ومجاهدو عدوه فاكتبوا إليه وإن خفتهم الوهل^(٥) والفشل فلا تغروا الرجل من نفسه. قالوا: لا بل نقاتل عدوه ونقتل أنفسنا دونه. قال فاكتبوا إليه. فكتبوا إليه :

(١) راجع ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان (١٤٤/٥ ، ١٤٥) .

(٢) يختلفون إليه : يذهبون إليه .

(٣) أرجف القوم : زلزلوا واضطربوا ، والإرجاف واحد أراجيف الأخبار ، وقد أرجفوا في الشيء أي خاضوا فيه .

راجع مختار الصحاح ص ٢٣٥ .

(٤) وكان سليمان بن صرد من شيعة علي رضي الله عنه .

(٥) الوهل : الفرع .

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ لحسين بن علي من سليمان بن صرد
 والمسيب بن نجبة ورفاعة ابن شداد وحبيب بن مظاهر وشيعته من المؤمنين
 والمسلمين من أهل الكوفة، سلام عليك فإننا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو
 أما بعد فالحمد لله الذي قصم غدوك الجبار العنيد الذي انتزى^(١) على هذه
 الأمة فابتزها أمرها وغصبها فيأها^(٢) وتأمر عليها بغير رضي منها ثم قتل خيارها
 واستبقى شرارها وجعل مال الله دولة^(٣) بين جبارتها وأغنيائها فبعداً له كما
 بعدت ثمود ليس علينا إمام فأقبله لعل الله أن يجمعنا بك على الحق. والنعمان بن
 بشير في قصر الامارة لسنا نجتمع معه في جمعة ولا نخرج معه إلى عدو لو قد
 بلغنا أنك قد أقبلت إلينا أخرجنه حتى نلحقه بالشأم إن شاء الله والسلام ورحمة
 الله عليك قال ثم سرحنا بالكتاب مع عبد الله بن سبع الهمداني وعبد الله بن
 وال وأمرناهما بالنجاء^(٤) فخرج الرجلان مسرعين حتى قدما على حسين لعشر
 مضين من شهر رمضان بمكة ثم لبثنا يومين ثم سرحنا إليه قيس بن مُشهر
 الصيداوي وعبد الرحمن بن عبد الله بن الكدن الأرجي وعمارة بن عبيد السلوي
 فحملوا معهم نحواً من ثلاثة وخمسين صحيفة من الرجل والاثني والأربعة قال
 ثم لبثنا يومين آخرين ثم سرحنا إليه هانيء السبيعي وسعيد بن عبد الله الحنفي
 وكتبنا معهما ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ لحسين بن علي من شيعته من المؤمنين
 والمسلمين أما بعد فحيها^(٥) فإن الناس يتظرونك ولا رأي لهم في غيرك
 فالعجل العجل والسلام عليك وكتب شيث بن ربعي وحجار بن أبجر ويزيد بن
 الحارث ويزيد بن رُويم وعزرة بن قيس وعمرو بن الحجاج الزبيدي ومحمد بن
 عمير التميمي: أما بعد فقد اخضر الجنب وأينعت الثمار وطمت^(٦) الحمام فإذا

(١) يقال انتزى وهو ينتزى إلى الشر أي يتسرع إليه .

(٢) فيأها : أشياؤها ، ويقال فلان لا يقرب من أفيائه .

(٣) دولة : أي جعله ككرة وكرة والمقصود أنه جعل المال يروح ويغدو بين أيدي هذه الطوائف التي ذكرها
 المفهوم أن المستحقين له كانوا محرومين منه وهذا هو الحيف والظيم .

(٤) النجاء : من نجا ينجو نجاة بالمد ونجاة بالقصر . المختار ص ٦٤٨ .

(٥) حيها : إسم فعل بمعنى أقبل أو اقبلوا .

(٦) طمت الحمام : استوت .

شئت فأقدم على جنديك محمد^(١) والسلام عليك وتلاقت الرُّسل كلها عنده فقراً
الكتب وسأل الرسل عن أمر الناس ثم كتب مع هانيء بن هانيء السبيعي
وسعيد بن عبد الله الحنفي .

وكان آخر الرسل: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ من حسين بن عليّ إلى
الملا من المؤمنين والمسلمين: أما بعد فإن هانثا وسعيداً قدما عليّ بكتبكم وكانا
آخر من قدم عليّ من رسلكم وقد فهمت كل الذي اقتصصتم وذكرتم
ومقالة جُلُكم إنه ليس علينا إمام فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى والحق
وقد بعثت إليكم أخى وابن عمي وثقتي من أهل بيتي وأمرته أن يكتب لي
بحالكم وأمركم ورأيكم فإن يكتب إليّ أنه قد أجمع رأي ملثكم وذوي الفضل
والحجى^(٢) منكم على مثل ما قدمت عليّ به رُسُلكم وقرأت في كتبكم أقدم
عليكم وشيكا إن شاء الله فلعمرى ما الامام إلا العامل بالكتاب والآخذ بالقسط
والدائن بالحق والحاسب نفسه على ذات الله والسلام» قال أبو مخنف وذكر أبو
المخارق الراسي قال اجتمع ناس من الشيعة بالبصرة في منزل امرأة من عبد
القيس يقال لها مارية ابنة سعد أو منقذ أياما وكانت تشيع وكان منزلها لهم مألفاً
يتحدثون فيه وقد بلغ ابن زياد إقبال الحسين فكتب إلى عامله بالبصرة ان يضع
المنظر ويأخذ بالطريق قال فأجمع يزيد بن نبيط الخروج وهو من عبد القيس إلى
الحسين وكان له بنون عشرة فقال أيكم يخرج معي فانتدب معه ابنان له عبد الله
وعبيد الله فقال لأصحابه في بيت تلك المرأة اني قد أزمعت على الخروج وأنا
خارج فقالوا له انا نخاف عليك أصحاب ابن زياد، فقال إني والله لو قد استوت
أخفافهما بالجدد^(٣) لها عليّ طلب من طلبني. قال ثم خرج فقوى في الطريق حتى
انتهى إلى حسين عليه السلام فدخل في رحله بالابطح وبلغ الحسين مجيئه فجعل
يطلبه وجاء الرجل إلى رحل الحسين فقبل له قد خرج إلى منزلك فأقبل في أثره
ولما لم يجده الحسين جلس في رحله ينتظره وجاء البصري فوجده في رحله جالساً

(١) كذا ورد بالأصل والأصح (مجندة) .

(٢) الحجى : العقل والفهم .

(٣) الجدد : جمع مفردة جدادة وهي الطريق .

فقال بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا. قال فسلم عليه وجلس إليه فأخبره بالذي جاء له فدعا له بخير ثم أقبل معه حتى أتى فقاتل معه فقتل معه هو وابناه ثم دعا مسلم بن عقيل فسّرحه مع قيس بن مسهر الصيداوي وعمارة بن عبيد السلولي وعبد الرحمن بن عبد الله بن الكدن الأرحبي فأمره بتقوى الله وكرتمان أمره واللطف فإن رأى الناس مجتمعين مستوثقين عجل إليه بذلك فأقبل مسلم حتى أتى المدينة فصلى في مسجد رسول الله ﷺ وودع من أحب من أهله ثم استأجر دليلين من قيس فأقبلا به فضلاً الطريق وجارا وأصابهم عطش شديد وقال الدليلان هذا الطريق حتى ينتهي إلى الماء وقد كادوا أن يموتوا عطشاً فكتب مسلم بن عقيل مع قيس بن مسهر الصيداوي إلى حسين وذلك بالمضيق من بطن الحُبَيْت، أما بعد فإني أقبلت من المدينة معي دليلان لي فجارا عن الطريق وضلاً واشتد علينا العطش فلم يلبثا أن ماتا وأقبلنا حتى انتهينا إلى الماء فلم ننج إلا بحشاشة أنفسنا^(١) وذلك الماء بمكان يدعى المضيق من بطن الحُبَيْت وقد تطيرت من وجهي هذا فان رأيت أعفيتني منه وبعثت غيري والسلام فكتب إليه حسين أما بعد فقد خشيت ألا يكون حملك على الكتاب إليّ في الاستعفاء من الوجه الذي وجهتك له إلا الجبن فامض لوجهك الذي وجهتك له والسلام عليك . فقال مسلم لمن قرأ الكتاب هذا ما لستُ أتخوفه على نفسي فأقبل كما هو حتى مر بماء لطّيء فنزل بهم ثم ارتحل منه فاذا رجل يرمي الصيد فنظر إليه قد رمى ظُبياً حين أشرف له فصرعه .

فقال مسلم: يُقتل عدوُّنا إن شاء الله. ثم أقبل مسلم حتى دخل الكوفة فنزل دار المختار بن أبي عبيد وهي التي تدعى اليوم دار مسلم بن المسيب وأقبلت الشيعة تختلف إليه فلما اجتمعت إليه جماعة منهم قرأ عليهم كتاب حسين فأخذوا يبكون، فقام عابس بن أبي شبيب الشاكري فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإني لا أخبرك عن الناس ولا أعلم ما في أنفسهم وما أغرُّك منهم والله أحدثك عما أنا موطنٌ نفسي عليه والله لأجيينكم إذا دعوتكم ولأقاتلن معكم عدوكم

(١) يقال « ما بقي منه إلا حشاشة ، وما بقي من الشمس إلا حشاشة نازع » .

ولأضربن بسيفي دونكم حتى ألقى الله لا أريد بذلك إلا ما عند الله .
فقام حبيب بن مظاهر الفقعسي فقال رحمك الله قد قضيت ما في نفسك بواجز
من قولك ثم قال وأنا والله الذي لا إله إلا هو على مثل ما هذا عليه ثم قال
الحنفي مثل ذلك الحجاج بن علي فقلت لمحمد بن بشر فهل كان منك أنت قول
فقال إن كنت لأحب أن يعز الله أصحابي بالظفر وما كنت لأحب أن أقتل
وكرهت أن أكذب واختلفت الشيعة^(٢) إليه حتى علم مكانه فبلغ ذلك
النعمان بن بشير .

قال أبو مخنف حدثني ثمر بن وعلة عن أبي السوداك قال خرج الينا
النعمان بن بشير فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فاتقوا الله
عباد الله ولا تسارعوا إلى الفتنة والفرقة فإن فيهما يهلك الرجال وتسفك الدماء
وتغصب الأموال وكان حليما ناسكا يحب العافية قال إني لم أقاتل من لم يقااتلي
ولا أئب على من لا يئب علي ولا أشاتمكم ولا أتحرش بكم ولا آخذ بالقرف^(٣)
ولا الظنة ولا التهمة ولكنكم إن أبديتكم صفحتكم لي ونكتكم^(٤) بيعتكم وخالفتم
إمامكم فوالله الذي لا إله غيره لأضربنكم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي ولو لم
يكن لي منكم ناصر، أما إني أرجو أن يكون من يعرف الحق منكم أكثر ممن يرديه
الباطل. قال فقام إليه عبد الله بن مسلم بن سعيد الحضرمي حليف بني أمية فقال
إنه لا يصلح ما ترى إلى الغشم إن هذا الذي أنت عليه فيما بينك وبين عدوك
رأي المستضعفين. فقال أن أكون من المستضعفين في طاعة الله أحب إلي من أن
أكون من الأعززين في معصية الله. ثم نزل وخرج عبد الله بن مسلم وكتب إلى
يزيد بن معاوية: أما بعد فإن مسلم بن عقيل قد قدم الكوفة فبايعته الشيعة
للحسين بن علي فان كان لك بالكوفة حاجة فابعث إليها رجلا قويا ينفذ أمرك

(٢) اختلفت الشيعة إليه : ذهبوا إليه .

(٣) القرف : مخالطة الخطيئة .

(٤) نكت البيعة : نقضها ورجع فيها .

ويعمل مثل عملك في عدوك فان النعمان بن بشير رجل ضعيف^(١) أو هو يتضعف فكان أول من كتب اليه ثم كتب اليه، عمارة بن عقبة بنحو من كتابه ثم كتب اليه عمر بن سعد بن أبي وقاص بمثل ذلك. قال هشام قال عوانة فلما اجتمعت الكتب عند يزيد ليس بين كتبهم إلا يومان دعا يزيد بن معاوية سرجون مولى معاوية فقال ما رأيك فان حسينا قد توجه نحو الكوفة ومسلم بن عقيل بالكوفة يبايع للحسين وقد بلغني عن النعمان ضعفٌ وقولٌ سيئٌ وأقرأه كتبهم فما ترى من أستعمل على الكوفة وكان يزيد عاتباً على عبيد الله بن زياد فقال سرجون أرايت معاوية لو نشر لك أكنت آخذاً برأيه؟ قال نعم فأخرج عهد عبيد الله على الكوفة. فقال هذا رأي معاوية ومات .

وقد أمر بهذا الكتاب فأخذ برأيه وضم المصرين إلى عبيد الله وبعث إليه بعهد على الكوفة ثم دعا مسلم بن عمرو الباهلي وكان عنده فبعثه إلى عبيد الله بعهد إلى البصرة وكتب إليه معه أما بعد فإنه كتب إليّ شيعتي من أهل الكوفة يخبروني أن ابن عقيل بالكوفة يجمع الجموع لشق عصا المسلمين فيسر حين تقرأ كتابي هذا حتى تأتي أهل الكوفة فتطلب ابن عقيل كطلب الخرزة حتى تثقفه^(٢) فتوثقه أو تقتله أو تنفيه والسلام فأقبل مسلم ابن عمرو حتى قدم على عبيد الله بالبصرة فأمر عبيد الله بالجهاز والتهيؤ والمسير إلى الكوفة من الغد .

وكان حسين قد كتب إلى أهل البصرة كتاباً قال هشام قال أبو مخنف حدثني الصعقب بن زهير عن أبي عثمان النهديّ قال كتب حسين مع مولى لهم يقال له سليمان وكتب بنسخة إلى رءوس الأخماس^(٣) بالبصرة وإلى الأشراف فكتب إلى مالك بن مسمع البكري وإلى الاحنف بن قيس وإلى المنذر بن الجارود وإلى مسعود بن عمرو وإلى قيس بن الهيثم وإلى عمرو بن عبيد الله بن معمر

(١) يقصد ضعيف الشخصية أو هو يتضعف أي أنه قوي لكنه ليس بحازم يمكن التعويل عليه في البطش والتنكيل .

(٢) تثقيفه : تدركه ، ويوثقه : يربطه ويكبله بالقيود .

(٣) الأخماس : جمع مفردة خميس وهو الجيش ، وسمى الجيش بالخميس لأنه خمس فرق : المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والساق .

فجاءت منه نسخة واحدة إلى جميع أشرافها أما بعد فان الله اصطفى محمداً صلى الله عليه وسلم على خلقه وأكرمه بنبوته^(١) واختاره لرسالته ثم قبضه الله إليه وقد نصح لعباده وبلغ ما أرسل به صلى الله عليه وسلم وكنا أهله وأوليائه وأوصيائه^(٢) وورثته وأحق الناس بمقامه في الناس فاستأثر علينا قومنا بذلك فرضينا وكرهنا الفرقة وأحببنا العافية ونحن نعلم أنا أحق بذلك الحق المستحق علينا ممن تولاه وقد أحسنوا وأصلحوا وتحروا الحق فرحمهم الله وغفر لنا ولهم وقد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ فإن السنة قد أميتت وإن البدعة قد أحييت وأن تسمعوا قولي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد والسلام عليكم ورحمة الله .

فكل من قرأ ذلك الكتاب من أشراف الناس كتبه غير المنذر بن الجارود فانه خشى بزعمه أن يكون دسيساً من قبل عبيد الله فجاءه بالرسول من العشيبة التي يريد صبيحتها أن ينسب إلى الكوفة وأقرأه كتابه فقدم الرسول فضرب عنقه وصعد عبيد الله منبر البصرة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فوالله ما تُقرن بي الصَّعْبَةُ ولا يقعقع لي بالشَّنان وإني لَنَكِلُ لمن عاداني وسمُّ لمن حاربنى أنصف القارة من راماه يا أهل البصرة إن أمير المؤمنين ولاني الكوفة وأنا غاد إليها الغداة وقد استخلفت عليكم عثمان بن زيد بن أبي سفيان وإياكم والخلاف والارجاف^(٣) فوالذي لا إله غيره لئن بلغني عن رجل منكم خلاف لأقتلنه وعريفه ووليه ولاخذن الأدنى بالأقصى حتى تستمعوا لي ولا يكون فيكم مخالف ولا مشاق أنا ابن زياد أشبهته من بين من وطىء الحصى ولم ينتزعني شبه خال ولا ابن عم .

ثم خرج من البصرة واستخلف أخاه عثمان بن زياد وأقبل إلى الكوفة ومعه مسلم بن عمر والباهلي وشريك بن الاعور الحارثي وحشمه وأهل بيته حتى

(١) لاصطفائه واختصاصه بها .

(٢) كذا بالأصل والأصح (وأوصيائه) وهو تصحيف .

(٣) الإرجاف : الإضطراب والجمع أراجيف ، والأراجيف هي الأخبار، وقد أرجفوا في الشيء إذا خاضوا فيه .

دخل الكوفة وعليه عمامة سوداء وهو متلثم والناس قد بلغهم إقبال حسين إليهم ينتظرون قدومه فظنوا حين قدم عبيد الله أنه الحسين فأخذ لا يمر على جماعة من الناس إلا سلموا عليه وقالوا مرحباً بك يا ابن رسول الله قدمت خير مقدم فرأى من تباشيرهم بالحسين عليه السلام ما ساءه فقال مسلم بن عمرو لما أكثروا تأخروا هذا الأمير عبيد الله بن زياد فأخذ حين أقبل على الظهر وانما بضعة عشر رجلاً فلما دخل القصر وعلم الناس أنه عبيد الله بن زياد دخلهم من ذلك كآبة وحزن شديد وغاز عبيد الله ما سمع منهم وقال ألا أرى هؤلاء كما أرى .

قال هشام قال أبو مخنف فحدثني المعلى بن كليب عن أبي وداك قال لما نزل القصر نودي «الصلاة جامعة» قال فاجتمع الناس فخرج إلينا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإن أمير المؤمنين أصلحه الله ولاني مصركم وثغركم وأمرني بانصاف مظلومكم واعطاء محرومكم وبالإحسان إلى سامعكم ومطيعكم وبالشدّة على مريبكم وعاصيكم وأنا متبع فيكم أمره ومنفذ فيكم عهده فأنا لمحسنكم ومطيعكم كالوالد البر وسوطي وسيفي على من ترك أمري وخالف عهدي فليبق امرؤ على نفسه الصديق ينبي عنك لا الوعيد .

ثم نزل فأخذ العرفاء والناس أخذاً شديداً فقال اكتبوا إليّ الغرباء ومن فيكم من طلبة أمير المؤمنين ومن فيكم من الحرورية وأهل الريب الذين رأيهم الخلاف والشقاق فمن كتبهم لنا فبرئ ومن لم يكتب لنا أحداً فيضمن لنا ما في عرافته ألا يخالفنا منهم مخالف ولا يبغى علينا منهم باغ فمن لم يفعل برئت منه الذمة وحلال لنا ماله وسفك دمه وأيما عريف وجد في عرافته من بغية أمير المؤمنين أحد لم يرفعه إلينا صلب على باب داره . والغيت تلك العرافة من العطاء وسُير إلى موضع بعمان الزاره .

وأما عيسى بن زيد الكنانى فإنه قال فيما ذكر عمر بن شبة عن هارون بن مسلم عن عليّ بن صالح عنه قال : لما جاء كتاب يزيد إلى عبيد الله بن زياد انتخب من أهل البصرة خمسمائة فيهم عبدالله بن الحارث بن نوفل وشريك بن الأعور وكانوا شبيعة لعلّ كان أول من سقط بالناس شريك فيقال إنه تساقط غمرة ومعه ناس ثم سقط عبدالله بن الحارث وسقط معه ناس ورجوا أن يلوى عليهم عبيد الله .

ويسبقه الحسين إلى الكوفة فجعل لا يلتفت إلى من سقط ويمضي حتى ورد القادسية وسقط مهران مولاه فقال أيا مهران على هذه الحال ان أمسكت عنك حتى تنظر إلى القصر فلك مائة ألف قال لا والله ما أستطيع فنزل عبيد الله فأخرج ثياباً مقطعة من مقطعات اليمن ثم اعتجر^(١) بمعجرة يمانية. فركب بغلته ثم انحدر راجلاً وحده فجعل يمر بالمحارس فكلما نظروا إليه لم يشكوا أنه الحسين فيقولون مرحباً يا ابن رسول الله وجعل لا يكلمهم وخرج إليه الناس من دورهم ويبتهم وسمع بهم النعمان بن بشير فغلق عليه وعلى خاصته وانتهى إليه عبيد الله وهو لا يشك أنه الحسين ومعه الخلق يضجون فكلمه النعمان فقال أنشدك الله ألا تنحيت عني ما أنا بمسلم إليك أمانتي وما لي في قتلك من أرب^(٢) فجعل لا يكلمه ثم إنه دنا وتدلى الآخر بين شرفتين فجعل يكلمه فقال افتح لافتحت فقد طال ليئك فسمعها إنسان خلفه فتكفى إلى القوم فقال أي قوم ابن مرجانة والذي لا إله غيره فقالوا ويحك إنما هو الحسين ففتح له النعمان فدخل وضربوا الباب في وجوه الناس فانفضوا .

وأصبح فجلس على المنبر فقال أيها الناس إني لأعلم أنه قد سار معي وأظهر الطاعة لي من هو عدو للحسين حين ظن أن الحسين قد دخل البلد وغلب عليه والله ما عرفت منكم أحداً ثم نزل وأخبر أن مسلم بن عقيل قدم قبله بليلة وأنه بناحية الكوفة فدعا مولى لبني تميم فأعطاه مالا وقال انتحل هذا الأمر وأعنيهم بالمال واقصد هانئاً ومسلم وانزل عليه فجاء هانئاً فأخبره أنه شيعة وأن معه مالا وقدم شريك بن الأعور شاكياً فقال هانئاً مَرُّ مسلماً يكون عندي فإن عبيد الله يعودني .

وقال شريك لمسلم أرايتك إن أمكنتك من عبيد الله أضاربه أنت بالسيف قال نعم والله وجاء عبيد الله شريكاً يعودني في منزل هانئاً وقد قال شريك لمسلم إذا سمعتني أقول أسقوني ماءً فأخرج عليه فاضربه وجلس عبيد الله على فراش شريك وقام على رأسه مهران فقال اسقوني ماءً فخرجت جارية بقدر فأت

(١) اعتجر : لف العمامة على رأسه .

(٢) أرب : هدف أو أمنية .

مسليما فزالا فقال شريك اسقوني ماءً ثم قال الثالثة وَسَلِّمَ تَحْمُونِي الماء أسقونيه ولو كانت فيه نفسي ففطن مهران فغمز عبيد الله فوثب فقال شريك أيها الأمير إني أريد أن أوصي إليك قال أعود إليك .

فجعل مهران يُطرد به وقال أراد والله قتلك قال وكيف مع إكرامي شريكا وفي بيت هانيء ويد أبي عنده فرجع فأرسل إلى أسماء بن خارجة ومحمد بن الأشعث فقال اثنياني بهانيء فقالا له إنه لا يأتي إلا بالأمان قال وماله وللامان وهل أحدث حدثاً انطلقا فإن لم يأت إلا بأمان فأمناه تأتياه فدعواه فقال إنه إن أخذني قتلني فلم يزل به حتى جاء به وعبيد الله يخطب يوم الجمعة فجلس في المسجد وقد رَجُل هانيء غَدِيرَ تَيْه فلما صلى عبيد الله قال يا هانيء فتبعه ودخل فسلم فقال عبيد الله يا هانيء أما تعلم أن أبي قدم هذا البلد فلم يترك أحداً من هذه الشيعة إلا قتله غير أبيك وغير حُجِرٍ وكان من حجر ما قد علمتَ ثم لم يزل يحسنُ صُحْبَتَكَ ثم كتب إلى أمير الكوفة أن حاجتي قبلك هانيء قال نعم فكان جزائي أن خبأت في بيتك رجلاً ليقتلني قال ما فعلتُ فأخرج التميمي الذي كان عيناً عليهم فلما رآه هانيء علم أن قد أخبره الخبر فقال أيها الأمير قد كان الذي بلغك ولن أضيع يدك عني فأنت آمِنٌ وأهلك فسر حيث شئت .

فكبا عبيد الله عندها ومهران قائم على رأسه في يده معكزة فقال واذلاه هذا العبد الحائك يُؤْمِنُكَ في سلطانك فقال خذه فطرح المعكزة وأخذ بضفيري هانيء ثم أقنع بوجهه ثم أخذ عبيد الله المعكزة فضرب به وجه هانيء ونَدَرَ الزُجَّ فارتز في الجدار ثم ضرب وجهه حتى كسر أنفه وجبينه وسمع الناس الهيعة (١) وبلغ الخبر مذحج فأقبلوا فأطافوا بالدار وأمر عبيد الله بهانيء فألقى في بيت وصيح المذحجيون (٢) وأمر عبيد الله مهران أن يُدخل عليه شُريحاً فخرج فأدخله عليه ودخلت الشرط معه فقال يا شريح قد ترى ما يصنع في قال أراك حيا قال وحى أنا مع ما ترى أخبر قومي أنهم إن انصرفوا قتلني فخرج إلى عبيد الله فقال

(١) الهيعة : يقول صاحب مختار الصحاح : الهيعة بوزن المشرعة ، الجحفة وهي ميقات أهل الشام ، والمهيج هو الطريق الواسع البين . وهنا بمعنى الارتجاج .

(٢) المذحجيون : قوم مذحج .

راجع هذه القصة في الإمامة والسياسة لابن قتيبة (٤/٢) ط. دار المعرفة بيروت .

قد رأيته حياً ورأيت أثراً سيئاً قال وتنكر أن يعاقب الوالي رعيته أخرج إلى هؤلاء فأخبرهم فخرج وأمر عبيد الله الرجل فخرج معه فقال لهم شريح ما هذه الرعة السيئة الرجل حى وقد عاتبه سلطانه بضرب لم يبلغ نفسه فانصرفوا ولا تحلوا بأنفسكم ولا بصاحبكم فانصرفوا .

- وذكر هشام عن أبي مخنف عن المعلى بن كليب عن أبي الوداك قال نزل شريك بن الأعور على هانئ ابن عروة المرادي وكان شريك شيعياً وقد شهد صفين مع عمار وسمع مسلم بن عقيل بمجىء عبيد الله ومقاتله التي قالها وما أخذ به العرفاء والناس فخرج من دار المختار وقد علم به حتى انتهى إلى دار هانئ بن عروة المرادي فدخل بابه وأرسل إليه أن اخرج فخرج إليه هانئ فكره هانئ مكانه حين رآه فقال له مسلم أتيتك لتجيرني وتضيفني فقال رحمك الله لقد كلفتنى شططا^(١) ولولا دخولك دارى وثقتك لأحببتُ لسألتك أن تخرج عني غير أنه يأخذني من ذلك ذمامٌ وليس مردود مثلي على مثلك عن جهل أدخل فأراه وأخذت الشيعة تختلف إليه في دار هانئ بن عروة ودعا ابن زياد مولى يقال له معقل فقال له خذ ثلاثة آلاف درهم ثم أطلب مسلم بن عقيل واطلب لنا أصحابه ثم أعطهم هذه الثلاثة آلاف فقال لهم استعينوا بها على حرب عدوكم وأعلمهم أنك منهم فانك لو قد أعطيتها إياهم اطمأنوا اليك ووثقوا بك ولم يكتموك شيئاً من أخبارهم ثم اغدُ عليهم ورح ففعل ذلك فجاء حتى أتى إلى مسلم بن عوسجة الأسدي من بني سعد بن ثعلبة في المسجد الأعظم وهو يصلي وسمع الناس يقولون إن هذا يبايع للحسين .

فجاء فجلس حتى فرغ من صلاته ثم قال يا عبد الله إني امرؤ من أهل الشام مولى للذي الكلاع أنعم الله على بحب أهل هذا البيت وحب من أحبهم فهذه ثلاثة آلاف درهم أردت بها لقاء رجل منهم بلغني أنه قدم الكوفة يبايع لابن بنت رسول الله ﷺ وكنت أريد لقاءه فلم أجداً أحداً يدلني عليه ولا يعرف مكانه فاني لجالس آنفاً في المسجد إذ سمعت نفرأ من المسلمين يقولون هذا رجل

(١) شططا : أي بعيداً وغلوأً ومجازة للحد .

له عِلْم بأهل هذا البيت وإني أتيتك لتقبض هذا المال وتدخلي على صاحبك فأبایعه وإن شئت أخذت بيعتي له قبل لقائه فقال احمد الله على لقائك إياي فقد سرتي ذلك لتنال ما تحب ولينصر الله بك أهل بيت نبيه ولقد ساءني معرفتك إياي بهذا الأمر من قبل أن ينمي مخافة هذا الطاغية وسطوته فأخذ بيعته قبل أن يبرح وأخذ عليه الموائيق المغلظة ليناصحن وليكتمن فأعطاه من ذلك ما رضي به .

ثم قال له اختلف إلى أياماً في منزلي فأنا طالب لك الإذن على صاحبك فأخذ يختلف مع الناس فطلب له الإذن فمرض هانء بن عروة فجاء عبيد الله عائداً له فقال له عمارة بن عبيد السلوي انما جماعتنا وكيدنا قتل هذا الطاغية فقد أمكنك الله منه فاقتله قال هانء ما أحب أن يُقتل في داري فخرج .

فما مكث إلا جمعة حتى مرض شريك بن الأعور وكان كريماً على ابن زياد وعلى غيره من الأمراء وكان شديد التشيع فأرسل إليه عبيد الله إني راثع اليك العشية فقال لمسلم ان هذا الفاجر عائدي العشية فإذا جلس فاخرج اليه فاقتله ثم اقعده في القصر ليس أحد يحول بينك وبينه فان برئت من وجعي هذا أيامي هذه سرت الى البصرة وكفيتك أمرها .

فلما كان من العشي أقبل عبيد الله لعيادة شريك فقام مسلم بن عقيل ليدخل وقال له شريك لا يفوتك اذا جلس فقام هانء بن عروة اليه فقال اني لا أحب أن يقتل في داري كأنه استقبح ذلك فجاء عبيد الله بن زياد فدخل فجلس فسأل شريكاً عن وجعه وقال ما الذي تجد ومتى أشكيت فلما طال سؤاله إياه ورأى أن الآخر لا يخرج خشى أن يفوته فأخذ يقول ما تنظرون بسلمي أن تحيوها أسقنيها وإن كانت فيها نفسي فقال ذلك مرتين أو ثلاثاً فقال عبيد الله ولا يفتن ما شأنه أترونه يهجر^(١) فقال له هانء نعم أصلحك الله ما زال هذا ديدنه قبيل عماية الصبح^(٢) حتى ساعته هذه ثم إنه قام فانصرف فخرج مسلم

(١) يهجر : أي يلفظ بكلمات غير مفهومة .

(٢) عماية الصبح : أوله .

فقال له شريك ما منعك من قتله؟ فقال خصلتان؛ أما إحداها فكراهة هانيء أن يقتل في داره وأما الأخرى فحديثٌ حدثه الناس عن النبي ﷺ إن الإيمان قيد الفتك ولا يفتك مؤمن (١) .

فقال هانيء أما والله لو قتلته لقتلت فاسقاً فاجراً كافراً غادراً ولكن كرهت أن يقتل في داري ولبث شريك بن الأعور بعد ذلك ثلاثاً ثم مات فخرج ابن زياد فصلني عليه وبلغ عبيد الله بعد ما قتل مسلماً وهانثاً أن ذلك الذي كنت سمعت من شريك في مرضه إنما كان يحرض مسلماً ويأمره بالخروج إليك ليقتلك فقال عبيد الله والله لا أصلي على جنازة رجل من أهل العراق أبداً والله لولا أن قبر زياد فيهم لنبشتُ شريكاً ثم أن معقلاً مولى ابن زياد الذي دسه بالمال إلى ابن عقيل وأصحابه اختلف إلى مسلم بن عوسجة أياماً ليدخله على ابن عقيل فأقبل به حتى أدخله عليه بعد موت شريك بن الأعور فأخبره خبره كله فأخذ ابن عقيل بيعته وأمر أبا ثمامة الصائدي فقبض ماله الذي جاء به وهو الذي كان يقبض أموالهم وما يعين به بعضهم بعضاً يشتري لهم السلاح وكان به بصيراً وكان من فرسان العرب ووجوه (٢) الشيعة وأقبل ذلك الرجل يختلف إليهم (٣) فهو أول داخل وآخر خارج يسمع أخبارهم ويعلم أسرارهم ثم ينطلق بها حتى يقرها في أذن ابن زياد قال وكان هانيء يغدو ويروح إلى عبيد الله فلما نزل به مسلم انقطع من الاختلاف وتمارض (٤) فجعل لا يخرج فقال ابن زياد لجلسائه مالي لا أرى هانثاً فقالوا هو شاكٌ فقال لو علمت بمرضه لعدته .

قال أبو مخنف فحدثني المجالد بن سعيد قال دعا عبيد الله محمد بن الأشعث وأسماء بن خارجة قال أبو مخنف حدثني الحسن بن عقبة المرادي أنه بعث معها عمرو بن الحجاج الزبيدي .

قال أبو مخنف وحدثني ثمر بن وعلة عن أبي الوداك قال كانت روعة أخت

(١) والسنة تنهى عن ترويع المؤمن وازهاق روحه ، إلا بحقها .

(٢) وجوه الشيعة : وجهاءها .

(٣) يختلف إليهم : يتردد عليهم .

(٤) تمارض : تظاهر بالمرض وأدعاه من غير علة .

عمرو بن الحجاج تحت هانيء بن عروة وهي أم يحيى بن هانيء فقال لهم ما يمنع هانيء بن عروة من اتياننا قالوا ما ندري أصلحك الله وإنه ليتشكى قال قد بلغني أنه قد برأ^(١) وهو يجلس على باب داره فالقوة فمُروه ألا يدع ما عليه في ذلك من الحق فاني لا أحب أن يفسد عندي مثله من أشراف العرب فأتوه حتى وقفوا عليه عشية وهو جالس على بابه فقالوا ما يمنعك من لقاء الأمير فانه قد ذكرك وقد قال لو أعلم انه شاك لعدته فقال لهم الشكوى تمنعني فقالوا له يبلغه أنك تجلس كل عشية على باب دارك وقد استبطأك والإبطاء والجفاء لا يحتمله السلطان أقسمنا عليك لما ركبت معنا فدعا بثيابه فلبسها ثم دعا ببغلة فركبها حتى اذا دنا من القصر كان نفسه أحسّت ببعض الذي كان فقال لحسان بن أسماء بن خارجة يا ابن أخي اني والله لهذا الرجل لحائف فما ترى .

قال أي عم والله ما أتخوف عليك شيئاً ولم تجعل على نفسك سبيلاً وانت برىء وزعموا أن أسماءهم لم يعلم في أي شيء بعث اليه عبيد الله فأما محمد فقد علم به فدخل القوم على ابن زياد ودخل معهم فلما طلع قال عبيد الله أتتكم بحائنين رجلاه وقد عرس عبيد الله اذ ذاك بأمر نافع ابنة عمارة بن عقبة فلما دنا من ابن زياد وعنده شريح القاضي التفت نحوه فقال :

أريدُ حبياءه وينريد قتلي عُذيرَكَ من خليليك المُراد وقد كان له أول ما قدم مُكرماً مُلطفاً فقال له هانيء وما ذاك أيها الأمير قال إيه يا هانيء بن عروة ما هذه الامور التي تَرَبِّصُ^(٢) في دورك لأمر المؤمنين وعامة المسلمين جئت بمسلم بن عقيل فأدخلته دارك وجمعت له السلاح والرجال في الدور حولك وظننت أن ذلك يخفى على لك قال ما فعلت وما مسلم عندي قال بلى قد فعلت قال ما فعلتُ قال بلى فلما كثر ذلك بينهما وأبي هانيء إلا مجاحدته ومناكرته دعا ابن زياد معقلاً ذلك العين فجاء حتى وقف بين يديه فقال أتعرف هذا قال نعم وعلم هانيء عند ذلك أنه كان عينا^(٣) عليهم وأنه قد أتاه

(١) برأ : شفى .

(٢) تربص : أي تترصد وقد حذفت إحدى التاءين للتخفيف .

(٣) عينا : جاسوسا .

بأخبارهم فسقط في خلده ^(١) ساعة ثم إن نفسه راجعته فقال له اسمع مني وصدق مقاتلي فوالله لا أكذبك والله الذي لا إله غيره ما دعوته إلى منزلي ولا علمت بشيء من أمره حتى رأيته جالساً على بابي فسألني النزول على فاستحييت من رده ودخلني من ذلك ذمام فأدخلته داري وضيافته وآويته وقد كان من أمره الذي بلغك فان شئت أعطيت الآن موثقاً مغلظاً وما تطمئن إليه ألا أبغيك سوءاً وإن شئت أعطيتك رهينة تكون في يدك حتى آتيك وأنطلق إليه فأمره أن يخرج من داري إلى حيث شاء من الأرض فأخرج من ذمامه وجواره فقال لا والله لا تفارقي أبداً حتى تأتيني به فقال لا والله لا أجيئك به أبداً أنا أجيئك بضيبي تقتله قال والله لتأتيني به قال والله لا آتيك به .

فلما كثر الكلام بينهما قام مسلم بن عمرو الباهلي وليس بالكوفة شامي ولا بصري غيره فقال أصلح الله الأمير خلني وإياه حتى أكلمه لما رأى لجاحته وتأنيبه ^(٢) على ابن زياد أن يدفع إليه مسلماً .

فقال لهاني قم إلى ههنا حتى أكلمك فقام فخلا به ناحية من ابن زياد وهما منه على ذلك قريب حيث يراهما إذا رفعاً . صوتيهما سمع ما يقولان وإذا خفضا خفي عليه ما يقولان فقال له مسلم يا هاني إني أنشدك الله أن تقتل نفسك وتدخل البلاء على قومك وعشيرتك فوالله إني لأنفس بك عن القتل وهو يرى أن عشيرته ستحرك في شأنه أن هذا الرجل ابن عم القوم وليسوا قاتليه ولا ضائريه ^(٣) فادفعه إليه فإنه ليس عليك بذلك مخزاة ولا منقصة إنما تدفعه إلى السلطان قال بلى والله أن على في ذلك للخزى والعار أنا أدفع جاري وضيبي وأنا حي صحيح أسمع وأرى شديد الساعد كثير الأعوان والله لو لم أكن إلا واحداً ليس لي ناصر لم أدفعه حتى أموت دونه فأخذ يناشده وهو يقول والله لا أدفعه إليه أبداً فسمع ابن زياد ذلك فقال ادنوه مني فأدنوه منه فقال والله لتأتيني به

(١) سقط في خلده : خطر على باله فالخلد بفتح الحين البال ، ويقال وقع ذلك في خلدي أي في قلبي .

(٢) تأنيبه على ابن زياد : ترفعه عليه .

(٣) ضائريه : أي ظالموه أو محدثو سوء به .

أو لأضربن عنقك قال إذا تكثر البارقة حول دارك فقال والهفاً عليك (١) أبا
البارقة تخوفني وهو يظن أن عشيرته سيمنعونه فقال ابن زياد ادنوه مني فأدني
فاستعرض وجهه بالقضيب فلم يزل يضرب أنفه وجبينه وخدّه حتى كسر أنفه
وسيل الدماء على ثيابه ونثر لحم خديه وجبينه على لحيته حتى كسر القضيب
وضرب هانيء بيده إلى قائم سيف شُرطي من تلك الرجال وجابذه (٢) الرجل
ومنع فقال عبيد الله أحرورى سائر اليوم أحللت بنفسك قد حل لنا قتلك خذوه
فألقوه في بيت من بيوت الدار وأغلقوا عليه بابه واجعلوا عليه خرساً ففعل ذلك
به فقام إليه أسماء ابن خارجة فقال أُرسلُ غدر سائر اليوم أمرتنا أن نجيثك
بالرجل حتى إذا جئناك به وأدخلناه عليك هشمّت وجهه وسيّلت دمه على لحيته
وزعمت أنك تقتله فقال له عبيد الله وإنك لههنا فأمر به فلهز وتعتّع به ثم ترك
فحبس .

وأما محمد بن الأشعث فقال قد رضينا بما رأى الأمير لنا كان أم علينا إنما
الأمير مؤدّب وبلغ عمرو بن الحجاج أن هائناً قد قُتل فأقبل في مذحج حتى
أحاط بالقصر ومعه جمع عظيم ثم نادى أنا عمرو بن الحجاج هذه فرسان مذحج
ووجوهها لم نخلع طاعة ولم نفارق جماعة وقد بلغهم أن صاحبهم يُقتل فأعظموا
ذلك فقبل لعبيد الله هذه مذحج بالباب فقال لشريح القاضي ادخل على
صاحبهم فانظر اليه ثم اخرج فأعلمهم أنه حتى لم يقتل وأنت قد رأيته فدخل
اليه شريح فنظر اليه .

قال أبو مخنف فحدثني الصقعب بن زهير عن عبد الرحمن بن شريح قال
سمعتة يحدث إسماعيل بن طلحة قال دخلت على هانيء فلما رأي قال يا الله يا
للمسلمين أهلكت عشيرتي فأين أهل الدين وأين أهل المصر تفاقدوا يُخلوني
وعدوهم وابن عدوهم والدماء تسيل على لحيته إذ سمع الرجة على باب القصر
وخرجت واتبعني فقال يا شريح إني لا أظنها أصوات مذحج وشيعتي من
المسلمين أن دخل على عشرة نفر انقدوني قال فخرجت إليهم ومعهم حميد بن بكر

(١) والهفا عليك : يا حسرة عليك .

(٢) يقال جابذه بألف المفاعلة أي جاذبه .

الاحمري أرسله معي ابن زياد وكان من شرطه (١) ممن يقوم على رأسه وأيم الله لولا مكانه معي لكنتُ أبلغت أصحابه ما أمرني به فلما خرجت إليهم قلت إن الأمير لما بلغه مكانكم ومقاتلكم في صاحبكم أمرني بالدخول إليه فأتيته فنظرتُ إليه فأمرني أن ألقاكم وأن أعلمكم أنه حيٌّ وأن الذي بلغكم من قتله كان باطلا فقال عمرو وأصحابه فأما إذ لم يقتل والحمد لله ثم انصرفوا .

قال أبو مخنف حدثني الحجاج بن علي عن محمد بن بشير الهمداني قال لما ضرب عبيد الله هائلاً وجبسه خشى أن يثب الناس به فخرج فصعد المنبر ومعه أشراف الناس وشرطه وحشمه (٢) فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس فاعتصموا بطاعة الله وطاعة أئمتكم ولا تختلفوا ولا تفرقوا (٣) فتهلكوا وتذلولوا وتقتلوا وتحرقوا وتحرموا إن أخاك من صدقك وقد أعذر من أنذر قال ثم ذهب لينزل فما نزل عن المنبر حتى دخلت النظارة المسجد من قبل التمارين يشتدون ويقولون قد جاء ابن عقيل، قد جاء ابن عقيل فدخل عبيد الله القصر مسرعاً وأغلق أبوابه .

قال أبو مخنف حدثني يوسف بن يزيد عن عبد الله بن حازم قال أنا والله رسول ابن عقيل إلى القصر لأنظر إلى ما صار أمر هانيء قال فلما ضرب وحُبس ركب فرس وكنت أول أهل الدار دخل على مسلم بن عقيل بالخبر وإذا نسوة لمراد مجتمعات ينادين يا عثرتاه يائكلاه فدخلت على مسلم بن عقيل بالخبر فأمرني أن أنادي في أصحابه وقد ملأ منهم الدور حوله وقد بايعه ثمانية عشر ألفاً وفي الدور أربعة آلاف فقال لي ناد يا منصور أمت فناديت يا منصور أمت وتنادي أهل الكوفة فاجتمعوا إليه فعقد مسلم لعبيد الله بن عمرو بن عزيز الكندي على ربع كندة وربيعة وقال سر أمامي في الخيل ثم عقد لمسلم بن عوسجة الأسدي على ربع مذحج وأسد وقال انزل في الرجال فأنت عليهم وعقد لابن ثمامة الصائغ على ربع تميم وحمدان وعقد لعباس بن جعدة الجدي على ربع

(١) شرطه : رجال شرطه .

(٢) حشمه : خدمه .

(٣) لا تفرقوا : أصلها لا تتفرقوا وحذفت إحدى التاءين للتخفيف .

المدينة ثم أقبل نحو القصر فلما بلغ ابن زياد إقباله تحرز في القصر وغلق الأبواب .

قال أبو مخنف وحدثني يونس بن أبي اسحاق عن عباس الجدي قال خرجنا مع ابن عقيل أربعة آلاف فما بلغنا القصر إلا ونحن ثلاثمائة قال وأقبل مسلم يسير في الناس من مراد حتى أحاط بالقصر ثم ان الناس تداعوا إلينا ^(١) واجتمعوا فوالله ما لبثنا إلا قليلاً حتى امتلأ المسجد من الناس والسوق وما زالوا يثوبون ^(٢) حتى المساء بعبيد الله ذرعه وكان كبير أمره أن يتمسك بباب القصر وليس معه إلا ثلاثون رجلاً من الشرط وعشرون رجلاً من أشرف الناس وأهل بيته ومواليه وأقبل أشرف الناس يأتون ابن زياد من قبل الباب الذي يلي دار الروميين وجعل من بالقصر مع ابن زياد يشرفون عليهم فينظرون إليهم فيتقون أن يرموهم بالحجارة وأن يشتموهم وهم لا يفترون على عبيد الله وعلى أبيه ودعا عبيد الله كثير بن شهاب ابن الحصين الحارثي فأمره أن يخرج فيمن أطاعه من مذبح فيسير بالكوفة ويخذل الناس عن ابن عقيل ويخوفهم الحرب ويحذرهم عقوبة السلطان وأمر محمد بن الأشعث أن يخرج فيمن أطاعه من كندة وحضرموت فيرفع راية أمان لمن جاءه من الناس وقال مثل ذلك للقعقاع بن شور السذلي وشبث بن ربعي التميمي وحجار ابن أبجر العجلي وشمر بن ذي الجوشن العامري وحبس سائر وجوه الناس عنده استيحاشاً إليهم لقلّة عدد من معه من الناس وخرج كثير بن شهاب يخذل الناس عن ابن عقيل .

قال أبو مخنف فحدثني ابن جناب الكلبي أن كثيراً ألفي رجلاً من كلب يقال له عبد الأعلى بن يزيد قد لبس سلاحه يريد ابن عقيل في بني فتیان فأخذه حتى أدخله على ابن زياد فأخبره خبره فقال لابن زياد إنما أردتك قال وكنت وعدتني ذلك من نفسك فأمر به فحبس وخرج محمد بن الأشعث حتى وقف عند دورتي عمارة وجاءه عمارة بن صلخب الأزدي وهو يريد ابن عقيل عليه سلاحه فأخذه فبعث به إلى ابن زياد فحبسه فبعث ابن عقيل إلى محمد بن الأشعث من

(١) تداعوا إلينا : أقبلوا علينا .

(٢) يثوبون : يرجعون .

المسجد عبد الرحمن بن شريح الشبامي فلما رأى محمد بن الأشعث كثرة من أتاه أخذ يتنحى ويتأخر وأرسل القعقاع بن شؤر الذهلي إلى محمد الأشعث قد حُلْتُ على ابن عقيل من العرار فتأخر عن موقفه فأقبل حتى دخل على ابن زياد من قبل دار الروميين فلما اجتمع عند عبيد الله كثير بن شهاب ومحمد والقعقاع فيمن أطاعهم من قومهم فقال له كثير وكانوا مناصحين لابن زياد أصلح الأمير معك في القصر ناس كثير من أشرف الناس ومن شُرك وأهل بيتك ومواليك فاخرج بنا إليهم فأبى عبيد الله وعقد لشبث بن ربعي لواء فأخرجه وأقام الناس مع ابن عقيل يكبرون ويثوبون حتى المساء وأمرهم شديد فبعث عبيد الله إلى الأشراف فجمعهم إليه ثم قال أشرفوا على الناس فمنا أهل الطاعة الزيادة والكرامة وخوفوا أهل المعصية الحرمان والعقوبة وأعلموهم فصول الجنود من الشام إليهم .

قال أبو مخنف حدثني سليمان بن أبي راشد عن عبد الله بن حازم الكبرى الأزدي من بني كبير قال أشرف علينا الأشراف فتكلم كثير بن شهاب أول الناس حتى كادت الشمس تجب^(١) فقال أيها الناس الحقوا بأهاليكم ولا تعجلوا الشر ولا تعرضوا أنفسكم للقتل فإن هذه جنود أمير المؤمنين يزيد قد أقبلت وقد أعطى الله الأمير عهداً لئن أتممت على حربه ولم تنصرفوا من عشيئكم أن يحرم ذريتكم العطاء ويفرق مقاتلتكم في مغازي أهل الشام على غير طمع وأن يأخذ البريء بالسقيم والشاهد بالغائب حتى لا يبقى له فيكم بقية من أهل المعصية إلا أذاقها وبال ما جرت أيديها وتكلم الأشراف بنحو من كلام هذا فلما سمع مقاتلتهم الناس أخذوا يتفرقون وأخذوا ينصرفون .

قال أبو مخنف فحدثني المجالد بن سعيد أن المرأة كانت تأتي ابنها أو أخاها فتقول انصرف الناس يكفونك ويحيىء الرجل إلى ابنه أو أخيه فيقول غداً يأتيك أهل الشام فما تصنع بالحرب والشر انصرف فيذهب به فما زالوا يتفرقون ويتصدعون حتى أمسى ابن عقيل وما معه ثلاثون نفساً في المسجد حتى صليت

(١) تجب الشمس : تختفي .

المغرب فما صلى مع ابن عقيل إلا ثلاثون نفساً فلما رأى أنه قد أمسى وليس معه إلا أولئك نفر خرج متوجهاً نحو أبواب كندة فلما بلغ الأبواب ومعه منهم عشرة ثم خرج من الباب وإذا ليس معه انسانٌ والتفت فإذا هو لا يحسُّ أحداً يدلّه على الطريق ولا يدلّه على منزلٍ ولا يواسيه بنفسه إن عرض له عدوٌ فمضى على وجهه يتلدد في أزقة الكوفة لا يدري أين يذهب حتى خرج إلى دور بني حَبَلَة من كندة فمشى حتى انتهى إلى باب امرأة. يقال لها طَوْعَة أم ولدٍ كانت للأشعث بن قيس فأعتقها فتزوجها أسيد الحضرمي فولدت له بلالا وكان بلالٌ قد خرج مع الناس وأمه قائمة تنتظره فسلم عليها ابن عقيل فردّت عليه فقال لها يا أمة الله اسقيني ماء فدخلت فسقته فجلس وأدخلت الإناء ثم خرجت فقالت يا عبد الله ألم تشرب قال بلى قالت فاذهب إلى أهلك فسكت ثم عادت فقالت مثل ذلك فسكت ثم قالت له فيء الله سبحانه الله يا عبد الله فمرّ إلى أهلك عافاك الله فإنه لا يصلح لك الجلوس على بابي ولا أحله لك فقام فقال يا أمة الله مالي في هذا المصر منزلٌ ولا عشيرة فهل لك إلى أجرٍ ومعروفٍ ولعلّ مكافئك به بعد اليوم فقالت يا عبد الله وما ذاك قال أنا مسلم بن عقيل كذّبي هؤلاء القوم وغروني قالت أنت مسلم قال نعم قالت ادخل فأدخلته بيتاً في دارها غير البيت الذي تكون فيه وفرشت له وعرضت عليه العشاء فلم يتعشّ ولم يكن بأسرع من أن جاء ابنها فرآها تكثر الدخول في البيت والخروج منه فقال والله إنه ليُرِيبني (١) كثرة دخولك هذا البيت منذ الليلة وخروجك منه إن لك لشأنا قالت يا بني الله عن هذا قال لها والله لتخبرني قالت أقبل علي شأنك ولا تسألني عن شيء فألحّ عليها فقالت يا بني لا تحدثن أحداً من الناس بما أخبرك به وأخذت عليه الايمان فحلف لها فأخبرته فاضطجع وسكت وزعموا أنه قد كان شريداً من الناس وقال بعضهم كان يشرب مع أصحاب له ولما طال علي ابن زياد وأخذ لا يسمع لأصحاب ابن عقيل صوتاً كما كان يسمعه قبل ذلك قال لأصحابه أشرفوا فانظروا هل ترون منهم أحداً فأشرفوا فلم يروا أحداً قال فانظروا لعلهم تحت الظلال قد كمنوا لكم ففرعوا بحاجح المسجد وجعلوا ينفضون شعل النار في

(١) يربيني : يشككني .

أيديهم ثم ينظرون هل في الظلال أحدٌ وكانت أخياناً تُضيء لهم وأحياناً لا تُضيء لهم كما يريدون فدلوا القناديل وأنصاف الطنان تشدّ بالحبال ثم تجعل فيها النيران ثم تدلّي حتى تنتهي إلى الأرض .

ففعلوا ذلك في أقصى الظلال وأدناها وأوسطها حتى فعلوا ذلك بالظلة التي فيها المنبر فلما لم يروا شيئاً علموا ابن زياد ففتح باب السُدة التي في المسجد ثم خرج فصعد المنبر وخرج أصحابه معه فأمرهم فجلسوا حوله قبيل العتمة وأمر عمرو بن نافع فنادى ألا برئت الذمة من رجل من الشرطة والعرفاء أو المناكب أو المقاتلة صلى العتمة إلا في المسجد فلم يكن له إلا ساعة حتى أمتلأ المسجد من الناس ثم أمر مناديه فأقام الصلاة فقال الحصين بن تميم إن شئت صليت بالناس أو يصلي بهم غيرك ودخلت أنت فصليت في القصر فإني لا آمن أن يغتالك بعض أعدائك فقال مُرّ حُرسي فليقوموا ورائي كما كانوا يقفون ودُرّ فيهم فإني لست بداخل إذاً. فصلّى بالناس ثم قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإن ابن عقيل السفية الجاهل قد أتى ما قد رأيتم من الخلاف والشقاق فبرئت ذمة الله من رجل وجدناه في داره ومن جاء به فله ديتة اتقوا الله عباد الله والزموا طاعتكم وبيعتمكم ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً .

يا حصين ابن تميم نكلتك أمك إن صاح بابُ سكةٍ من سكك الكوفة أو خرج هذا الرجل ولم تأتني به وقد سلطتُك على دور أهل الكوفة فابعث مُراصدةً على أفواه السكك وأصبح غدا واستبر الدور وجسّ خلالها حتى تأتيني بهذا الرجل .

وكان الحصين على شُرطه وهو من بني تميم ثم نزل ابن زياد فدخل وقد عقد لعمرو بن حُرَيْث راية وأمره على الناس فلما أصبح جلس مجلسه وأذن للناس فدخلوا عليه وأقبل محمد بن الأشعث فقال مَرحباً بمن لا يُستغش ولا يُتهم ثم أقعده إلى جنبه وأصبح ابن تلك العجوز وهو بلال بن أسيد الذي آوت أمه ابن عقيل فغدا إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فأخبره بمكان ابن

عقيل عند أمه قال فأقبل عبد الرحمن حتى أتى أباه وهو عند بن زياد فساره^(١)
فقال له ابن زياد ما قال لك قال أخبرني أن ابن عقيل في دار من دورنا^(٢)
فَنَحَسَ^(٣) بالقضيب في جنبه ثم قال قم فاتني به الساعة .

قال أبو مخنف فحدثني قدامة بن سعيد بن زائدة بن قدامة الثقفي أن ابن
الأشعث حين قام ليأتيه بابن عقيل بعث إلى عمرو بن حُرَيْث وهو في المسجد
خليفته على الناس أن يبعث مع ابن الأشعث ستين أو سبعين رجلاً كلهم من
قَيْس وإنما كره أن يبعث معه قومه لأنه قد علم أن كل قوم يكرهون أن يُصادَفَ
فيهم مثل ابن عقيل فبعث معه عمرو بن عبيد الله بن عباس السُلَمي في ستين أو
سبعين من قَيْس حتى أتوا الدار التي فيها ابن عقيل فلما سمع وقع حوافر الخيل
وأصوات الرجال عرف أنه قد أتى فخرج اليهم بسيفه واقتحموا عليه الدار فشَدَّ
عليهم يضربهم بسيفه حتى أخرجهم من الدار ثم عادوا إليه فشَدَّ عليهم كذلك
فاختلف هو وبُكَيْرُ بن حُمران الأحمري ضربتين فضرِبَ بُكَيْرُ فَمَ مسلم فقطع
شفته العليا وأشرَعَ السيف في السفلى ونصلت لها ثنيتاه فضرِبَ مسلم ضربة في
رأسه مُنْكَرَةً وثني بأخرى على حبل العاتق كادت تطلع على جَوْفِهِ فلما رأوا ذلك
أشرفوا عليه^(٤) من فوق ظهر البيت فأخذوا يرمونه بالحجارة ويلهبون النار في
أطنان القصب ثم يَقْلِبُونَهَا عليه من فوق البيت فلما رأى ذلك خرج عليهم مُصْلِتاً
بسيفه^(٥) في السكة فقاتلهم فأقبل عليه محمد بن الأشعث فقال يا فتى لك الأمان
لا تَقْتُلْ نفسك فأقبل يقاتلهم وهو يقول :

أَقْسَمْتُ لَا أَقْتُلُ إِلَّا حُرّاً وإن رأيتُ المَوْتَ شيئاً نُكِرّاً
كُلُّ امرئٍ يَوماً مُلاقٍ شَرّاً ويُخلطُ الباردُ سُخْناً مُرّاً
رَدَّ شُعاعُ الشمسِ فاستقرا أخافُ أنْ أُكْذِبَ أوْ أُغْرَا

(١) ساره: تحدث إليه سراً .

(٢) دورنا وردت في الأصل دونا وما أوردناه أصح .

(٣) نحس بالقضيب في جنبه : وكزه به .

(٤) أشرفوا عليه : اطلعوا عليه من فوق .

(٥) مصلتا بسيفه : مشهراً إياه .

فقال له محمد بن الأشعث إنك لا تُكذِّب ولا تُخدع ولا تُغرَّ إن القوم بنو عمك وليسوا بقاتليك ولا ضاربك وقد أُنْجِن بالحجارة وعجز عن القتال وأنبهر^(١) فأَسْنَدَ ظهره الى جنب تلك الدار فدنا محمد بن الأشعث فقال لك الأمانُ فقال آمِنُ أنا قال نعم وقال القوم أنت آمن غير عمرو بن عبيد الله بن العباس السلمي فانه قال لا ناقة لي في هذا ولا جملَ وتنجى .

وقال ابن عقيل أما لو لم تؤمنوني ما وضعت يدي في أيديكم وأقْبَلْ بِيغْلَةً فحمل عليها واجتمعوا حوله وانتزعوا سيفه من عنقه فكأنه عند ذلك آيس^(٢) من نفسه فدمعت عيناه ثم قال هذا أول الغدر قال محمد بن الأشعث أرجو ألا يكون عليك بأس قال ما هو إلا الرجاء أين أمانكم إنا لله وإنا إليه راجعون وبكى فقال له عمرو بن عبيد الله بن عباس إن من يطلب مثل الذي تطلب إذا نزل به مثل الذي نزل بك لم يبك قال إني والله ما لنفسي أبكى ولا لها من القتل أرني وإن كنت لم أحب لها طرفة عين تلفاً ولكن أبكى لأهلي المقبلين إلي أبكي لحسين وآل حسين .

ثم أقبل على محمد بن الأشعث فقال يا عبد الله إني أراك والله ستعجز عن أمانني فهل عندك خير تستطيع أن تبعث من عندك رجلاً على لساني يبلغ حسيناً فأني لا أراه إلا قد خرج اليكم اليوم مقبلاً أو هو خارج غداً هو وأهل بيته وإن ما ترى من جزعي لذلك فيقول إن ابن عقيل بعثني اليك وهو في أيدي القوم أسير لا يرى أن تمشي حتى تُقتل وهو يقول أرجع بأهل بيتك ولا يغرك أهل الكوفة فانهم أصحاب أبيك الذي كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل إن أهل الكوفة قد كذبوك وكذبوني وليس لمكذوب^(٤) رأى فقال ابن الأشعث والله لأفعلن ولأعلمن ابن زياد أني قد أمنتك .

(١) انبهر : يقال بهره غلبه وبابه قطع ، والبهر بالضم تتابع النفس وبالفتح المصدر ، وانبهر أي تتابع نفسه .

راجع المختار (ص ٦٧) . بتصرف .

(٢) آيس : يائس .

(٤) ليس لمكذوب رأي لأنه كما قال ﷺ : « إن الرائد لا يكذب أهله . » .

قال أبو مخنف فحدثني جعفر بن حذيفة الطائي وقد عرف سعيد بن شيبان الحديث قال دعا محمد بن الأشعث إياس بن العثل الطائي من بني مالك بن عمرو بن ثمامة وكان شاعراً وكان لمحمد زواراً فقال له القَ حَسِيناً فأبلغه هذا الكتاب وكتب فيه الذي أمره ابن عقيل وقال له هذا زادك وجهائك ومُتعة لعيالك فقال من أين لي براحة فان راحلي قد أنضيتُها ^(١) قال هذه راحلة فاركبها برحلتها ثم خرج فاستقبله بزُبالة لأربع ليال فأخبره الخبر وبلغه الرسالة فقال له حسين كل ما حُمَّ نازل ^(٢) وعند الله نحتسب أنفسنا وفساد أمتنا وقد كان مسلم ابن عقيل حيث تحوّل إلى دار هانيء بن عروة وبإيعه ثمانية عشر ألفاً قدّم كتاباً إلى حسين مع عابس بن أبي شبيب الشاكري . أما بعد فان الرائد لا يَكْذِبُ أهله وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً فعجل الإقبال حين يأتيك كتايي فإن الناس كلهم معك ليس لهم في آل معاوية رأى ولا هوى والسلام وأقبل محمد بن الأشعث بابن عقيل إلى باب القصر فاستأذن فأذن له فأخبر عبيد الله خبر ابن عقيل وضرب بُكير إياه فقال بُعداً له فأخبره محمد بن الأشعث بما كان منه وما كان من أمانه إياه فقال عبيد الله ما أنت والأمان كأننا أرسلناك تؤمنه إنما أرسلناك تأتينا به فسكت وانتهى ابن عقيل إلى باب القصر وهو عطشان وعلى باب القصر ناس جلوس ينتظرون الإذن منهم عمارة بن عقبة بي أبي مُعَيْط وعمرو بن حريث ومسلم بن عمرو وكثير بن شهاب .

قال أبو مخنف فحدثني قدامة بن سعد أن مسلم بن عقيل حين انتهى إلى باب القصر فاذا قُلَّةٌ باردة موضوعة على الباب فقال ابن عقيل اسقوني من هذا الماء فقال له مسلم بن عمرو أتراها ما أبردها لا والله لا تذوق منها قطرة أبداً حتى تذوق الحميم في نار جهنم قال له ابن عقيل ويحك مَنْ أنت قال أنا ابن من عرف الحق إذ أنكرته ونصح لإمامه إذ غششته وسمع وأطاع إذ عصيته وخالفت أنا مسلم بن عمرو الباهلي فقال ابن عقيل لأُمِّك الشُّكْلُ ما أجفاك وما أفضُّك

(١) أنضيتها : أهزلتها ، ويقال النضو : البعير المهزول ، والناقة نضوة وقد أنضتها الأسفار فهي منضأة ، وأنضى بعيره هزله ، ويقال نضاً ثوبه خلعه .

(٢) كل ما حُم نازل : أي كل مقدور لا فرار منه ولا محيص عنه .

وأقسى قلبك وأغلظك أنت يا ابن باهلة أولى بالحميم والخلود في نار جهنم مني
ثم جلس متسانداً إلى حائط قال أبو مخنف فحدثني قدامة بن سعد أن عمرو بن
حريث بعث غلاماً له يدعى سليمان فجاءه بماء في قلة فسقاه .

قال أبو مخنف وحدثني سعيد بن مدرك بن عمارة أن عمارة بن عقبة بعث
غلاماً له يدعى قيساً فجاءه بقلة عليها منديل ومعه قدح فصب فيه ماء ثم سقاه
فأخذ كلما شرب امتلأ القدح دماً فلما ملأ القدح المرة الثالثة ذهب ليشرّب
فسقطت ثنيته فيه فقال الحمد لله لو كان لي من الرزق المقسوم شربته وأدخل
مسلم على ابن زياد فلم يسلم عليه بالإمرة فقال له الحرسي ألا تسلم على الأمير
فقال له ان كان يريد قتلي فما سلامي عليه وإن كان لا يريد قتلي فلعمري ليكثر
سلامي عليه فقال له ابن زياد لعمري لتقتلن قال كذلك قال نعم قال فدعني
أوصر إلى بعض قومي فنظر إلى جلساء عبيد الله وفيهم عمر بن سعد فقال يا
عمر إن بيني وبينك قرابة ولي إليك حاجة وقد يجب لي عليك نُجْحٌ حاجتي وهو
سرّ فأبى أن يمكنه من ذكرها فقال له عبيد الله لا تمتنع أن تنظر في حاجة ابن
عمك فقام معه فجلس حيث ينظر إليه ابن زياد فقال له إن علي بالكوفة ديناً
استدنته منذ قدمت الكوفة سبعمائة درهم فاقضها عني وانظر جُثتي فاستوهبها
من ابن زياد فوارها وابعث إلى حسين من يرده فأبى قد كتبت إليه أعلمه أن
الناس معه ولا أراه إلا مقبلاً فقال عمر لابن زياد أتدري ما قال لي إنه ذكر كذا
وكذا قال له ابن زياد إنه لا يخونك الأمين ولكن قد يؤتمن الخائن أما مالك فهو
لك ولسنا نمنعك أن تصنع فيه ما أحببت وأما حسين فإنه إن لم يُردنا لم نرده وإن
أرادنا لم ^(١) نكف عنه وأما جُثته فانا لن نشفعك فيها إنه ليس بأهل منا لذلك قد
جاهدنا وخالفنا وجهد على هلاكنا وزعموا أنه قال أما جُثته فانا لا نبالي إذا قتلناه
ما صُنِعَ بها ثم إن ابن زياد قال إيه يا ابن عقيل أتيت الناس وأمرهم جميع
وكلمتهم واحدة لتُشتتهم وتُفرق كلمتهم وتحمل بعضهم على بعض قال كلا
لست أتيت ولكن أهل المصر زعموا أن أباك قتل خيارهم وسفك دماءهم وعمل
فيهم أعمال كسرى وقيصر فأتيناهم لنأمر بالعدل ونذعو إلى حكم الكتاب قال

(١) أي لو غزانا .

وما أنت وذاك يا فاسقُ أو لم تكن تعمل بذلك فيهم إذ أنت بالمدينة تشرب الخمر قال أنا أشرب الخمر والله إن الله ليعلم إنك غير صادق وإنك قلتَ بغير علم وإني لست كما ذكرت وإن أحقَّ بشرب الخمر مني وأولى بها مَنْ يَلْغُ في دماء^(١) المسلمين وَلَغاً فيقتل النفس التي حرم الله قتلها ويقتل النفس بغير النفس ويسفك الدم الحرام ويقتل على الغضب والعداوة وسوء الظن وهو يلهو ويلعب كأن لم يصنع شيئاً فقال له ابن زياد يا فاسقُ إن نفسك تمنيك ما حال الله دونه^(٢) ولم يرك أهله قال فمن أهله يا ابن زياد قال أمير المؤمنين يزيد فقال الحمد لله على كل حال رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم قال كأنك تظن أن لكم في الأمر شيئاً قال والله ما هو بالظن ولكنه اليقين قال قتلي الله إن لم أقتلك قتلة لم يُقتلها أحد في الإسلام قال أما إنك أحق من أحدث^(٣) في الإسلام ما لم يكن فيه أما إنك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السيرة ولؤم الغلبة ولا أحد من الناس أحق بها منك .

وأقبل ابن سمية يشتمه ويشتم حسيناً وعلياً وعقيلاً وأخذ مسلم لا يكلمه وزعم أهل العلم أن عبيد الله أمر له بماء فُسقى بِخُرْقة ثم قال له إنه لم يمنعنا أن نسقيك فيها إلا كراهة أن تحرم بالشرب فيها ثم نقتلك ولذلك سقيناك في هذا ثم قال اصعدوا به فوق القصر فاضربوا عنقه ثم اتبعوا جسده رأسه فقال يا ابن الأشعث أما والله لولا أنك آمنتني ما استسلمت قم بسيفك دوني فقد أخفرت ذمتك ثم قال يا ابن زياد أما والله لو كانت بيني وبينك قرابة ما قتلتني ثم قال ابن زياد أين هذا الذي ضرب ابن عقيل رأسه بالسيف وعاتقه فدُعِيَ فقال اصعد فكن أنت الذي تضرب عنقه فصعد به وهو يكبر ويستغفر ويصلي على ملائكة الله ورسله وهو يقول اللهم احكم بيننا وبين قوم غرّونا وكذبونا وأذلّونا واشرف به على موضع الجزارين اليوم فضربت عنقه وأتبع جسده رأسه .

(١) يقال ولغ الكلب في الإناء يلع ولوغاً أي شرب ما فيه بأطراف لسانه ، ويقال ولغ بشرابنا وفي شرابنا ومن شرابنا .

(٢) ما حال الله دونه : ما لم يرد تحقيقه .

(٣) أحدث في الإسلام : ابتدع فيه ما ليس منه .

قال أبو مخنف حدثني الصقعب بن زهير عن عوف بن أبي جُحَيْفَةَ قال نزل
الأحمري بُكَيْرَ بن حُمران الذي قتل مسلماً فقال له ابن زياد قتلته قال نعم قال فما
كان يقول وأنتم تصعدون به قال كان يكبّر ويسبّح ويستغفر فلما أدنيته لأقتله قال
اللهم احكم بيننا وبين قوم كذبونا وغرّبونا وخذلونا وقتلونا فقلت له أدن مني
الحمد لله الذي أقادني^(١) منك فضربته ضربة لم تغن شيئاً فقال أما ترى في
خُدش تخدشني وفاء من دمك أيها العبد فقال ابن زياد وفخراً عند الموت قال ثم
ضربته الثانية فقتلته .

قال وقام محمد بن الأشعث إلى عبيد الله بن زياد فكلّمه في هانيء بن عروة
وقال إنك قد عرفت منزلة هانيء بن عروة في المصر وبيته في العشيرة وقد علم
قومه أني وصاحبي سُقناه إليك فأنشدك الله لما وهبته لي فإني أكره عداوة قومهم هم
أعز أهل المصر وعدد أهل اليمن . قال فوعده أن يفعل فلما كان من أمر مسلم
ابن عقيل ما كان بدالة فيه وأبى أن يفي له بما قال قال فأمر بهانيء بن عروة حين
قتل مسلم بن عقيل فقال أخرجوه إلى السوق فاضربوا عنقه قال فأخرج بهانيء
حتى انتهى إلى مكان من السوق كان يُباع فيه الغنم وهو مكتوف فجعل يقول
وأمذحجاه ولا مذحج لي اليوم وا مذحجاه وأين مني مذحج فلما رأى أن أحداً لا
ينصره جذب يده فنزعها من الكتاف ثم قال أما من عصا أو سكين أو حجر أو
عظم يُباحش^(٢) به رجل عن نفسه . قال ووثبوا إليه فشدوه وثاقاً ثم قيل له
أمدد عنقك فقال ما أنا بها مُجد سخي وما أنا بمعينكم على نفسي .

قال فضربه مولى لعبيد الله بن زياد تركي يقال له رشيد بالسيف فلم
يصنع سيفه شيئاً فقال هانيء إلى الله المَعاد اللهم إلى رحمتك ورضوانك ثم ضربه
أخرى فقتله .

قال فبصر به عبد الرحمن بن الحصين المرادي بخازن وهو مع عبيد الله بن
زياد فقال الناس هذا قاتل هانيء بن عروة فقال ابن الحصين قتلي الله إن لم أقتله

(١) أقادني منك : أي اقتص لي منك والقود هو القصاص .

(٢) يجاحش به : ويقال للرجل إذا كان مستبداً برأيه ، ويسمى جحيش وحده وهو ذم .

أو أقتل دونه فحمل عليه بالرمح فطعنه فقتله ثم إن عبيد الله بن زياد لما قتل مسلم ابن عقيل وهانيء بن عروة دعا بعبد الأعلى الكلبي الذي كان أخذه كثير بن شهاب في بني فتيان فأقّ به فقال له أخبرني بأمرك فقال أصلحك الله خرجتُ لأنظر ما يصنع الناس فأخذني كثير بن شهاب فقال له فعليك وعليكَ من الأيمان المغلظة إن كان أخرجك إلا ما زعمت فأبى أن يحلف فقال عبيد الله انطلقوا بهذا إلى جبانة السبع فاضربوا عنقه بها قال فانطلقَ به فضربت عنقه قال وأخرج عمارة ابن صلخب الأزدي وكان ممن يريد أن يأتي مسلم بن عقيل بالنصرة لينصره فأقّ به أيضاً عبيد الله فقال له ممن أنت قال من الأزدي انطلقوا به إلى قومه فضربت عنقه فيهم فقال عبد الله بن الزبير الأسدي في قتله مسلم بن عقيل وهانيء بن عروة المرادى ويقال قاله الفرزدق :

إلى هانيء في السوق وابن عقيل	إن كنت لا تدرين ما الموت فانظري
وأخر يهوى من طمار ^(١) قتيلا	إلى بطل قد هشم السيف وجهه
أحاديث من يسرى بكل سبيل	أصاهما أمر الأمير فأصبحا
ونضح دم قد سال كل مسيل	ترى جسداً قد غير الموت لونه
وأقطع من ذي شفرتين ^(٣) صقيل	فتى هو أحيى ^(٢) من فتاة حياء
وقد طلبته مذحج بذحول	أيركب أسماء الهماليج ^(٤) آمناً
على رقبة من سائل ومسول	تطيف حواليه مراد وكلهم
فكونوا بغايا أرضيت بقليل	فان أنتم لم تشاروا بأخيكم

قال أبو مخنف عن أبي جناب يحيى بن أبي حية الكلبي قال ثم إن عبيد الله ابن زياد لما قتل مسلماً وهانشاً بعث برأسيهما مع هانيء بن أبي حية الوادعي والزبير ابن الأرواح التميمي إلى يزيد بن معاوية وأمر كاتبه عمرو بن نافع أن يكتب

(١) طمار : أثواب ومفرده طمر بالكسر الثوب الخلق . الجمع أطمار والواحد الطومار ، وقد يجمع على طوامير .

(٢) أحي : أكثر حياء .

(٣) أقطع من ذي شفرتين : أشد قطعاً من السيف .

(٤) سبق شرحها .

إلى يزيد بن معاوية بما كان من مسلم وهانيء فكتب إليه كتابا أطال فيه وكان أول من أطال في الكتب فلما نظر فيه عبید الله بن زياد كرهه وقال ما هذا التطويل وهذه الفضول اكتب أما بعد فالحمد لله الذي أخذ لأمر المؤمنين بحقه وكفاه مؤنة عدوه أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله أن مسلم بن عقيل لجأ إلى دار هانيء بن عروة المرادي وإني جعلت عليهما العيون ودسست إليهما الرجال وكذتُهما حتى استخرجتهما وأمكن الله منهما فقدمتهما فضربت أعناقهما وقد بعثت إليك برأسيهما مع هانيء بن أبي حية الهمداني والزبير بن الأرواح التميمي وهما من أهل السمع والطاعة والنصيحة فليسألهما أمير المؤمنين عما أحب من أمر فإن عندهما علماً وصدقاً وفهماً وورعاً والسلام فكتب إليه يزيد أما بعد فإنك لم تعد أن كنت كما أحب عملت عمل الخازم وصُلّت صَوْلَةُ الشجاع الرابط الجأش^(١) فقد أغنيت وكفيت وصدقت ظني بك ورأيي فيك وقد دعوت رسولك فسألتهما وناجيتهما فوجدتهما في رأيهما وفضلهما كما ذكرت فاستَوْص بها خيراً وإنه قد بلغني أن الحسين بن عليّ قد توجه نحو العراق فضع المناظر والمسالح واحترس على الظن وخذ على التهمة غير ألا تقتل إلا من قاتلك واكتب إليّ في كل ما يحدث من الخبر والسلام عليك ورحمة الله .

قال أبو مخنف حدثني الضعقب بن زهير عن عون بن أبي جحيفة قال كان مخرج مسلم بن عقيل بالكوفة يوم الثلاثاء لثمانى ليال مضين من ذي الحجة سنة (٢) ٦٠ ويقال يوم الأربعاء لسبع مضين سنة ٦٠ من يوم عرفة بعد مخرج الحسين من مكة مقبلاً إلى الكوفة بيوم قال وكان مخرج الحسين من المدينة إلى مكة يوم الأحد لليلتين بقيتا من رجب سنة ٦٠ ودخل مكة ليلة الجمعة لثلاث مضين من شعبان فأقام بمكة شعبان وشهر رمضان وشوال وذا القعدة ثم خرج منها لثمان مضين من ذي الحجة يوم الثلاثاء يوم التروية في اليوم الذي خرج فيه مسلم بن عقيل .

(١) رابط الجأش : قوي القلب .

(٢) راجع العقد الفريد لابن عبد ربه (٣٧٨/٤)

وذكرها هارون بن مسلم عن علي بن صالح عن عيسى بن يزيد أن المختار بن أبي عبيد وعبد الله بن الحارث بن نوفل كانا خرجا مع مسلم خرج المختار براية خضراء وخرج عبد الله براية حمراء وعليه ثياب مُر وجاء المختار برايته فركزها على باب عمرو بن حريث وقال إنما خرجتُ لأمنع عمراً وأن الأشعث والقعقاع بن شور وشبث بن ربعي قاتلوا مسلماً وأصحابه عشية سار مسلم إلى قصر ابن زياد قتالا شديداً وأن شيئاً جعل يقول انتظروا بهم الليل ينفركوا فقال له القعقاع إنك قد سددت على الناس وجه مصيرهم فافرج لهم ينسربوا وأن عبيد الله أمر أن يطلب المختار وعبد الله بن الحارث وجعل فيهما جعلاً فأقنَ بهما فحبسا .

وفي هذه السنة^(١) كان خروج الحسين عليه السلام من مكة متوجهاً إلى الكوفة .

(١) أي سنة ٦٠ هـ .

ذكر الخبر عن مسير الهجاء والكمالات من الأمور في مسير وفاته

قال هشام عن أبي مخنف حدثني الصقعب بن زهير عن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي قال لما قدمت كتب أهل العراق إلى الحسين وتهياً للمسير^(١) إلى العراق أتته فدخلت عليه وهو بمكة فحمدت الله وأثنيت عليه ثم قلت أما بعد فإني أتيتك يا ابن عم لحاجة أريد ذكرها لك نصيحة فإن كنت ترى أنك تستنصحنني وإلا كففت عما أريد أن أقول فقال قل فوالله ما أظنك بشيء الرأي ولا هوى القبيح من الأمر والفعل قال قلت له إنه قد بلغني أنك تريد المسير إلى العراق وإني مشفق عليك من مسيرك إنك تأتي بلداً فيه عماله وأمرؤه ومعهم بيوت الأموال وإنما الناس عبيد لهذا الدرهم^(٢) والدينار ولا آمن عليك أن يقاتلك من وعدك نصره ومن أنت أحب إليه ممن يقاتلك معه فقال الحسين جزاك الله خيراً يا ابن عم فقد والله علمت أنك مشيت بنصح وتكلمت بعقلٍ ومهما يقض من أمر يكن أخذت برأيك أو تركته فأنت عندي أحمد مُشير وأنصح ناصح قال فانصرفت من عنده فدخلت على الحارث بن خالد بن العاص بن هشام فسألني هل لقيت حسيناً فقلت له نعم قال

(١) تهياً للمسير : استعد له .

(٢) وهذه طبيعة الناس التي طبعوا عليها وفطروا بها وهي أنهم عند الدراهم والدنانير تذلل أعناقهم ، وتذهب أخلاقهم لعن الله الحرص .

فما قال لك وما قلت له قال فقلت له قلت كذا وكذا وقال كذا وكذا فقال نصحته ورب المروة الشهباء أما ورب البنية إن الرأي لما رأيته قبله أو تركه ثم قال :

رُبُّ مُسْتَنْصَحٍ يَغْشَى وَيُرْدِي^(١) وَظَنِينَ^(٢) بِالْغَيْبِ يُلْفَى^(٣) نصيحا

قال أبو مخنف وحدثني الحارث بن كعب الوالبي عن عتبة بن سمعان أن حسيناً لما أجمع المسير إلى الكوفة أتاه عبد الله بن عباس فقال يا ابن عم إنك قد أرجف الناس أنك سائر إلى العراق فبين لي ما أنت صانع قال إني قد أجمعت المسير في أحد يومي هذين إن شاء الله تعالى فقال له ابن عباس إني أعيذك بالله من ذلك أخبرني رحك الله أتسير إلى قوم قد قتلوا أمرهم وضبطوا بلادهم ونفّوا عدوهم فإن كانوا قد فعلوا ذلك فسر إليهم وإن كانوا إنما دَعَوْكَ إليهم وأميرهم عليهم قاهر لهم وعماله تجبى بلادهم فإنهم إنما دعوك إلى الحرب والقتال ولا آمن عليك أن يغروك ويكذبوك ويخالفوك ويخذلوك وأن يستنفروا اليك فيكونوا أشد الناس عليك فقال له حسين وإني أستخير الله وأنظر ما يكون قال فخرج ابن عباس من عنده وأتاه ابن الزبير فحدثه ساعة ثم قال ما أدري ما تَرَكْنَا هؤلاء القوم وكفنا عنهم ونحن أبناء المهاجرين وأُولاة هذا الأمر دونهم خبرني ما تريد أن تصنع فقال الحسين والله لقد حدثت نفسي بآتيان الكوفة ولقد كتب إلى شيعتي بها وأشرف أهلها وأستخير^(٤) الله فقال له ابن الزبير أما لو كان لي بها مثل

(١) يردى : يهلك .

(٢) ظنين : متهم .

(٣) يلقى : يوجد ، وألفيته : وجدته .

(٤) أي يطلب من الله أن يختار له ما فيه العافية والسلام وقد وردت سنة الاستخارة وحديثها صحيح أورده الامام البخاري في الدعوات (١٥٥/١١ - ١٥٨) وكذلك رواه أحمد في مسنده (١٤٤٤) والترمذي (٢١٥٢) .

وكان شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله يقول : ما ندم من استخار الخالق وشاور المخلوقين ، وثبت في أمره وقد قال سبحانه وتعالى : - (وشاورهم في الأمر . فإذا عزمت فتوكل على الله) آل عمران (١٥٩/٣)

وقال قتادة : ما تشاور قوم يبتغون وجه الله إلا هداوا إلى أرشد أمرهم .

شيعةك ما عدلتُ بها قال ثم إنه خشي أن يتهمة فقال أما إنك لو أقمت بالحجاز ثم أردت هذا الأمر ههنا ماخولفَ عليك إن شاء الله ثم قام فخرج من عنده فقال الحسين ها إن هذا ليس شيء يؤتاه من الدنيا أحب إليه من أن أخرج من الحجاز إلى العراق وقد علم أنه ليس له من الأمر معي شيء وإن الناس لم يعدلوه بي فودّ أي خرجت منها لتخلو له قال فلما كان من العشي أو من الغد أتى الحسين عبد الله بن العباس فقال يا ابن عم إني أتصبر^(١) ولا أصبر .

إني أتخوف عليك في هذا الوجه الهلاك والاستئصال إن أهل العراق قوم غدر فلا تقربنهم أقم بهذا البلد فإنك سيد أهل الحجاز فإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فاكتب إليهم فلينفوا عدوهم ثم أقدم عليهم فإن أبيت إلا أن تخرج فسر إلى اليمن فإن بها حصوناً وشعاباً وهي أرضٌ عريضة طويلة ولأبيك بها شيعة وأنت عن الناس في عزلة فتكتب إلى الناس وترسل وتبث دعائك فلإني أرجو أن يأتيك عند ذلك الذي تحب في عافية فقال له الحسين يا ابن عم إني والله لأعلم أنك ناصحٌ مشفقٌ ولكني قد أزمعت^(٢) على المسير فقال له ابن عباس فإن كنت ساراً فلا تسر بنسائك وصبيّتك فوالله إني لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ونسأؤه وولده ينظرون إليه .

ثم قال ابن عباس لقد أقررت عينَ ابن الزبير وبتخليتك إياه والحجازَ والخروج منها وهو يوم لا ينظر إليه أحدٌ معك والله الذي لا إله إلا هو لو أعلم أنك إذا أخذت بشعرك وناصيتك حتى يجتمع على وعلى الناس أطعني لفعلت ذلك قال ثم خرج ابن عباس من عنده فمرّ بعبد الله بن الزبير فقال قرت عينك يا ابن الزبير ثم قال :

يا لك من قُبرةٍ بمَعَرَ خَلالِكَ الجَوْ فَبِيضِي واصْفِرِي ونَقِرِي ما شِئْتَ أن تُنْقِرِي

= وفي قضية الامام الحسين رضي الله عنه أنه لم يشاور أحداً وكل من قدم له النصيح أو المشورة لم يقبلها على أساس أنه خدع من الأعراب والمنافقين .

(١) أتصبر ولا أصبر : أتجملد ولا أطيق الجلد والصبر .

(٢) يقال أزمعت على المسير ، وأزمعت المسير لازماً ومتعدياً بمعنى شرعت في المسير ونويت عليه .

هذا حسينُ يخرجُ إلى العراق وعليك بالحجاز .

قال أبو مخنف قال أبو جناب يحيى بن أبي حية عن عدى بن حرملة الأسدي عن عبد الله بن سليم والمذري بن المشمعل الأسديين قالا خرجنا حاجين من الكوفة حتى قدمنا مكة فدخلنا يوم التروية فإذا نحن بالحسين وعبد الله بن الزبير قائمين عند ارتفاع الضحى فيما بين الحجر والباب قالا فتقربنا منهما فسمعنا ابن الزبير وهو يقول للحسين إن شئت أن تقيم أقمت فوليتَ هذا الأمر فأزرناك وساعدناك ونصحنا لك وبايعناك فقال له الحسين إن أبي حدثني أن بها كبشاً يستحل حرمتها فما أحب أن أكون أنا ذلك الكبش فقال له ابن الزبير فأقم إن شئت وتولياني أنا الأمر فتطاع ولا تعصى فقال وما أريد هذا أيضاً قالا ثم إنهما أخفيا كلامهما دوننا فما زالا يتناجيان ^(١) حتى سمعنا دعاء الناس راثحين متوجهين إلى منى عند الظهر قالا فطاف الحسين بالبيت وبين الصفا والمروة وقص من شعره وحل من عمرته ثم توجه نحو الكوفة وتوجهنا نحو الناس إلى منى .

قال أبو مخنف عن أبي سعيد عقيصي عن بعض أصحابه قال سمعت الحسين بن علي وهو بمكة وهو واقف مع عبد الله بن الزبير فقال له ابن الزبير يا ابن فاطمة فأصغى إليه فسأره قال ثم التفت إلينا الحسين فقال أتدرون ما يقول ابن الزبير فقلنا لا ندري جعلنا الله فداك فقال قال أقم في هذا المسجد أجمع لك الناس ثم قال الحسين والله لأن أقتل خارجاً منها بشير أحب إلى من أن أقتل داخلاً منها بشير وأيم الله لو كنت في جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا في حاجتهم والله ليعتدنَّ عليَّ كما اعتدت اليهود في السبت .

قال أبو مخنف حدثني الحارث بن كعب الوالبي عن عقبة بن سمعان قال لما خرج الحسين من مكة اعترضه رُسلُ عمرو بن سعيد بن العاص وعليهم يحيى بن سعيد فقالوا له انصرف أين تذهب فأبى عليهم ومضى وتدافع الفريقان فاضطربوا بالسياط ثم إن الحسين وأصحابه امتنعوا منهم امتناعاً قوياً ومضى

(١) يتناجيان ! يتساران : قال الفراء : وقد يكون النجوى والنجي إسماً ومصدراً .

الحسين عليه السلام على وجهه فنادوه يا حسين ألا تتقي الله تخرج (١) من الجماعة وتفرّق بين هذه الأمة فتأول حسين قول الله عز وجل ﴿لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ قال ثم إن الحسين أقبل حتى مر بالتنعيم فلقي بها عيراً قد أقبل بها من اليمن بعث بها بحير بن ريسان الحميري إلى يزيد بن معاوية وكان عامله على اليمن وعلى العير الورس (٢) والحلل ينطلق بها إلى يزيد فأخذها الحسين فانطلق بهم وقال لأصحاب الإبل لا أكرهكم من أحب أن يمضي معنا إلى العراق أوفينا كراءه (٣) وأحسننا صحبتته ومن أحب أن يفارقنا من مكاننا هذا أعطيناه من الكراء على قدر ما قطع من الأرض قال فمن فارقه منهم حوسب فأوفي حقه ومن مضى منهم معه أعطاه كراءه وكساه .

قال أبو مخنف عن أبي جناب عن عدى بن حرملة عن عبد الله بن سليم والمذري قالاً أقبلنا حتى انتهينا إلى الصفاح فلقينا الفرزدق بن غالب الشاعر فواقف حسيناً فقال له أعطاك الله سؤالك وأملك فيما تحب (٤) فقال له الحسين بين لنا نبأ الناس خلفك فقال له الفرزدق من الخبر سألت قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية والقضاء ينزل من السماء والله يفعل ما يشاء فقال له الحسين صدقت لله الأمر والله يفعل ما يشاء وكل يوم ربنا في شأن إن نزل القضاء بما نحب فنحمد الله على نعمائه وهو المستعان على أداء الشكر وإن حال القضاء دون الرجاء فلم يعتد من كان الحق نيته والتقوى سريرته ثم حرك الحسين زاحلته فقال السلام عليك ثم افترقا .

قال هشام عن عوانة بن الحكم عن لبطة بن الفرزدق ابن غالب عن أبيه قال حججت بأمي فانا أسوق بغيرها حين دخلت الحرم في أيام الحج وذلك في

(١) وكانوا قد عدوا الحسين منشقاً وخارجاً على الجماعة لأن الجماعة بايعت يزيد على الخلافة .

(٢) الورس : بوزن الفلّس نبت أصفر يكون باليمن تتخذ منه الفمرة للوجه ، وورس الثوب توريسا : صبغة بالورس .

(٣) كراءه : أجره .

(٤) أي حقق لك ما تمنى من أمنيات .

سنة ٦٠ إذ لقيت الحسين بن علي خارجاً من مكة معه أسيافه وترأسه^(١) فقلت لمن هذا القطار فقليل للحسين بن علي فأتيته فقلت بأبي وأمي يا ابن رسول الله ما أعجلك عن الحج فقال لو لم أعجل لأخذتُ قال ثم سألتني ممن أنت فقلت له امرؤ من العراق قال فوالله ما فتشني عن أكثر من ذلك وأكتفى بها مني فقال أخبرني عن الناس خلفك قال فقلت له القلوب معك والسيوف مع بني أمية والقضاء بيد الله قال فقال لي صدقت قال فسألته عن أشياء فأخبرني بها من نذور ومنلك قال وإذا هو ثقیل اللسان من برسام^(٢) أصابه بالعراق قال ثم مضيتُ فإذا فسطاط^(٣) مضروب في الحرم وهيئته حسنة فأتيته فإذا هو لعبد الله بن عمرو بن العاص فسألني فأخبرته بقاء الحسين بن علي فقال لي ويلك فهلا اتبعته فوالله ليملكن ولا يجوز السلاح فيه ولا في أصحابه قال فهممت والله أن ألحق به ووقع في قلبي مقالته ثم ذكرت الأنبياء وقتلهم فصددني ذلك عن اللحاق بهم فقدمت على أهلي بعسفان قال فوالله إني لعندهم إذا قبلت^(٤) غير قد امتارت^(٥) من الكوفة فلما سمعتُ بهم خرجت في آثارهم حتى إذا أسمعتهم الصوت وعجلتُ عن إتيانهم صرخت بهم ألا ما فعل الحسين بن علي قال فردوا على ألا قد قُتل قال فانصرفت وأنا ألعنُ عبد الله بن عمرو بن العاص قال وكان أهل ذلك الزمان يقولون ذلك الأمر وينتظرونه في كل يوم وليلة قال وكان عبد الله بن عمرو يقول لا تبلغ الشجرة ولا النخلة ولا الصغير حتى يظهر هذا الأمر قال فقلت له فما يمنعك أن تبیع الوهط^(٦) قال فقال لي لعنةُ الله على فلان يعني معاوية وعليك قال فقلت لا بل عليك لعنة الله قال فزادني^(٧) من اللعن ولم

(١) ترأسه جمع مفردة ترس .

(٢) البرسام : علة معروفة ، وفي التهذيب البرسام بالفتح .

(٣) الفسطاط : بيت من شعر كما قال صاحب المختار (ص ٥٠٣) وهو الخيمة المعزوية ، وفسطاط مدينة مصر .

(٤) غير : الأبل التي تحمل الميرة والميرة هي الطعام .

(٥) امتارت : الامتار مثل المير وامتارت أي حملت بالميرة .

(٦) الوهط : حائط لعبد الله بن عمر بالطائف .

(٧) زاد : فعل يتعدى لمفعول ومفعولين وثلاثة مفاعيل من غير تضعيف أو زيادة همزة ، تقول زادني فهما ، وزاد محمد عليا ميرة وزاد عمرزیداً فضلاً عميها .

يكن عنده من حشميه أحد فألقي منهم شراً. قال فخرجت وهو لا يعرفني والوهط حائط لعبد الله بن عمرو بالطائف. قال وكان معاوية قد ساوم به عبد الله بن عمرو وأعطاه به مالاً كثيراً فأبى أن يبيعه بشيء قال وأقبل الحسين مُغذ^(١) لا يلوى على شيء حتى نزل ذات عرق .

قال أبو مخنف حدثني الحارث بن كعب الوالبي عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب قال لما خرجنا من مكة كتب عبد الله بن جعفر بن أبي طالب إلى الحسين بن علي مع ابنه عون ومحمد: أما بعد فإني أسألك بالله لما انصرفت حين تنظر في كتابي فإني مشفق عليك من الوجه الذي توجه له أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك إن هلك اليوم طفء نور الأرض فإنك علم المهتدين ورجاء المؤمنين فلا تعجل بالسير فإني في أثر الكتاب والسلام. قال وقام عبد الله بن جعفر إلى عمرو بن سعيد بن العاص فكلمه وقال اكتب إلى الحسين كتاباً تجعل له فيه الأمان وتمنيه فيه البر والصلة وتوثق له في كتابك وتسأله الرجوع لعله يطمئن إلى ذلك فيرجع فقال عمرو بن سعيد اكتب ما شئت وأتني به حتى أختمه فكتب عبد الله بن جعفر الكتاب ثم أتى به عمرو بن سعيد فقال له اختمه وابعث به مع أخيك يحيى بن سعيد فإنه أحرى أن تطمئن نفسه إليه ويعلم أنه الجدد منك ففعل وكان عمرو بن سعيد عامل يزيد بن معاوية على مكة قال فلحقه يحيى وعبد الله بن جعفر ثم انصرفا بعد أن أقرأه يحيى الكتاب فقالا أقرأناه الكتاب وجهدنا به^(٢) وكان مما اعتذر به إلينا أن قال إني رأيت رؤيا فيها^(٣) رسول الله ﷺ وأمرت فيها بأمر أنا ماضي له على كان أولى فقالا له فما تلك الرؤيا قال ما حدثت أحداً بها وما أنا محدث بها حتى ألقى ربي قال وكان كتاب عمرو بن سعيد إلى الحسين بن علي: بسم الله الرحمن الرحيم من عمرو بن سعيد إلى الحسين بن علي أما بعد فإني أسأل الله أن يصرفك عما يوبقك^(٤) وأن

(١) مغذا سيره لا يلوى على شيء : منطلقاً من غير توان .

(٢) جهدنا به : أي بذلنا الوسع في إقناعه والحمل عليه .

(٣) والرؤيا : كثير من الأحيان تكون ظنية ، أو أن لها تأويلاً لا يدركه الرائي ، وفي هذا من الخطورة

على الرائي ، وخير مثال على هذا رؤيا الحسين رضي الله عنه .

(٤) يوبقك : يهلكك ويرديك .

يهديك لما يرشدك بلغني أنك قد توجهت إلى العراق وإني أعيدك بالله من الشقاق
فإني أخاف عليك فيه الهلاك وقد بعثت اليك عبد الله بن جعفر ويحيى بن سعيد
فأقبل إليّ معهما فإن لك عندي الأمان والصلة والبرّ وحسن الجوار لك الله على
بذلك شهيدٌ وكفيلٌ ومراعٍ ووكيلٌ والسلام عليك. قال وكتب اليه الحسين: أما بعد
فانه لم يشاقي الله ورسوله من دعا إلى الله عز وجل وعمل صالحاً وقال إنني من
المسلمين وقد دعوت إلى الأمان والبر والصلة فخير الأمان أمانُ الله ولن يؤمنَ
الله يوم القيامة من لم يخفه في الدنيا ^(١) فنسأل الله مخافة في الدنيا توجب لنا أمانة
يوم القيامة فان كنتَ نَوَيْتَ بالكتاب لصلتي وبري فجزيت خيراً في الدنيا
والآخرة والسلام .

مرجع الخبر في الحديث محمد بن أبي جعفر

حدثني زكرياء بن يحيى الضرير قال حدثنا أحمد بن جناب المصيصي قال حدثنا خالد بن يزيد بن عبد الله القسري قال حدثنا عمار الدُهني قال قلت لأبي جعفر حَدَّثَنِي عَنْ مَقْتَلِ الْحُسَيْنِ حَتَّى كَأَنِّي حَضَرْتُهُ قَالَ فَأَقْبَلَ حُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ عَلَى بَكْتَابٍ مُسْلِمٍ بَنٍ عَقِيلٍ كَانَ إِلَيْهِ حَتَّى إِذَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَادِسِيَّةِ ثَلَاثَةَ أَمْيَالٍ لَقِيَهُ الْحُرُّ بْنُ يَزِيدَ التَّمِيمِي فَقَالَ لَهُ أَيْنَ تَرِيدُ قَالَ أُرِيدُ هَذَا الْمَصْرَ ^(٢) قَالَ لَهُ ارْجِعْ فَإِنِّي لَمْ أَدْعُ لَكَ خَلْفِي خَيْرًا أَرْجُوهُ فَهَمَّ أَنْ يَرْجِعَ وَكَانَ مَعَهُ إِخْوَةٌ مُسْلِمٌ بَنٍ عَقِيلٍ فَقَالُوا وَاللَّهِ لَا نَرْجِعُ حَتَّى نَصِيبَ بَشَارَنَا أَوْ نُقْتَلَ فَقَالَ لَا خَيْرَ فِي الْحَيَاةِ بَعْدَكُمْ فَسَارَ فَلَقِيَتْهُ أَوَائِلُ خَيْلِ عُبَيْدِ اللَّهِ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ عَدَلَ ^(٣) إِلَى كَرْبَلَاءَ فَاسْتَدَ ظَهْرَهُ إِلَى قَصَبَاءَ وَخَلَا كَيْلًا يِقَاتِلُ إِلَّا مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ فَنَزَلَ وَضَرَبَ أَبْنَيْتَهُ وَكَانَ أَصْحَابُهُ خَمْسَةً وَأَرْبَعِينَ فَارِسًا وَمِائَةً رَاجِلًا وَكَانَ عَمْرُ بْنُ سَعْدٍ بَنٍ أَبِي وَقَاصٍ قَدْ وُلَاهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ الرِّىَ وَعَهْدَ إِلَيْهِ عَهْدَهُ فَقَالَ أَكْفَيْهِ هَذَا الرَّجُلُ قَالَ اعْفِنِي فَأَبَى أَنْ يَعْفِيَهُ قَالَ فَأَنْظِرْنِي اللَّيْلَةَ فَأَخْرَجَهُ فَنَظَرَ فِي أَمْرِهِ فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَيْهِ رَاضِيًا

(١) وهذا معنى حديث شريف قال ﷺ: « لا يجمع الله سبحانه وتعالى على عبده خوفين وأمنين ، إذا خافه في الدنيا آمنه في الآخرة ، وإذا آمنه في الدنيا خافه في الآخرة :

(٢) المصير ، البلد والجمع أمصار .

(٣) عدل الى كربلاء : اتجه إليها ، وغير وجهته إليها .

بما أمر به فتوجه اليه عمر بن سعد فلما أتاه قال له الحسين اختر واحدة من ثلاث إما ان تدعوني فأنصرف من حيث جئت وإما أن تدعوني فأذهب إلى يزيد وإما أن تدعوني فألحق بالثغور فقبل ذلك عمر فكتب اليه عبيد الله: لا ولا كرامة حتى يضع يده في يدي فقال له الحسين لا والله لا يكون ذلك أبداً فقاتله فقتل أصحاب الحسين كلهم وفيهم بضعة عشر شاباً من أهل بيته وجاء سهم فأصاب ابنا له معه في حجره فجعل يمسح الدم عنه ويقول اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا فقتلونا ثم أمر بحبرة^(١) فشققها ثم لبسها وخرج بسيفه فقاتل حتى قتل صلوات الله عليه قتله رجل من مذحج وحز رأسه وانطلق به الى عبيد الله وقال :

أَوْقِرْ رِكَابِي فِضَّةً وَذَهَبًا فَقَدْ قَتَلْتُ الْمَلِكَ الْمُحَجَّبَا
قَتَلْتُ خَيْرَ النَّاسِ أُمًّا وَأَبَا وَخَيْرَهُمْ إِذْ يَنْسُبُونَ نَسَبًا^(٢)

وأوفده إلى يزيد بن معاوية ومعه الرأس فوضع رأسه بين يديه وعنده أبو برزة الأسلمي^(٤) فجعل يَنْكُتُ بالقضيب على فيه ويقول :

يُفْلِقْنَ هَاماً مِنْ رِجَالٍ أَعَزَّةٍ • عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقُّ وَأَظْلَمَا
فقال له أبو برزة ارفع قضيبك فوالله لربما رأيتُ فا^(٥) رسول الله ﷺ على

(١) حبرة ، بردة يمانية والجمع حَبَرٌ وحبرات بفتح الباء .

(٢) وورد الشطر الثاني من البيت بلفظ (أنا) في مروج الذهب للمسعودي (٣ / ٧٠) والعقد الفريد (٣٨١ / ٤)

أنا قتلت الملك المحجبا

وفي التذكرة للقرطبي (٢ / ٦٦٥) بلفظة (أن)

أني قتلت الملك المحجبا . والوارد هنا فقد يكسر وزن البيت ويستقيم الوزن مع (أني) .

(٣) لأنه نسبته رسول الله ﷺ .

(٤) وقد أنكر ابن تيمية أن يكون الناكث يزيد بقوله :

« إن أبا برزة الأسلمي لم يكن موجوداً في الشام وقتذاك عند يزيد » وهذا القول - في رأينا -

حجة واهية فما المانع أن يكون أبو برزة الأسلمي في أي مكان ثم اختلف وقتها إلى أمير المؤمنين يزيد ، ولا سيما في ذلك الوقت الحرج الذي يتقرر مصير دولة الاسلام والخلافة فيه .

(٥) فا : فم وهي منصوبة لأنها مفعول به .

فيه يلثمه^(١) وسرح عمر بن سعد بحرمه وعياله الى عبيد الله ولم يكن بقي من أهل بيت الحسين بن علي عليه السلام إلا غلام كان مريضاً مع النساء فأمر به عبيد الله ليُقتل فطرحت زينب نفسها عليه وقالت والله لا يُقتل حتى تقتلوني فرق لها^(٢) فتركه وكف عنه قال فجهزهم وحملهم إلى يزيد فلما قدموا عليه جمع من كان بحضرته من أهل الشام ثم أدخلوهم فهشوه بالفتح قال رجل منهم أزرق أحمر ونظر إلى وصيفة من بناتهم فقال يا أمير المؤمنين هب لي هذه فقالت زينب لا والله ولا كرامة لك ولا له إلا أن يخرج من دين الله قال فأعادها الأزرق فقال له يزيد كف عن هذا ثم أدخلهم على عياله فجهزهم وحملهم إلى المدينة فلما دخلوها خرجت امرأة من بني عبد المطلب ناشرة شعرها واضعة كمها على رأسها تلقاهم وهي تبكي وتقول :

ماذا تقولون إن قال النبي لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
يعترني^(٣) وبأهلي بعد مقتدي منهم أسارى وقتلى ضرجوا بدم^(٤)
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم أن تخلفوني بسوء في ذوي رجمي
حدثني الحسين بن نصر قال حدثنا أبو ربيعة قال حدثنا أبو عوانة عن
حصين بن عبد الرحمن قال بلغنا أن الحسين عليه السلام .

وحدثنا محمد بن عمار الرازي قال حدثنا سعيد بن سليمان قال حدثنا
عباد بن العوام قال حدثنا حصين أن الحسين بن علي عليه السلام كتب إليه
أهل الكوفة انه معك مائة ألف فبعث إليهم مسلم ابن عقيل فقدم الكوفة فنزل
دار هانيء بن عروة فاجتمع إليه الناس فأخبر ابن زياد بذلك زاد الحسين بن نصر
في حديثه فأرسل إلى هانيء فأتاه فقال ألم أوقرك ألم أكرمك ألم أفعل بك قال بلى
قال فما جزاء ذلك قال جزاؤه أن أمنعك قال تمنعني قال فأخذ قضيباً مكانه
فضربه به وأمر فكتف ثم ضرب عنقه فبلغ ذلك مسلم بن عقيل فخرج ومعه

(١) يلثمه : يقبله .

(٢) رقى لها : حذب وأشفق عليها

(٣) عترة الرجل : نسله ورهطه الأذنون .

(٤) ضرجوا بدم : أي تضرجوا بالدم أي تلطخوا به .

ناس كثير فبلغ ابن زياد ذلك فأمر بباب القصر فأغلق وأمر منادياً فنادى يا خيل الله اركبي^(١) فلا أحد يجيبه فظن أنه في ملا من الناس قال حصين فحدثني هلال بن يساف قال لقيتهم تلك الليلة في الطريق عند مسجد الأنصار فلم يكونوا يمرون في طريق يميناً ولا شمالاً إلا ان ذهبت منهم طائفة الثلاثون والأربعون ونحو ذلك قال فلما بلغ السوق وهي ليلة مظلمة ودخلوا المسجد قيل لابن زياد والله ما نرى كثيراً أحداً ولا نسمع أصوات كثير أحد فأمر بسقف المسجد فقلع ثم أمر بحرادي فيها النيران فجعلوا ينظرون فإذا قريب خمسين رجلاً قال فنزل فصعد المنبر وقال للناس تميزوا أرباعاً أرباعاً فانطلق كل قوم إلى رأس ربهم فنهض إليهم قوم يقاتلونهم فجرح مسلم جراحةً ثقيلة وقتل ناس من أصحابه وانهمزوا فخرج مسلم فدخل داراً من دور كندة فجاء رجل إلى محمد بن الأشعث وهو جالس إلى ابن زياد فسأله فقال له إن مسلماً في دار فلان فقال ابن زياد ما قال لك قال قال إن مسلماً في دار فلان قال ابن زياد لرجلين انطلقا فأتيا به فدخلا عليه وهو عند امرأة قد أوقدت له النار فهو يغسل عنه الدماء فقالا له انطلق الأمير يدعوك فقال اعقدا لي عقداً فقالا ما نملك ذاك فانطلق معهما حتى أتاه فأمر به فكتف ثم قال هيه هيه يا ابن خلية قال الحسين في حديثه يا ابن كذا جئت لتنزع سلطاني ثم أمر به فضربت عنقه قال حصين فحدثني هلال بن يساف أن ابن زياد أمر بأخذ ما بين واقصة إلى طريق الشام إلى طريق البصرة فلا يدعون أحداً يلج^(٢) ولا أحداً يخرج فأقبل الحسين ولا يشعر بشيء حتى لقي الأعراب فسألهم فقالوا لا والله ما ندري غير أنا لا نستطيع أن نلج ولا نخرج قال فانطلق يسير نحو طريق الشام نحو يزيد فلقيته الخيول

(١) كان ناس أتوا رسول الله ﷺ فقالوا : نبايعك على الاسلام ، وذكرت قصة رواها أبو الشيخ في الناسخ والمنسوخ عن سعيد بن جبير ، وفيها فأمر النبي ﷺ فنودي في الناس (يا خيل الله اركبي) فركبوا ، لا ينتظر فارساً .

وفي المغازي لابن عائذ عن قتادة قال بعث رسول الله ﷺ يومئذ - أن يوم قريظة يوم الاحزاب - منادياً ينادي يا خيل الله اركبي (

راجع كشف الخفا للمجلوني (٢/٥٣١) بتصرف .

(٢) لا يلج : لا يدخل ومشتق منه التولوج الدخول .

بكر بلاء فنزل يناشدهم الله والإسلام قال وكان بعث إليه عمر بن سعد وشمير بن ذي الجوشن وحصين بن غمير فناشدهم الحسين الله والإسلام أن يسيّروه إلى أمير المؤمنين فيضع يده في يده فقالوا لا إلا على حكم ابن زياد وكان فيمن بعث إليه الحر بن يزيد الحنظلي ثم النهشلي على خيل فلما سمع ما يقول الحسين قال لهم ألا تقبلون من هؤلاء ما يعرضون عليكم والله لو سألكم هذا الترك والديلم ما حل لكم أن تردوه فأبوا إلا على حكم ابن زياد فصرف الحر وجهه فرسه .

وانطلق إلى الحسين وأصحابه فظنوا أنه إنما جاء ليقاتلهم فلما دنا منهم قلب ترسه وسلم عليهم ثم كرّ على أصحاب ابن زياد فقاتلهم فقتل منهم رجلين ثم قتل رحمة الله عليه وذكر أن زهير ابن القين البجلي لقي الحسين وكان حاجاً فأقبل معه وخرج إليه ابن أبي بحرية المرادي ورجلان آخران وعمر بن الحجاج ومعه السلمي قال الحصين وقد رأيتها قال الحصين وحدثني سعد بن عبيدة قال إن أشياخاً من أهل الكوفة لوقوف على التل يبكون ويقولون اللهم أنزل نصرك قال قلت يا أعداء الله ألا تنزلون فتنصرونه قال :

فأقبل الحسين يكلم من بعث إليه ابن زياد قال وإني لأنظر إليه وعليه جبة من بُرود^(١) فلما كلمهم انصرف فرماه رجل من بني تميم يقال له عمر الطهوي بسهم فلما نظر إلى السهم بين كتفيه متعلقاً في جيبته فلما أبوا عليه رجع إلى مصافه وإني لأنظر إليهم وانهم لقريب من مائة رجل فهم لصلب علي بن أبي طالب عليه السلام خمسة ومن بني هاشم ستة عشر ورجل من بني سليم حليف لهم ورجل من بني كنانة حليف لهم وابن عمر بن زياد قال وحدثني سعد بن عبيدة قال إنا لمستنقعون في الماء مع عمر بن سعد إذ أتاه رجل فسارّه وقال له قد بعث إليك ابن زياد جُويرية بن بدر التميمي وأمره إن لم تقاتل القوم أن يضرب عنقك قال فوثب إلى فرسه فركبه ثم دعا سلاحه فلبسه وأنه على فرسه فنهض بالناس إليهم فقاتلوهم فجيء برأس الحسين إلى ابن زياد فوضع بين يديه فجعل يمسك بقضيبه ويقول ان ابا عبد الله قد كان شمت^(٢) قال وجيء بنسائه وبناته

(١) البرود : جمع مفردة برده وهي كساء أسود مربع فيه صقرتلبسه الاعراب ، ويجمع على برود وبرد .

(٢) شمت : الشمت بفتحين بياض شعر الرأس يخالط سواده .

وأهله وكان أحسن شيء صنعه ان أمر لهم بمنزل في مكان معتزل وأجرى عليهم رزقاً وأمر لهم بنفقة وكسوة قال فانطلق غلامان منهم لعبد الله بن جعفر أو ابن جعفر فأتيا رجلاً من طيٍّ فليجاً^(١) اليه فضرب عنقيهما وجاء برأسيهما حتى وضعهما بين يدي ابن زياد قال فهم بضرب عنقه وأمر بداره فهدمت قال وحدثني مولى لمعاوية بن أبي سفيان قال لما أتى يزيد برأس الحسين فوضع بين يديه قال رأيته يبكي^(٢) وقال لو كان بينه وبينه رحم ما فعل هذا قال حصين فلما قتل الحسين لبثوا شهرين أو ثلاثة كأنما تلتطخ الحوائط بالدماء ساعة تطلع الشمس حتى ترتفع قال وحدثني العلاء بن أبي عائشة قال حدثني رأس الجالوت عن أبيه قال ما مررت بكربلاء إلا وأنا أركض دابتي حتى أخلف المكان قال قلت لم قال كنا نتحدث أن ولدَ نبي مقتول في ذلك المكان قال وكنت أخاف أن أكون أنا فلما قتل الحسين قلنا هذا الذي نتحدث قال وكنت بعد ذلك إذا مررت بذلك المكان أسير ولا أركض .

حدثني الحارث قال حدثنا ابن سعد قال حدثني علي بن محمد عن جعفر بن سليمان الضبعي قال قال الحسين والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقمة من جوفي فإذا فعلوا سلط الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من فرم^(٣) الأمة فقدم للعراق فقتل بنينوي يوم عاشوراء سنة ٦١ قال الحارث قال ابن سعد أخبرنا محمد بن عمر قال قتل الحسين بن علي عليه السلام في صفر

(١) لجأ إليه : لاذ به .

(٢) وهل كان يبكي يزيد من الندم الحقيقي على هذه الجريمة البشعة النكراء ؟ ! وإذا كان نادماً حقاً فلم لم يعاقب عبيد الله بن زياد أو عمرو بن سعد أو شمر بن ذي الجوشن ؟ ! إنني أعتقد أن ذلك كان أحد أمرين :

الأول : تظاهر بالندم لأن الجريمة بشعة حتى يلفظ من حدة التوتر والغيط الذي ملأ قلوب الناس حقداً ووغراً وسخيمة على بني أمية .

الثاني : قد يكون هذا الفم والندم حقيقياً ربما لأن يزيد شعر بأن خطراً قد يهدده ويطيح بملكه بعد حين وبعد أجل قصيراً كان أم طويلاً بعيداً أم قريباً . والله أعلم بالسرائر .

(٣) يقال استفرمت المرأة إذا تضيقت بالفرم ، ويقال أذل من فرم الأمة .

أساس البلاغة للزمخشري (ص ٧١٣)

سنة ٦١ (١) وهو يومئذ ابن خمس وخمسين حدثني بذلك أفلح بن سعيد عن ابن كعب القرظي قال الحارث حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر عن أبي معشر قال قتل الحسين لعشر خلون (٢) من المحرم قال الواقدي هذا أثبت قال الحارث قال ابن سعد أخبرنا محمد بن عمر قال أخبرنا عطاء بن مسلم عمن أخبره عن عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش قال أول رأس رفع على خشبة رأس الحسين رضي الله عن الحسين وصلى الله على روحه قال أبو مخنف عن هشام بن الوليد عمن شهد ذلك قال أقبل الحسين بن علي بأهله من مكة ومحمد بن الحنفية بالمدينة قال فبلغه خبره وهو يتوضأ في طست قال فبكي حتى سمعتُ وكف (٣) دموعه في الطست .

قال أبو مخنف حدثني يونس بن أبي إسحاق السبيعي قال ولما بلغ عبيد الله إقبال الحسين من مكة إلى الكوفة بعث الحصين بن نمير صاحب شرطه حتى نزل القادسية ونظم الخيل ما بين القادسية إلى خفان وما بين القادسية إلى القطقطة وإلى لعلع وقال الناس هذا الحسين يريد العراق .

قال أبو مخنف وحدثني محمد بن قيس أن الحسين أقبل حتى إذا بلغ الحاجر من بطن الرمة بعث قيس بن مسهر الصيداوي إلى أهل الكوفة وكتب معه إليهم بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين سلام عليكم فلإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فإن كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبرني فيه بحسن رأيكم واجتماع ملثكم على نصرنا والطلب بحقنا فسألتُ الله أن يحسن لنا الصنع وأن يثيكم على ذلك أعظم الأجر وقد شخصت (٤) إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي

(١) ويقول ابن عبد ربه (قتل الحسين رضي الله عنه يوم الجمعة ، يوم عاشوراء سنة إحدى وستين ، وقتل وهو ابن ست وخمسين سنة) ١ . هـ .

العقد الفريد (٣٨٠ / ٤) بتصرف .

(٢) راجع التذكرة للقرطبي (٦٦٤ / ٢) .

(٣) وكف دموعه : غزير دموعه ، ويقال فلان يستوكف الأخبار أي يستمطرها ، وتقال أيضاً يتركف الأخبار .

(٤) شخص إليهم : اتجه إليهم .

الحجة يوم التروية فإذا قدم عليكم رسولي فاكمشوا أمركم وجدّوا فإني قادم عليكم في أيامي هذه إن شاء الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وكان مسلم ابن عقيل قد كان كتب إلى الحسين قبل أن يُقتل لسبع وعشرين ليلة: أما بعد فإن الرائد لا يكذب أهله إن جمع أهل الكوفة معك فأقبل حين تقرأ كتابي والسلام عليك. قال فأقبل الحسين بالصبيان والنساء معه لا يلوي ^(١) على شيء .

وأقبل قيس بن مسهر الصيدأوي إلى الكوفة بكتاب الحسين حتى إذا انتهى إلى القادسية أخذه الحصين بن غنير فبعث به إلى عبيد الله بن زياد فقال له عبيد الله اصعد إلى القصر فُسِّبَ الكذاب ابن الكذاب فصعد ثم قال أيها الناس إن هذا الحسين بن علي خير خلق الله ابن فاطمة بنت رسول الله وأنا رسوله إليكم وقد فارقت بالحاجر فأجيبوه ثم لعن عبيد الله بن زياد وأباه واستغفر لعلي بن أبي طالب قال فأمر به عبيد الله بن زياد أن يُرمى به من فوق القصر فرُمي به فتقطّع فمات ثم أقبل الحسين سيراً إلى الكوفة فأنتهى إلى ماء من مياه العرب فاذا عليه عبد الله بن مطيع العدوي وهو نازل ههنا فلما رأى الحسين قام إليه فقال بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله ما أقدمك واحتمله فأنزله فقال له الحسين كان من موت معاوية ما قد بلغك فكتب إلى أهل العراق يدعونني إلى أنفسهم فقال له عبد الله بن مطيع أذكرك الله يا ابن رسول الله وحرمة الإسلام أن تنتهك أنشدك الله في حرمة رسول الله ﷺ أنشدك الله في حرمة العرب فوالله لئن طلبت ما في أيدي بني أمية ليقتلنك ولئن قتلوك لا يهابون بعدك أحداً أبداً والله إنها لحرمة الإسلام تنتهك وحرمة قریش وحرمة العرب فلا تفعل ولا تأتِ الكوفة ولا تعرّض ^(٢) لبني أمية قال فأبى إلا أن يمضي قال فأقبل الحسين حتى إذا كان بالماء فوق زُرُود .

قال أبو مخنف فحدثني السدي عن رجل من بني فزارة قال لما كان زمن الحجاج بن يوسف كنا في دار الحارث بن أبي ربيعة التي في التمارين التي أقطعت

(١) لا يلوى على شيء : أي مقبل لا يشنيه شيء ولا يميل .

(٢) أصلها تتعرض فحذفت إحدى التاءين للتخفيف .

بعد زهير بن القين من بني عمرو بن يشكر من بجيلة وكان أهل الشام لا يدخلونها فكانا مُحْتَبَيْن فيها قال فقلت للفزاري حدثني عنكم حين أقبلتم مع الحسين بن علي قال كنا مع زهير بن القين البجلي حين أقبلنا من مكة نساير الحسين فلم يكن شيء أبغض إلينا من أن نسايره في منزل فاذا سار الحسين تخلف زهير بن القين وإذا نزل الحسين تقدم زهير حتى نزلنا يومئذ في منزل لم نجد بُدّاً من أن ننازله فيه فنزل الحسين في جانب ونزلنا في جانب فبينما نحن جلوس نتغذى من طعام لنا إذ أقبل رسول الحسين حتى سلم ثم دخل فقال يا زهير بن القين إن أبا عبد الله الحسين بن علي بعثني إليك لتأتيه قال فطرح كل إنسان ما في يده حتى كأننا على رؤسنا الطير^(١) .

قال أبو مخنف فحدثني دَهِم بنت عمرو امرأة زهير بن القين قالت فقلت له أيعث اليك ابن رسول الله ثم لا تأتيه سبحانه الله لو أتيت فسمعت من كلامه ثم انصرفت قالت فأتاه زهير بن القين فما لبث أن جاء مستشراً قد أسفر^(٢) وجهه قالت فأمر بقسطاطه وثقله ومتاعه فقدم وحمل إلى الحسين ثم قال لامرأته أنت طالق الحقي بأهلك فاني لا أحب أن يصيبك من سببي إلا خير ثم قال لأصحابه من أحب منكم أن يتبعني وإلا فإنه آخر العهد إني سأحدثكم حديثاً غزونا بلنجر ففتح الله علينا وأصبنا غنائم فقال لنا سلمان الباهلي أفرحتم بما فتح الله عليكم وأصبتم من المغانم فقلنا نعم فقال لنا إذا أدركتم شباب آل محمد فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معهم بما أصبتم من الغنائم فأما أنا فإني أستودعكم الله قال ثم والله ما زال في أول القوم حتى قتل .

قال أبو مخنف حدثني أبو جناب الكلبي عن عدي بن حرملة الأسدي عن عبد الله بن سليم والمذري بن المشمل الأسديين قالوا لما قضينا حجتنا لم يكن لنا همّة إلا اللحاق بالحسين في الطريق لننظر ما يكون من أمره وشأنه فأقبلنا ترفل بنا^(٣) ناقتانا مسرعين حتى لحقناه بزروود فلما دنونا منه إذا نحن برجل من

(١) كان على رؤسنا الطير : من الصمت .

(٢) أسفر وجهه : تهلل من البشوى .

(٣) ترفل بنا : تسرع .

أهل الكوفة قد عدل^(١) عن الطريق حين رأى الحسين قالاً فوقف الحسين كأنه يريد ثم تركه ومضى ومضينا نحوه فقال أحدنا لصاحبه اذهب بنا إلى هذا فلنسأله فإن كان عنده خبر الكوفة علمناه فمضينا حتى انتهينا إليه فقلنا السلام عليك قال وعليكم السلام ورحمة الله ثم قلنا فمن الرجل قال أسدي فقلنا فنحن أسديان فمن أنت قال أنا بكير بن المثعبة فانتسبنا له ثم قلنا أخبرنا عن الناس وراءك .

قال نعم لم أخرج من الكوفة حتى قُتل مسلم بن عقيل وهانيء بن عروة فرأيتهما يجران بأرجلهما في السوق قالاً فأقبلنا حتى لحقنا بالحسين فسايرناه حتى نزل الثعلبية مُسياً فجثناه حين نزل فسلمنا عليه فرد علينا فقلنا له يرحمك الله إن عندنا خبراً فإن شئت حدثنا علانية وإن شئت سرّاً قال فنظر إلى أصحابه وقال ما دون هؤلاء سرٌّ فقلنا له رأيت الراكب الذي استقبلك عشاء أمس؟ قال نعم وقد أردت مسألته فقلنا قد استبرأنا^(٢) لك خبره وكفيناك مسألته وهو ابن امرئ من أسد منا ذو رأي وصدق وفضل وعقل وإنه حدثنا أنه لم يخرج من الكوفة حتى قُتل مسلم ابن عقيل وهانيء بن عروة وحتى رآهما يجران في السوق بأرجلهما فقال إنا لله وإنا إليه راجعون رحمة الله عليهما فردد ذلك مراراً فقلنا ننشدك الله في نفسك وأهل بيتك إلا انصرفت من مكانك هذا فإنه ليس لك بالكوفة نارٌ ولا شيعَةٌ بل نتخوف أن تكون عليك قال فوثب عند ذلك بنو عقيل بن أبي طالب^(٣) .

قال أبو مخنف حدثني عمر بن خالد عن زيد بن علي بن حسين وعن داود بن علي بن عبد الله بن عباس أن بني عقيل قالوا لا والله لا نبرح^(٤) حتى ندرك ثأرنا أو نذوق ما ذاق أخونا^(٥) .

(١) عدل عن الطريق : تركه وسلك غيره .

(٢) استبرأنا خبره : أن طلبنا غاية ما عنده لقطع الشبهة ، واستبرأ من بوله إذا استنزه .

(٣) وهنا نرى أن الحسين مثلاً كان أبوه من قبله كان في أعصى جند ، فإنهم كانوا سبب هذه النازلة الكبرى .

(٤) لا نبرح المكان : لا نتركه .

(٥) وهو مسلم بن عقيل بن أبي طالب .

قال أبو مخنف عن أبي جناب الكلبي عن عدى بن حرملة عن عبد الله بن سليم والمذري بن المشعل الأسديين قالا فنظر إلينا الحسين فقال لا خير في العيش بعد هؤلاء قالا فعلمنا أنه قد عزم له رأيته على المسير قالا فقلنا خار الله (١) لك قالا فقال رحمكما الله قالا فقال له بعض أصحابه إنك والله ما أنت مثل مسلم بن عقيل ولو قدمت الكوفة لكان الناس إليك أسرع. قال الأسديان ثم انتظر حتى إذا كان السحر (٢) قال لفتياناه وغللماناه أكثروا من الماء فاستقوا وأكثروا ثم ارتحلوا وساروا حتى انتهوا إلى رُبالة .

قال أبو مخنف حدثني أبو علي الأنصاري عن بكر بن مصعب المزني قال كان الحسين لا يمر بأهل ماء إلا اتبعوه حتى انتهى إلى رُبالة سقط إليه مقتل أخيه من الرضاعة مقتل عبد الله بن بقطر وكان سرحه إلى مسلم بن عقيل من الطريق وهو لا يدري أنه قد أصيب فتلقيه خيل الحصين بن نمير بالقادسية فسرح به إلى عبيد الله بن زياد فقال اصعد فوق القصر فالعن الكذاب ابن الكذاب ثم انزل حتى أرى فيك رأيي قال فصعد فلما أشرف على الناس قال أيها الناس إني رسول الحسين بن فاطمة بن بنت رسول الله ﷺ لتنصروه وتوازره (٣) على ابن مرجانة ابن سمية الدعي فأمر به عبيد الله فألقى من فوق القصر إلى الأرض فكسرت عظامه وبقي به رمق (٤) فأتاه رجل يقال له عبد الملك بن عمير اللخمي فذبحه فلما عيب ذلك عليه قال إنما أردت أن أريجه قال هشام :

حدثنا أبو بكر بن عياش عن ابن عمر أخبره قال والله ما هو عبد الملك بن عمير الذي قام إليه فذبحه ولكنه قام إليه رجل جعد طوال يشبه عبد الملك بن عمير قال فأتى ذلك الخبر حصينا وهو بُزْباله فأخرج للناس كتاباً فقرأ عليهم بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإنه قد أتانا خبر فظيع قتل مسلم بن عقيل وهاني بن

(١) خار الله : أي استخار الله فخاره الله أي اختار له .

(٢) السَّحَر : الجزء الأخير من الليل قبيل الصبح .

(٣) كذا وردت بالأصل والأصح تؤازره بالهمزة ، لأن توازره من التوزير والأوزار ، وتوازره المؤازرة والمعونة والأخيرة هي المقصودة .

(٤) بقي به رمق : بقي به بقية .

عروة وعبد الله بن يقطر وقد خذلتنا شيعتنا فمن أحب منكم الانصراف فلينصرف ليس عليه منا ذمام قال فتفرق الناس عنه تفرقاً فأخذوا يميناً وشمالاً حتى بقي في أصحابه الذين جاءوا معه من المدينة وإنما فعل ذلك لأنه ظن انما اتبعه الأعراب لأنهم ظنوا أنه يأتي بلداً قد استقامت له ^(١) طاعة أهله فكره أن يسيروا معه إلا وهم يعلمون علام يقدمون وقد علم أنهم إذا بين لهم لم يصحبه إلا من يريد مواساته والموت معه قال فلما كان من السحر أمر فتيانه فاستقوا الماء وأكثروا ثم سار حتى مرّ بطن العقبة فنزل بها .

قال أبو مخنف فحدثني لوزان أحد بني عكرمة أن أحد عمومته سأل الحسين عليه السلام أين تريد؟ فحدثه فقال له إني أنشدك الله لما انصرفت فوالله لا تقدم إلا على الأسنة وحد السيوف فإن هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفؤك مؤنة القتال ووطئوا لك الأشياء فقدمت عليهم كان ذلك رأياً فأما على هذه الحال التي تذكرها فإني لا أرى لك أن تفعل. قال فقال له يا عبد الله إنه ليس يخفى على الرأي ما رأيت ولكن الله لا يغلب على أمره ثم أرتحل منها . ونزع يزيد بن معاوية في هذه السنة الوليد بن عتبة عن مكة وولاه عمرو بن سعيد بن العاص وذلك في شهر رمضان منها فحج بالناس عمرو بن سعيد في هذه السنة حدثني بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكان عامله على مكة والمدينة في هذه السنة بعد ما عزل الوليد بن عتبة عمرو بن سعيد وعلى الكوفة والبصرة وأعمالها عبيد الله بن زياد وعلى قضاء الكوفة شريح بن الحارث وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة .

(١) قد استقامت له طاعة أهله : استوت وكملت وتمت .

ثم دخلت منى وأحرى وسنين ذكر الخبر عما كان فيها من الله عز وجل

فمن ذلك مقتل الحسين رضوان الله عليه قُتل فيها في المحرم لعشر خلون منه كذلك حدثني أحمد بن ثابت قال حدثني مُحدث عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي وهشام بن الكلبي وقد ذكرنا ابتداء أمر الحسين في مسيره نحو العراق وما كان منه في سنة ٦٠ ونذكر الآن ما كان من أمره في سنة ٦١ وكيف كان مقتله .

حدثت عن هشام عن أبي مخنف قال حدثني أبو جناب عن عدى بن حرملة عن عبد الله بن سليم والمدري بن المشمعل الأسديين قالاً: أقبل الحسين عليه السلام حتى نزل شَراف فلما كان في السَّحَر أمر فتَيَّانه فاستقوا من الماء فأكثروا ثم ساروا منها فرسموا صدر يومهم حتى انتصف النهار ثم إن رجلاً قال الله أكبر فقال الحسين الله أكبر ما كبرت قال رأيتُ النخل فقال له الأسديان إن هذا المكان ما رأينا به نخلة قط قالاً فقال لنا الحسين فما تَرَيَّانه رأى قلنا نراه رأى هوادي^(١) الخيل فقال وأنا والله أرى ذلك فقال الحسين أما لنا ملجأ نلجأ إليه نجعله في ظهورنا ونستقبل القوم من وجهه واحد فقلنا له بلى هذا ذو حُسْم إلى جنبك تميل إليه عن يسارك فان سبقت القوم إليه فهو كما تريد قال فأخذ إليه

(١) هوادي الخيل : جمع مفردة هادي وهادية ، وتجمع أيضاً على هاديات . وهوادي الخيل : متقدماتها ، ويقال ضرب هاديته أي ضرب عنقه .

ذات اليسار قال ولملنا معه فما كان فأسرع من أن طلعت علينا هوادي الخيل فتبينّاها وعدلنا فلما رأونا وقد عدلنا عن الطريق عدلوا إلينا كأنّ أستهّم اليعاسيب (١) وكأنّ راياتهم أجنحة الطير (٢) القوم وهم ألف فارس مع الحرّ بن يزيد التميمي اليربوعي (٣) حتى وقف هو وخيله مقابل الحسين في حرّ الظهيرة والحسين وأصحابه معتمون متقلدو أسيافهم فقال الحسين لفتيانهِ اسقوا القوم واروهم من الماء ورشّفوا الخيل ترشيفاً فقام فتيانهُ فرشّفوا الخيل ترشيفاً فقام فتية وسقوا القوم من الماء حتى أروهم وأقبلوا يملؤن القصاع والأتوار والطّساس من الماء ثم يدنونها من الفرس فإذا عبّ فيه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً عزلت عنه وسقوا آخر حتى سقوا الخيل كلها .

قال هشام حدثني لقيط عن علي بن الطعام المحاربي كنت مع الحرّ بن يزيد فبحث في آخر من جاء من أصحابه فلما رأى الحسين ما بي وبفرسي من العطش قال أنخ الراوية والراوية عندي السقاء ثم قال يا ابن أخي أنخ الجمل فأنخته فقال أشرب فجعلت كلما شربت سال الماء من السقاء فقال الحسين اخنث السقاء أي اعطفه قال فجعلت لا أدري كيف أفعل قال فقام الحسين فخنثه فشربت وسقيت فرسي قال وكان مجيء الحرّ بن يزيد ومسيره إلى الحسين من القادسية وذلك أن عبيد الله بن زياد لما بلغه إقبال الحسين بعث الحصين بن نمير التميمي وكان على شرطه فأمره أن ينزل القادسية وأن يضع المسالحي فينظم ما بين القطقطانة إلى خفان وقدم الحرّ بن يزيد بين يديه في هذه الألف من القادسية فيستقبل حسينا قال فلم يزل موافقاً حسيناً حتى حضرت الصلاة صلاة الظهر فأمر الحسين الحجاج بن مسروق الجعفي أن يؤدّن فأدّن فلما حضرت الإقامة خرج الحسين في إزار ورداء ونعلين فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنها معذرة إلى الله عز وجل وإليكم إني لم آتكم حتى أتتني كتبكم وقدمت على رُسلكم أن أقدم علينا فإنه ليس لنا إمام لعل الله يجمعنا بك على الهدى فإن كنتم على

(١) اليعاسيب جمع مفردة يعسوب وهو ذكر النحل .

(٢) من سرعة سيرها .

(٣) نسبة إلى قبيلة بني يربوع من أحد بطون مكة .

ذلك فقد جئتكم فإن تعطوني ما أطمئن إليه من عهودكم ومواثيقكم أقدم مصركم وإن لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين انصرفت عنكم الى المكان الذي أقبلت منه إليكم قال فسكتوا عنه وقالوا للمؤذن أقم الصلاة فقال الحسين عليه السلام للحُرّ أتريد أن تصلي بأصحابك قال لا بل تصلي أنت ونصلي بصلاتك قال فصلي بهم الحسين .

ثم إنه دخل واجتمع اليه أصحابه وانصرف الحر الى مكانه الذي كان به فدخل خيمة قد ضُربت له فاجتمع اليه جماعة من أصحابه وعاد أصحابه إلى ضُفهم الذي كانوا فيه فأعادوه ثم أخذ كل رجل منهم بعنان^(١) دابته وجلس في ظلها فلما كان وقت العصر أمر الحسين أن يتهيأوا للرحيل ثم إنه خرج فأمر مناديه فنادى بالعصر وأقام فاستقدم الحسين فصلى بالقوم ثم سلم وانصرف إلى القوم بوجهه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس فإنكم إن تتقوا وتعرفوا الحق لأهله يكن أرضي الله ونحن أهل البيت أولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم والسائرين فيكم بالجور^(٢) والعدوان وإن أنتم كرهتمونا وجعلتم^(٣) حقنا وكان رأيكم غير ما أئنتي كتبكم وقدمت به على رُسلكم انصرفت عنكم فقال له الحرّ بن يزيد إنا والله ما ندري ما هذه الكتب التي تذكر فقال الحسين يا عقبة بن سمعان أخرج الخرجين اللذين فيهما كتبهم إلى فأخرج خُرجين مملوءين صحفاً فنشرها بين أيديهم فقال الحرّ إنا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك وقد أمرنا إذا نحن لقيناك ألا نفارقك حتى نقدمك على عبيد الله بن زياد فقال له الحسين الموت أدنى إليك من ذلك ثم قال لأصحابه قوموا فاركبوا فركبوا وانتظروا حتى ركبت نساؤهم فقال لأصحابه انصرفوا بنا فلما ذهبوا لينصرفوا حال القوم بينهم^(٤) وبين الانصراف فقال الحسين للحر ثكلتك أمك ما تريد قال أما والله لو غيرك من العرب يقولها لي وهو على مثل

(١) عنان الدابة : هو ما ظهر منها وبلغ السماء أي نواحيها . وعنان الدابة ناصيتها .

(٢) الجور : الظلم والخياف .

(٣) كذا ورد بالأصل والأصوب (وجهلتم) حسب السياق وهذا تحريف من الناسخ .

(٤) حال القوم بينهم وبين الانصراف : منعوهم منه .

الحال التي أنت عليها ما تركت ذكر أمه بالثكل أن أقوله كائنا من كان ولكن والله مالي إلى ذكر أمك من سبيل إلا بأحسن ما يقدر عليه فقال له الحسين فما تريد قال الحر أريد والله أن أنطلق بك إلى عبيد الله بن زياد قال له الحسين إذن والله لا أتبعك فقال له الحر إذن والله لا أدعك فترادًا القول ثلاث مرات ولما كثر الكلام بينهما قال له الحر إني لم أؤمر بقتالك وإنما أمرت أن لا أفارقك حتى أقدمك الكوفة فإذا أبيت فخذ طريقاً لا تدخلك الكوفة ولا تردك إلى المدينة لتكون بيني وبينك نصفاً حتى أكتب إلى ابن زياد وتكتب أنت إلى يزيد بن معاوية إن أردت أن تكتب إليه أو إلى عبيد الله بن زياد إن شئت فلعل الله إلى ذاك أن يأتي بأمر يرزقي فيه العافية من أن أبتلي بشيء من أمرك قال فخذ ههنا فتياسر^(١) ، عن طريق العذيب والقادسية وبينه وبين العذيب ثمانية وثلاثون ميلاً ثم إن الحسين سار في أصحابه والحر يسايره .

قال أبو مخنف عن عقبة بن أبي العيزار إن الحسين خطب أصحابه وأصحاب الحر بالبيضة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إن رسول الله ﷺ قال من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد^(٢) الله مخالفاً لسنة رسول الله ﷺ يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء^(٣) وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله وأنا أحق من غيري وقد أتتني كتبكم وقدمت على رُسُلكم ببيعتمكم انكم لا تسلموني^(٤) ولا تحذلوني فإن تمتمت على بيعتكم تصيبوا رشدكم فانا الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ نفسي مع أنفسكم وأهلي مع أهليكم فلكم في أسوة وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم وخلعتم^(٥) بيعتي من

(١) تياسر : اتجه ناحية اليسار .

(٢) ناكثاً لعهد الله : ناقضاً له .

(٣) استأثروا بالفيء : أي دون مستحقه .

(٤) من السلم : أي انتقاص الحق .

(٥) خلعتكم : بيعتكم من أعناقكم : تنكرتم لها ورجعتم فيها .

أعناقكم فلعمرى ما هي لكم بنكر لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم والمغرور من اغترّبكم فحظكم أخطأتم ونصيبكم ضيعتم ومن نكث فلئما ينكث على نفسه وسيُغني الله عنك والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . وقال عقبة بن أبي العيزار قام حسين عليه السلام بذئ حُسْم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إنه قد نزل من الأمر ما قد ترون وإن الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر^(١) معروفها واستمرت جداً فلم يبق منها إلا صُبابَة كصُبابَة الإناء وخسيس^(٢) عيش كالمرعى الويل^(٣) ألا ترون أن الحق لا يُعمل به وأن الباطل لا يُتناهى عنه .

ليرغب المؤمن في لقاء الله مُحَقّاً فاني لا أرى الموت إلا شهادة ولا الحياة مع الظالمين إلا برما قال فقام زهير بن القَيْنَ البَجَلِي فقال لأصحابه تكلمون أم أتكلم؟ قالوا لا بل تكلم فحمد الله فأنثى عليه ثم قال قد سمعنا هَذَاكَ الله يا ابن رسول الله مقاتلتك والله لو كانت الدنيا لنا باقية وكنا فيها مغلدين إلا أن فراقها في نصرك ومواساتك لأثرنا الخروج معك على الإقامة فيها قال فدعا له الحسين ثم قال له خيراً وأقبل الحرّ يسايره وهو يقول له يا حسين إني أذكرك الله في نفسك فاني أشهد لئن قاتلت لتُقتلن ولئن قوتلت لتهلكن فيما أرى فقال له الحسين أقبالوت تخوفني وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني ما أدري .

ما أقول لك ولكن أقول كما قال أخو الأوس لابن عمه ولقيه وهو يريد نصرة رسول الله ﷺ فقال له أين تذهب فانك مقتول فقال :

سأَمْضِي وما بالموتِ عارٌ على الفَتَى إذا ما نوى حقاً وجَاهَدَ مسلماً وآسى الرجالَ الصالحينَ بنفسه وفارقَ^(٤) مَثْبوراً يَغْشُ وَيُرْغَمَا قال فلما سمع ذلك منه الحرّ تنحى عنه وكان يسير بأصحابه في ناحية وحسين في ناحية أخرى حتى انتهوا إلى عُذَيْبِ الهِجَانَاتِ وكان بها هجائن النعمان ترعى هنالك فإذا هم بأربعة نفر قد أقبلوا من الكوفة على رواحلهم

(١) أدبر معروفها : تولى وانصرم .

(٢) الخسيس : الدنيء .

(٣) الويل : الثقل الوخيم .

(٤) مَثْبوراً : هالكا .

يُجَنَّبُونَ فِرْسًا لِنَافِعِ بْنِ هَلَالٍ يُقَالُ لَهُ الْكَامِلُ وَمَعَهُمْ دَلِيلُهُمُ الطَّرْمَاحُ بْنُ عَدَى عَلَى فِرْسِهِ وَهُوَ يَقُولُ :

يَا نَاقَتِي لَا تُذْعَرِي مِنْ رَجَبِي وَشَمْرِي قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ
بَخِيرِ رَكْبَانٍ وَخَيْرِ سَفَرٍ حَتَّى تَحِلِّي بِكَرِيمِ السَّجَرِ
الْمَاجِدِ الْحَرَّ رَحِيبِ الصَّدْرِ أَتَى بِهِ اللَّهُ لَخَيْرِ أَمْرِ
ثُمَّتْ أَبْقَاهُ بَقَاءَ الدَّهْرِ

قَالَ فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَى الْحُسَيْنِ أَنْشَدُوهُ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ فَقَالَ أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ خَيْرًا مَا أَرَادَ اللَّهُ قُتِلْنَا أَمْ ظَفَرْنَا قَالَ وَأَقْبَلَ إِلَيْهِمُ الْحَرَبِيُّ يَزِيدُ فَقَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ النَّفَرُ الَّذِينَ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ لَيْسُوا مِنْ أَقْبَلِ مَعَكَ وَأَنَا حَابِسُهُمْ أَوْ رَادَّهُمْ فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ لَأَمْنَعُهُمْ مِمَّا أَمْنَعُ مِنْهُ نَفْسِي إِنَّمَا هَؤُلَاءِ أَنْصَارِي وَأَعْوَانِي وَقَدْ كُنْتُ أَعْطَيْتُنِي أَلَّا تُعْرَضَ لِي بِشَيْءٍ حَتَّى يَأْتِيكَ كِتَابٌ مِنْ ابْنِ زِيَادٍ فَقَالَ أَجَلٌ لَكِنْ لَمْ يَأْتُوا مَعَكَ قَالَ هُمْ أَصْحَابِي وَهُمْ بِمَنْزِلَةٍ مِنْ جَاءَ مَعِيَ فَإِنْ تَمَمَّتْ عَلَى مَا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَإِلَّا نَاجَزْتُكَ^(١) قَالَ قَفْ عَنْهُمْ الْحَرَّ قَالَ ثُمَّ قَالَ لَهُمُ الْحُسَيْنُ أَخْبِرُونِي خَيْرَ النَّاسِ وَرَاءَكُمْ فَقَالَ لَهُ مَجْمَعُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعَائِذِيُّ وَهُوَ أَحَدُ النَّفَرِ الْأَرْبَعَةِ الَّذِينَ جَاءُوهُ أَمَا أَشْرَافُ النَّاسِ فَقَدْ أُعْظِمْتَ^(٢) رَشْوَتُهُمْ وَثَلَّثْتَ غَرَائِرَهُمْ يُسْتَمَالُ وَدَّهْمُ وَيَسْتَخْلَصُ بِهِ نَصِيحَتُهُمْ فَهَمُّ أَلْبٌ وَاحِدٌ^(٣) عَلَيْكَ وَأَمَّا سَائِرُ النَّاسِ بَعْدَ فَإِنْ أَفْتَدَتْهُ تَهْوَى^(٤) إِلَيْكَ وَسَيُوفُهُمْ غَدَا مَشْهُورَةٌ^(٥) عَلَيْكَ .

قَالَ أَخْبِرْنِي فَهَلْ لَكُمْ بِرَّوَلِي إِلَيْكُمْ قَالُوا مِنْ هُوَ قَالَ قَيْسُ بْنُ مُشَيْرٍ الصَّيْدَاوِيُّ فَقَالُوا نَعَمْ أَخَذَهُ الْحَصِينُ بْنُ ثُمَيْرٍ فَبِعَثَ - إِلَى ابْنِ زِيَادٍ فَأَمَرَهُ ابْنُ زِيَادٍ أَنْ يَلْعَنَكَ وَيَلْعَنَ أَبَاكَ فَصَلَّى عَلَيْكَ وَعَلَى أَبِيكَ وَلَعَنَ ابْنُ زِيَادٍ وَأَبَاهُ وَدَعَا إِلَى

(١) نَاجَزَهُ : أَيِ بَادَلَهُ ، وَقَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِي حَكِيمُ الْعَرَبِ : إِذَا أَرَدْتَ الْمَحَاجَزَةَ فَقِيلَ الْمَنَاجَزَةُ وَيُقَالُ نَاجَزَهُ الْقِتَالُ .

(٢) وَالرَّجَالُ مَعَهَا كِبَرَتْ شَخْصُهُمْ وَهَمُومُهُمْ فَهَمُّ صَغَارِ أَمَامِ الْمَالِ وَعَبِيدٌ لِلْحَرَصِ وَحِيَالُهُ يَفْقَدُونَ صَوَابَهُمْ .

(٣) يُقَالُ تَأَلَّبَ عَلَيْهِ : تَمَرَّدَ وَثَارَ ، وَهَمُّ أَلْبٌ وَاحِدٌ عَلَيْكَ أَيِ مَجْتَمِعُونَ عَلَى مَقَاوِمِكَ وَالثَّوْرَةُ عَلَيْكَ .

(٤) تَهْوَى : تَمِيلُ .

(٥) مَشْهُورَةٌ : مَشْرُوعَةٌ مَرْفُوعَةٌ عَلَيْكَ .

نصرتك وأخبرهم بقدمك فأمر به ابن زياد فألقي من طمار القصر فترقرقت
عيننا حسين عليه السلام ولم يملك دمه ثم قال منهم مَن قضى نحبه^(١) ومنهم من
ينتظر وما بدلوا تبديلاً . اللهم اجعل لنا ولهم الجنة نزلاً واجمع بيننا وبينهم في
مستقر من رحمتك ورغائب مذخور^(٢) ثوابك .

قال أبو مخنف حدثني جميل بن مَرثد من بني معن عن الطَّرْمَاح
ابن عدي أنه دنا من الحسين فقال له والله إني لأنظر فما أرى معك أحداً .
ولو لم يقاتلك إلا هؤلاء الذين أراهم ملازميك لكان كفى بهم وقد رأيت قبل
خروجي من الكوفة إليك بيوم ظهر الكوفة وفيه من الناس ما لم تر عينا في
صعيد واحد جمعاً أكثر منه فسألت عنهم فقبل اجتمعوا ليعرضوا ثم يسرحون إلى
الحسين فأشددك الله ان قدرت على ألا تقدم عليهم شبراً إلا فعلت فإن أردت أن
تنزل بلدأً يمنعك الله به حتى ترى من رأيك ويستبين لك ما أنت صانع فسرحتي
أنزلك مناع جبلنا الذي يدعى أجأً امتنعنا والله به من ملوك غسان وحير ومن
النعمان بن المنذر ومن الأسود والأحمر والله إن دخل علينا ذل قط فأسير معك
حتى أنزلك القرية ثم نبعت إلى الرجال ممن بأجأً وسلّمى من طيّء فوالله لا يأتي
عليك عشرة أيام حتى يأتيك طيّء رجالاً وركباناً ثم أقيم فينا ما بدا لك فإن
هاجك هيج فأنا زعيم لك بعشرين ألف طائي يضربون بين يديك فأسيافهم
والله لا يوصل إليك أبداً ومنهم عين تطرف فقال له جزاك الله وقومك خيراً إنه
قد كان بيننا وبين هؤلاء القوم قول لسنا نقدر معه على الانصراف ولا ندري
علام تنصرف بنا وبهم الأمور في عاقبة .

قال أبو مخنف فحدثني جميل بن مَرثد قال حدثني الطَّرْمَاح بن عدي قال
فودعته وقلت له دفع الله عنك شر الجن والإنس إني قد امترت لأهلي من الكوفة
ميرة ومعني نفقة لهم فآتيهم فأضع ذلك فيهم ثم أقبل إليك إن شاء الله فإن
ألحقك فوالله لأكونن من أنصارك قال فإن كنت فاعلاً فعجل رحمتك الله قال
فعلمت أنه مستوحش إلى الرجال حتى يسألني التعجيل قال فلما بلغت أنه

(١) قضى نحبه : قضى أجله .

(٢) مذخور ثوابك : آحله .

مستوحش إلى الرجال حتى يسألني التعجيل قال فلما بلغت أهلي وضعتُ عندهم ما يصلحهم وأوصيت فأخذ أهلي يقولون إنك لتصنع مرتك هذه شيئاً ما كنت تصنعه قبل اليوم فأخبرتهم بما أريد وأقبلت في طريق بني ثعل حتى إذا دنوتُ من عُذيب الهجانات استقبلني سَماعة بن بدر فنعاها إلى فرجعت قال ومضى الحسين عليه السلام حتى انتهى إلى قصر بني مقاتل فنزل به فإذا هو بفسطاط مضروب .

قال أبو مخنف حدثني المجالد بن سعيد عن عامر الشعبي أن الحسين بن علي رضي الله عنه قال لَمَن هذا الفسطاط؟ فقيل لعبيد الله بن الحر الجعفي قال ادعوه لي وبعث إليه فلما أتاه الرسول قال هذا الحسين بن علي يدعوك فقال عبيد الله بن الحر إنا لله وإنا إليه راجعون والله ما خرجت من الكوفة إلا كراهة أن يدخلها الحسين وأنا بها والله ما أريد أن أراه ولا يراني فأتاه الرسول فأخبره فأخذ الحسين نعليه فانتعل ثم قام فجاءه حتى دخل عليه فسلم وجلس ثم دعاه إلى الخروج معه فأعاد إليه ابن الحر تلك المقالة فقال فلإنا تنصرنا فاتق الله أن تكون ممن يقاتلنا فوالله لا يسمع واعيئنا أحد ثم لا ينصرنا إلا هلك قال أما هذا فلا يكون أبداً إن شاء الله ثم قام الحسين عليه السلام من عنده حتى دخل رحله .

قال أبو مخنف حدثني عبدالرحمن بن جندب عن عقبة بن سيمعان قال لما كان في آخر الليل أمر الحسين بالاستقاء من الماء ثم أمرنا بالرحيل ففعلنا قال فلما ارتحلنا من قصر بني مقاتل وسرنا ساعة خفق الحسين برأسه خفقة ثم انتبه وهو يقول إنا لله وإنا إليه راجعون والحمد لله رب العالمين قال ففعل ذلك مرتين أو ثلاثاً قال فأقبل إليه ابنه علي بن الحسين على فرس له فقال إنا لله وإنا إليه راجعون والحمد لله رب العالمين يا أبت جعلت فداك مِمَّ حمدت الله واسترجعت^(١) قال يا بني إني خفقت^(٢) برأسي خفقة فعن^(٣) لي فارس على فرس فقال القوم يسرون والمنايا تسري^(٤) اليهم فعلمت أنها أنفسنا نعت الينا قال له يا أبت لا أراك الله سوءاً ألسنا على الحق قال بلى والذي اليه مرجع العباد

(١) استرجع : قال : إنا لله وإنا إليه راجعون . (٣) عن لي فارس : ظهر وبدأ .

(٢) خفق برأسه : اضطرب . (٤) المنايا : الموت .

قال يا أبت إذا لا نبالي بموت محقين فقال له جزاك الله من ولد خير ما جرى ولداً عن والده قال فلما أصبح نزل فصلى الغداة ثم عجل الركوب فأخذ يتأسر بأصحابه يريد أن يفرقهم فيأتيه الحر بن يزيد فيردّهم فيردّهم فجعل إذا ردهم إلى الكوفة رداً شديداً امتنعوا عليه فارتفعوا فلم يزالوا يتسايرون حتى انتهوا إلى نينوى المكان الذي نزل به الحسين قال فإذا راكب على نجيب له وعليه السلاح متنكب قوساً مقبل من الكوفة فوقفوا جميعاً ينتظرونه فلما انتهى اليهم سلم على الحر بن يزيد وأصحابه ولم يسلم على الحسين عليه السلام وأصحابه فدفع إلى الحر كتاباً من عبيد الله بن زياد فإذا فيه : أما بعد فجمع^(١) بالحسين حين يبلغك كتابي ويقدم عليك رسولي فلا تنزله إلا بالعراء في غير حصن وعلى غير ماء وقد أمرت رسولي أن يلزمك ولا يفارقك حتى يأتيك بأمر مني والسلام قال فلما قرأ الكتاب قال لهم الحر هذا كتاب الأمير عبيد الله بن زياد يأمرني فيه أن أجمع بكم في المكان الذي يأتيك فيه كتابه وهذا رسوله وقد أمره أن لا يفارقي حتى أنفذ رأيته وأمره فنظر إلى رسول عبيد الله يزيد بن زياد بن المهاصر أبو الشعثاء الكندي ثم النهدي فعزّ له فقال أمالك بن النسيّر البدي قال نعم وكان أحد كندة فقال له يزيد بن زياد ثكلتك أمك ماذا جئت فيه قال وما جئت فيه أطعمت إمامي ووفيت ببيعتي فقال له أبو الشعثاء عصيت ربك وأطعمت إمامك في هلاك نفسك كسبت العار والنار قال الله عز وجل ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴾ فهو إمامك .

قال وأخذ الحر بن يزيد القوم بالنزول في ذلك المكان على غير ماء ولا في قرية فقالوا دعنا ننزل في هذه القرية يعنون نينوى أو هذه القرية يعنون الغاضرية أو هذه الأخرى يعنون شيفية فقال لا والله ما أستطيع ذلك هذا رجل قد بعث إليّ عيناً فقال له زهير بن القين يا ابن رسول الله إن قتال هؤلاء أهون من قتال من يأتيك من بعدهم فلعمري ليأتينا من بعد من ترى ما لا قبل لنا به فقال له الحسين ما كنت لأبدأهم بالقتال فقال له زهير بن القين سربنا إلى هذه القرية حتى تنزلها فإنها حصينة وهي على شاطئ الفرات فإن منعونا قاتلناهم فقتلهم

(١) جمع : الجمعية صوت الرحي .

أهون علينا من قتال من يجيء من بعدهم فقال له الحسين وأية قرية هي؟ قال هي العَقْر فقال الحسين اللهم اني أعوذ بك من العقر ثم نزل وذلك يوم الخميس وهو اليوم الثاني من المحرم سنة ٦١ فلما كان من الغد قدم عليهم عمر بن سعد بن أبي وقاص من الكوفة في أربعة آلاف قال وكان سبب خروج ابن سعد إلى الحسين عليه السلام أن عبيد الله بن زياد بعثه على أربعة آلاف من أهل الكوفة يسير بهم إلى دسّتي وكانت الديلم قد خرجوا إليها وغلّبوا عليها فكتب إليه ابن زياد عهدته على الري^(١) وأمره بالخروج فخرج معسكراً بالناس بحمام أعين فلما كان من أمر الحسين ما كان وأقبل إلى الكوفة دعا ابن زياد عمر بن سعد فقال سر إلى الحسين فإذا فرغنا مما بيننا وبينه سرت إلى عملك فقال له عمر بن سعد إن رأيت -رحمك الله- أن تُعفيني فافعل فقال له عبيد الله نعم على أن ترد لنا عهدنا قال فلما قال له ذلك قال عمر بن سعد أمهلني اليوم حتى أنظر قال فانصرف عمر يستشير نصحاء فلم يكن يستشير أحداً إلا ناهى وقال وجاء حمزة بن المغيرة بن شعبة وهو ابن أخته فقال أنشدك الله يا خال أن تسير إلى الحسين فتأثم بربك وتقطع رحمك فوالله لأن تخرج من دنياك ومالك وسلطان الأرض كلها لو كان لك -خير لك من أن تلقى الله بدم الحسين فقال له عمر بن سعد فإني أفعل إن شاء الله قال هشام حدثني عوانة بن الحكم عن عمار بن عبد الله بن يسار الجُهني عن أبيه قال دخلت على عمر بن سعد وقد أمر بالمسير إلى الحسين فقال لي إن الأمير أمرني بالمسير إلى الحسين فأبيت ذلك عليه فقلت له أصاب الله بك أرشدك الله أجل فلا تفعل ولا تسر إليه قال فخرجت من عنده فأتاني آت وقال هذا عمر بن سعد يندب الناس إلى الحسين قال فأتيتُه فإذا هو جالس فلما رأيته أعرض بوجهه فعرفت أنه قد عزم على المسير إليه فخرجت من عنده قال فأقبل عمر بن سعد إلى ابن زياد فقال أصلحك الله إنك وليتني هذا العمل وكتب لي العهد وسمع به الناس فإن رأيت أن تنفذ لي ذلك فافعل وابعث إلى الحسين في هذا الجيش من أشرف الكوفة من لست بأغني ولا أجراً عنك في الحرب منه .

فسمي له أناساً فقال له ابن زياد لا نعلمني بأشرف أهل الكوفة ولست

(١) مكافأة له على الخروج لملاقاة الحسين وقتاله .

استأمرك فيمن أريد أن أبعث إن سرتَ بجندنا وإلا فابعث الينا بعهدنا فلما رآه قد لَجَّ قال فلإني سائر قال فأقبل في أربعة آلاف حتى نزل بالحسين من الغد من يوم نزل الحسين نينوى قال فبعث عمر بن سعد إلى الحسين عليه السلام عَزْرَةَ بن قيس الأحمسي فقال ائته فسله ما الذي جاء به وماذا يريد؟ وكان عَزْرَةُ ممن كتب إلى الحسين فاستحيا منه أن يأتيه قال فعرض ذلك على الرؤساء الذين كاتبوه فكلهم أبي وكرهه قال وقام إليه كثير بن عبد الله الشعبي وكان فارساً شجاعاً ليس يُردَّ وجهه شيء فقال أنا أذهب إليه والله لئن شئت لأفتكن به فقال له عمر بن سعد ما أريد أن يُفتك به ولكن ائته فسله ما الذي جاء به قال فأقبل إليه فلما رآه أبو ثمامة الصائدي قال للحسين أصلحك الله أبا عبد الله قد جاءك شر أهل الأرض وأجرأه على دم وأفتكه فقام إليه فقال ضَع سيفك قال لا والله ولا كرامة إنما أنا رسول فإن سمعتم مني أبلغتكم ما أرسلتُ به إليكم وإن أبيتم انصرفتُ عنكم فقال له فاني آخذُ بقائم سيفك ثم تكلم بحاجتك قال لا والله لا تمسه فقال له أخبرني ما جئت به وأنا أبلغه عنك ولا أدعك تدنو منه فانك فاجر قال فاستبأ ثم انصرف إلى عمر بن سعد فأخبره الخبر قال فدعا عمر قَرَّةَ بن قيس الحنظلي فقال له ويحك يا قرة التَّحسينا فسله ما جاء به وماذا يريد قال فأتاه قرة بن قيس فلما رآه الحسين مقبلاً قال أتعرفون هذا فقال حبيب بن مظاهر نعم هذا رجل من حظلة تميمي وهو ابن أختنا ولقد كنتُ أعرفه، بحسن الرأي وما كنتُ أراه يشهد هذا المشهد قال فجاء حتى سلم على الحسين وأبلغه رسالة عمر بن سعد إليه له فقال الحسين كتب إلى أهل مُصركم هذا أن أقدم فأما أذكر هوني فأنا أنصرف عنهم قال ثم قال له حبيب بن مظاهر ويحك يا قرة بن قيس أي ترجع إلى القوم الظالمين انصر هذا الرجل الذي بآبائه أيديك الله بالكرامة وإيانا معك فقال له قرة أرجع إلى صاحبي بجواب رسالته وأرى رأيي قال فانصرف إلى عمر بن سعد فأخبره الخبر فقال له عمر بن سعد إني لأرجو أن يعافيني الله من حربه وقتاله .

قال هشام عن أبي مخنف قال حدثني النضر بن صالح بن حبيب بن زهير العبسي عن حسان بن فائد بن بكر العبسي قال أشهد أن كتاب عمر بن سعد

جاء الى عبيد الله بن زياد وأنا عنده فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فاني حيث نزلت بالحسين بعثتُ إليه رسولي فسألته عما أقدمه وماذا يطلب ويسأل فقال كتب إلى أهل هذه البلاد وأتتني رُسُلهم فسألوني القدوم ففعلتُ فأما إذ كرهوني فبداهم غيرُ ما أتتني به رسلهم فأنا منصرفٌ عنهم فلما قرئ الكتاب على ابن زياد قال :

الآنَ إِذْ عَلِقْتُ نَحَالِبُنَا بِهِ يَرْجُو النجاةَ وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ^(١)
قال وكتب الى عمر بن سعد :

بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد بلغني كتابك وفهمتُ ما ذكرتُ فأعرض على الحسين أن يبايع ليزيد بن معاوية هو وجميع أصحابه فإذا فعل ذلك رأينا رأينا والسلام قال فلما أتى عمر بن سعد الكتاب قال قد حسبْتُ ألا يقبل ابن زياد العافية .

قال أبو مخنف حدثني سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم الأزدي قال جاء من عبيد الله بن زياد كتاب الى عمر بن سعد أما بعد فحُل بين الحسين وأصحابه وبين الماء ولا يذوقوا منه قطرة كما صُنِع بالتقي الزكي المظلوم أمير المؤمنين عثمان بن ^(٢) عفان قال فبعث عمر بن سعد عمرو بن الحجاج على خمسمائة فارس فنزلوا على الشريعة وحالوا بين حسين وأصحابه وبين الماء أن يسقوا منه قطرة وذلك قبل قتل الحسين بثلاث قال ونال به عبد الله بن أبي حصين الأزدي وعداده في بَجيلة فقال يا حسين ألا تنظر الى الماء كأنه كبِد الساء والله لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشاً فقال حسين اللهم اقتله عطشاً ولا تغفر له أبداً قال حميد بن مسلم والله لَعُدته بعد ذلك في مرضه فوالله الذي لا إله إلا هو لقد رأيته يشرب حتى بغر ثم يقىء ثم فيشرب حتى يبغر فما يروى فما زال ذلك دأبه حتى لَفَظَ غُصَّتَهُ يعني نفسه قال ولما اشتدَّ على الحسين وأصحابه العطش دعا العباس بن علي بن أبي طالب أخاه فبعثه في ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً وبعث معهم بعشرين قرية ^(٣) فجاءوا حتى دنوا من الماء ليلاً واستقدم

(١) لات حين مناص : أي هيات له ذلك .

(٢) لأن قتلة عثمان بن عفان رضي الله عنه فعلوا به مثل ذلك وهو في داره .

(٣) القرية : ما يحفظون فيه الماء ، وجمعها قرب .

إمامهم باللواء نافع بن هلال الجملي فقال عمرو بن الحجاج الزبيدي من الرجل ؟ فجيء فقال ماجاء بك قال جئنا نسرب من هذا الماء الذي حلأتمونا^(١) عنه قال فاشرب هنيئاً قال لا والله لا أشرب منه قطرة وحسين عطشان ومن ترى من أصحابه فطلعوا عليه فقال لا سبيل إلى سقي هؤلاء إنما وُضِعنا بهذا المكان لنمنعهم الماء فلما دنا منه^(٢) أصحابه قال لرجالهم املؤا قربكم فشَد الرجال فملؤا قربهم وثار إليهم عمرو بن الحجاج وأصحابه فحمل عليهم العباس ابن علي ونافع بن هلال فكفروهم ثم انصرفوا إلى رحالهم فقالوا امضوا ووقفوا دونهم فعطف عليهم عمرو بن الحجاج وأصحابه واطردوا قليلا ثم إن رجلا من صُداء طعن من أصحاب عمرو بن الحجاج طعنه نافع بن هلال فظن أنها ليست بشيء ثم إنها انتقضت بعد ذلك فمات منها وجاء أصحاب حسين بالقرب فأدخلوها عليه .

قال أبو مخنف حدثني أبو جَنَاب عن هانيء بن ثبيت الحضرمي وكان قد شهد قتل الحسين قال بعث الحسين عليه السلام إلى عمر بن سعد عمرو بن قرظلة بن كعب الأنصاري أن القني الليل بين عسكري وعسكري قال فخرج عمر بن سعد في نحو من عشرين فارسا وأقبل حسين في مثل ذلك فلما التقوا أمر حسين أصحابه أن يتنحوا عنه وأمر عمر بن سعد أصحابه بمثل ذلك قال فانكشفنا^(٣) عنها بحيث لا نسمع أصواتها ولا كلامها فتكلمنا فأطالا حتى ذهب من الليل^(٤) هزيع ثم انصرف كل واحد منهما إلى عسكره فأصحابه وتحدث الناس فيما بينهما ظنا يظنون أنه حسيناً قال لعمر بن سعد اخرج معي إلى يزيد بن معاوية وندع العسكريين قال عمر إذن تهدم داري قال أنا أبنيها لك قال إذن تؤخذ ضياغي قال إذن أعطيك خيرا منها من مالي بالحجاز قال فكره ذلك عمر قال فتحدث الناس بذلك وشاع فيهم من غير أن يكونوا سمعوا من ذلك شيئا ولا علموه .

(١) حلأتمونا عنه : منعتمونا إياه .

(٢) دنا منه : اقترب منه .

(٣) انكشفوا : ابتعدوا .

(٤) هزيع : الثلث الأخير من الليل .

قال أبو مخنف وأما ما حدثنا به المجالد بن سعيد والصقعب بن زهير الأزدي وغيرهما من المحدثين فهو ما عليه جماعة المحدثين قالوا إنه قال اختاروا مني خصالاً ثلاثاً إما أن أرجع إلى المكان الذي أقبلت منه وإما أن أضع يدي في يد يزيد بن معاوية فيرى فيما بيني وبينه رأيته وإما أن تسيروني إلى أي ثغر من ثغور المسلمين شئت فأكون رجلاً من أهله لي ما لهم وعليّ ما عليهم .

قال أبو مخنف فأما عبد الرحمن بن جندب فحدثني عن عقبة بن سمعان قال صحبت حسيناً فخرجت معه من المدينة إلى مكة ومن مكة إلى العراق ولم أفارقه حتى قتل وليس من مخاطبته الناس كلمة بالمدينة ولا بمكة ولا في الطريق ولا بالعراق ولا في عسكر إلى يوم مقتله إلا وقد سمعتها ألا والله ما أعطاهم ما يتذاكر الناس وما يزعمون من أن يضع يده في يد يزيد بن معاوية ولا أن يسيروه إلى ثغر من ثغور المسلمين ولكنه قال دعوني فلاذهب في هذه الأرض العريضة حتى ننظر ما يصير أمر الناس ^(١) .

قال أبو مخنف حدثني المجالد بن سعيد الهمداني والصقعب بن زهير أنهما كانا التقيا مراراً ثلاثاً أو أربعاً حسين وعمر بن سعد قال فكتب عمر بن سعد إلى عبيد الله بن زياد أما بعد فإن الله قد أطفأ النائرة وجمع الكلمة وأصلح أمر الأمة هذا حسين قد أعطاني أن يرجع إلى المكان الذي منه أتى أو أن نسيره إلى أي ثغر من ثغور المسلمين شئت فيكون رجلاً من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم أو أن يأتي يزيد أمير المؤمنين فيضع يده في يده فيرى فيما بينه وبينه رأيته وفي هذا لكم رضي وللأمة صلاح قال فلما قرأ عبيد الله الكتاب قال هذا كتاب رجل ناصح لأمره مشفق على قومه نعم قد قبلت قال فقام إليه شمر بن ذي الجوشن فقال أتقبل هذا منه وقد نزل بأرضك إلى جنبك والله لئن رحل من بلدك ولم يضع يده في يدك ليكونن أولى بالقوة والعز ولتكونن أولى بالضعف والعجز فلا تعطه هذه المنزلة فإنها من الوهن ولكن لينزل على حكمك هو وأصحابه فإن عاقبت فأنت ولي العقوبة وإن غفرت كان ذلك لك والله لقد بلغني أن حسيناً

(١) ما يصير إليه أمر الناس : ما ينتهون إليه .

وعمر بن سعد يجلسان بين العسكرين فيحدثان عامة الليل (١) فقال له ابن زياد نعم ما رأيت الرأي رأيك .

قال أبو مخنف فحدثني سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم قال ثم إن عبيد الله بن زياد دعا شمر بن ذي الجوشن فقال له اخرج بهذا الكتاب إلى عمر بن سعد فليعرض على الحسين وأصحابه النزول على حكمي فإن فعلوا فليبعث بهم إلى سلماء وإن هم أبوا فليقاتلهم فإن فعل فاسمع له وأطع وإن هو أبى فقاتلهم فأنت أمير الناس وثب عليه فاضرب عنقه وابعث إلى برأسه .

قال أبو مخنف حدثني أبو جناب الكلبي قال ثم كتب عبيد الله بن زياد إلى عمر بن سعد أما بعد فإني لم أبعثك إلى حسين لتكف عنه ولا لتطاوله ولا لتمنيه السلامة والبقاء ولا لتقعد له عندي شافعاً ، أنظر فإن نزل حسين وأصحابه على الحكم واستسلموا فابعث بهم إلى سلماء وإن أبوا (٢) فا زحف اليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم فإنهم لذلك مستحقون فان قتل حسين فأوط الخيل صدره وظهره فإنه عاق مشاق قاطع ظلوم وليس دهري في هذا أن يضر بعد الموت شيئاً ولكن على قول لو قد قتلتها فعلت هذا به إن أنت مضيت لأمرنا فيه جزيناك جزاء السامع المطيع وإن أبيت فاعتزل عملنا وجندنا وخل بين شمر بن ذي الجوشن وبين العسكر فانا قد أمرناه بأمرنا والسلام .

قال أبو مخنف عن الحارث بن حصيرة عن عبد الله بن شريك العامري قال لما قبض شمر بن ذي الجوشن الكتاب قام هو وعبد الله بن أبي المحل وكانت عمته أم البنين ابنة حزام عند علي بن أبي طالب عليه السلام فولدت له العباس وعبد الله وجعفر وعثمان فقال عبد الله بن أبي المحل بن حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب أصلح الله الأمير إن بني اختنا مع الحسين فان رأيت أن تكتب لهم أماناً فعلت قال نعم ونعمة عين فأمر كاتبه فكتب لهم أماناً فبعث به عبد الله بن أبي المحل مع مولى له يقال له كزمان فلما

(١) عامة الليل : أكثره .

(٢) أبوا : رفضوا .

قدم عليهم دعاهم فقال هذا أمان بعث به خالكُم فقال له الفتية أقرئ خالنا السلام وقل له أن لا حاجة لنا في أمانكُم أمان الله خيرٌ من أمان ابن نسمية قال فأقبل شمر بن ذي الجوشن بكتاب عبيد الله بن زياد إلى عمر بن سعد فلما قدم به عليه فقرأه وقال له عمر مالك ويلك لا قرب الله دارك وقبح الله ما قدمت به عليّ والله إني لأظنك أنت ثنيته أن يقبل ما كتبتُ به اليه أفسدت علينا أمراً كنا رجونا أن يصلح لا يستسلم والله حسين إن نفساً أبيّة لبين جنبه فقال له شمر أخبرني ما أنت صانع؟ أتمضي لأمر أميرك وتقتل عدوه وإلا فخل بيني وبين الجند والعسكر قال لا ولا كرامة لك وأنا أتولى ذلك قال فدونك وكن أنت على الرجال قال فنهض اليه عشية الخميس لتسع مضيّن من المحرم قال وجاء شمر حتى وقف على أصحاب الحسين فقال أين بنو أختنا فخرج اليه العباس وجعفر وعثمان بنو علي فقالوا له مالك وما تريد؟ قال أنتم يا بني أختي آمنون قال له الفتية لعنك الله ولعن أمانك لئن كنت خالنا أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له قال ثم إن عمر بن سعد ^(١) نادى يا خيل الله اركبي وأبشري فركب في الناس ثم زحف نحوهم بعد صلاة العصر وحسين جالس أمام بيته محتبياً بسيفه إذ خفق برأسه على ركبتيه وسمعت أخته زينب الصبيحة فدنّت من أخيها فقالت يا أخي أما تسمع الأصوات قد اقتربت قال فرفع الحسين رأسه فقال إني رأيت رسول الله ﷺ في المنام فقال لي إنك تروح إلينا قال فلطمّت أخته وجهها وقالت يا ويلتا فقال ليس لك الويل يا أختي اسكني رحمك الرحمن وقال العباس بن علي يا أخي أذاك القوم قال فنهض ثم قال يا عباس اركب بنفسي أنت يا أخي حتى تلقاهم فتقول لهم مالكم وما بدا لكم وتسألهم عما جاء بهم فأتاهم العباس فاستقبلهم في نحو من عشرين فارساً فيهم زهير بن القين وحبيب بن مظاهر فقال لهم العباس ما بدا لكم وما تريدون قالوا جاء أمر الأمير بأن نعرض عليكم أن تنزلوا على حكمه أو ننازلكم ^(٢) قال فلا تعجلوا حتى أرجع إلى أبي عبد الله فأعرض عليه ما ذكرتم قال فوقفوا ثم قالوا القه فأعلمه ذلك ثم القنا بما يقول قال فانصرف

(١) راجع ترجمه عمر بن سعد في الطبقات الكبرى لابن سعد (١٦٨/٥) .

(٢) ننازلكم : نقاتلكم .

العباس راجعاً يركض الى الحسين يخبره بالخبر ووقف أصحابه يخاطبون القوم فقال حبيب بن مظاهر لزهير بن القين كلم القوم إن شئت وإن شئت كلمتهم فقال له زهير أنت بدأت بهذا فكن أنت تكلمهم فقال له حبيب بن مظاهر أما والله لبشّ القوم عند الله غداً قومٌ يقدمون عليه قد قتلوا ذرية نبيه عليه السلام وعترته وأهل بيته ﷺ وعباد أهل هذا المصر المجتهدين بالأسحار والذاكرين الله كثيراً فقال له عزرة بن قيس إنك لتُركي نفسك ما استطعت فقال له زهير يا عزرة إن الله قد زكاها وهداها فاتق الله يا عزرة فإني لك من الناصحين أنشدك الله يا عزرة أن لا تكون ممن يعين الضلال على قتل النفوس الزكية قال يا زهير ما كنت عندنا من شيعة أهل هذا البيت إنما كنت عثمانياً قال أفلست تستدل بموقفي هذا أني منهم أما والله ما كتبتُ إليه كتاباً قط ولا أرسلتُ إليه رسولا قط ولا وعدته نصرتي قط ولكن الطريق جمع بني وبينه فلما رأيته ذكرتُ به رسول الله ﷺ ومكانه منه وعرفت ما يقدم عليه من عدوه وحزبكم فرأيت أن أنصره وأن أكون في حزبه وأن أجعل نفسي دون نفسه حفظاً لما ضيعتم من حق الله وحق رسوله عليه السلام قال وأقبل العباس بن علي يركض^(١) حتى انتهى إليهم فقال يا هؤلاء إن أبا عبد الله يسألكم أن تنصرفوا هذه العشية حتى ينظر في هذا الأمر فإن هذا أمرٌ لم يجر بينكم وبينه فيه منطلقٌ فإذا أصبحنا التقينا إن شاء الله فإما رضيناها فأتينا بالأمر الذي تسألونه وتسومونه أو كرهنا فرددناه وإنما أراد بذلك أن يردهم عنه تلك العشية حتى يأمر بأمره ويوصي أهله فلما أتاهم العباس بن علي بذلك قال عمر بن سعد ما ترى يا شمرة قال ما ترى أنت؟ أنت الأمير والرأي رأيك قال قد أردت ألا أكون ثم أقبل على الناس فقال ماذا ترون فقال عمرو بن الحجاج بن سلمة الزبيدي سبحان الله والله لو كانوا من الديلم ثم سألوكم هذه المنزلة لكان ينبغي لك أن تجيهم إليها وقال قيس بن الأشعث أجبهم إلى ما سألوكم فلمعمرى لصبحنك بالقتال غدوة فقال والله لو أعلم أن يفعلوا ما أخرجتهم العشية قال وكان العباس بن علي حين أتى حسينا بما عرض عليه عمر بن سعد قال ارجع إليهم فان استطعت أن تؤخرهم إلى غدوة وتدفعهم

(١) يركض : يثب برجليه .

عند العشية لعلنا نصلي لرَبِّنا الليلة وندعوه ونستغفره فهو يعلم أي قد كنت أحب الصلاة له وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والاستغفار .

قال أبو مخنف حدثني الحارث بن حصيرة عن عبد الله بن شريك العامري عن علي بن الحسين قال أتانا رسول من قبل عمر بن سعد فقام مثل حيث يسمع الصوت فقال إنا قد أجلناكم إلى غد فان استسلمتم سرحنا بكم إلى أميرنا عبيد الله بن زياد وإن أبيتم فلسنا تارككم .

قال أبو مخنف وحدثني عبد الله بن عاصم الفائشي عن الضحاك بن عبد الله المشرقي بطن من همدان أن الحسين بن علي عليه السلام جمع أصحابه .

قال أبو مخنف وحدثني أيضاً الحارث بن حصيرة عن عبد الله بن شريك العامري عن علي بن الحسين قال جمع الحسين أصحابه بعد ما رجع عمر بن سعد وذلك عند قرب المساء قال علي بن الحسين فدنوت منه لأسمع وأنا مريض فسمعت أبي وهو يقول لأصحابه : أئني على الله تبارك وتعالى أحسن الشاء وأحمده على السَّراء والضراء اللهم إني أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوة وعلمتنا القرآن وفقهتنا في الدين وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدة ولم تجعلنا من المشركين أما بعد فإني لا أعلم أصحاباً أولى ولا خيراً من أصحابي ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي فجزاكم الله عني جميعاً خيراً ألا وإني أظن يومنا من هؤلاء الأعداء غداً ألا وإني قد رأيت لكم فانطلقوا جميعاً في حلّ ليس عليكم مني ذمام هذا ليلٌ قد غشيكم فاتخذوه جَمَلاً .

قال أبو مخنف حدثنا عبد الله بن عاصم الفائشي بطن من همدان عن الضحاك بن عبد الله المشرقي قال قدمت ومالك بن النضر الأرحبي على الحسين فسلمنا عليه ثم جلسنا إليه فردّ علينا ورحب بنا وسألنا عما جئنا له فقلنا جئنا لنسلم عليك وندعوك بالله بالعافية ونحدث بك عهداً ونخبرك خبر الناس وإنا نحدثك أنهم قد جمعوا على حربك فما رأيك فقال الحسين عليه السلام حسبي الله ونعم الوكيل قال فتذمنا وسلمنا عليه ودعونا الله له قال فما يمنعهما من نصرتي فقال مالك بن النضر علي دين ولي عيال فقلت له إن عليّ ديناً وإن لي لعيالاً

ولكنك إن جعلتني في حل من الانصراف إذا لم أجد مقاتلاً قاتلت عنك ما كان لك نافعاً وعنك دافعاً قال قال فأنت في حل فأقمتُ معه فلما كان الليل قال هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جَمَلاً ثم ليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي ثم تفرقوا في سوادكم ومدائنكم حتى يفرج الله فإن القوم إنما طلبوني ولو قد أصابوني هوأ^(١) عن طلب غيري فقال له إخوته وأبنائوه وبنو أخيه وابنا عبد الله ابن جعفر لم نفعل لنبي بعدك لا أرانا الله ذلك أبداً بدأهم بهذا القول العباس ابن علي ثم إنهم تكلموا بهذا ونحوه فقال الحسين عليه السلام يا بني عقيل حسبكم من القتل بمسلم اذهبوا قد أذنتُ لكم قالوا فما يقول الناس يقولون إنا تركنا شيخنا وسيدنا وبني عمومنا خير الأعمام ولم نرم معهم بسهم ولم نطعن معهم برمح ولم نضرب معهم بسيف ولا ندرى ما صنعوا لا والله لا نفعل ولكن تفديك أنفسنا وأموالنا وأهلونا ونقاتل معك حتى نرد موردك فقبح الله العيش بعدك .

قال أبو مخنف حدثني عبد الله بن عاصم عن الضحاك بن عبد الله المشرقي قال فقام إليه مسلم بن عوسجة الأسدي فقال أنحنُ نخلي عنك ولما نعذر إلى الله في أداء حقك أما والله حتى أكسر في صدورهم رمحي وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي ولا أفارقك ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقد فتهم بالحجارة دونك حتى أموت معك قال وقال سعد بن عبد الله الحنفي والله لا نخليك حتى يعلم الله أنا قد حفظنا غيبة رسول الله ﷺ فيك والله لو علمت أني أقتل ثم أحيا ثم أحرق حياً ثم أذرُ يفعلُ ذلك بي سبعين مرة ما فارتكت حتى ألقى حمامي دونك فكيف لا أفعل ذلك وإنما هي قتلة واحدة ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً قال وقال زهير بن القين والله لوددت أني قُتلت ثم نُسرت ثم قُتلت حتى أقتل كذا ألف قتلة وأن الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك قال وتكلم جماعة أصحابه بكلام يشبه بعضه بعضاً في وجه واحد فقالوا والله لا نفارقك ولكن أنفسنا لك الفداء نقيك بنحورنا وجباهنا وأيدينا فإذا نحن قتلنا كنا وفينا وقضينا ما علينا .

(١) هوا : أي تلها .

قال أبو مخنف حدثني الحارث بن كعب وأبو الضحاك عن علي بن الحسين ابن علي قال إني جالس في تلك العشيّة التي قتل أبي صبيحتها وعمتي زينب عندي تمرّضني إذ اعتزل أبي بأصحابه في خباء له وعنده حوى مولى أبي ذر الغفاري وهو يعالج سيفه ويصلحه وأبي يقول :

يا دهرُ أف لك من خليلٍ كم لك بالإشراق والأصيلِ
من صاحب أو طالب قتيلٍ والدهرُ لا يقنعُ بالبديلِ
وإنما الأمرُ إلى الجليلِ وكلُّ حي سالك السبيلِ

قال فأعادها مرتين أو ثلاثاً حتى فهمتها ما أراد فخنقتني عبرتي (١) فرددتُ دمعي ولزمت السكون فعلمت أن البلاء قد نزل فأما عمّي فإنها سمعت ما سمعتُ وهي امرأة وفي النساء الرقة والجزع فلم تملك نفسها أن وثبت تجرّ ثوبها وإنها لحاسرة (٢) حتى انتهت إليه فقالت واثكلاه ليت الموت أعدمني الحياة اليوم ماتت فاطمة أمي وعلي أبي وحسن أخي يا خليفة الماضي وثمان (٣) الباقي قال فنظر إليها الحسين عليه السلام فقال يا أختي لا يذهبن حلمك الشيطان قالت بأبي أنت وأمي يا أبا عبد الله استقتلت نفسي فإداك فرد غصته وترقرقت عيناه وقال لو ترك القطا ليلاً لنام قالت يا ويلي أفتغصب نفسك اغتصاباً فذلك أقرح لقلبي وأشدّ على نفسي ولطمت وجهها وأهوت إلى جيبها وشقته وخرت (٤) مغشياً عليها فقام إليها الحسين فصبّ على وجهها الماء وقال لها يا أختي اتقي الله وتعزّي بعزاء الله واعلمي أن أهل الأرض يموتون وأن أهل السماء لا يبقون وأن كل شيء هالك إلا وجه الله الذي خلق الأرض بقدرته ويبعث الخلق فيعودون وهو فرد وحده أبي خير مني وأمي خير مني وأخي خير مني ولي ولهم ولكل مسلم برسول الله أسوة قال فعزّاها بهذا ونحوه وقال لها يا أختي إني أقسم عليك فأبري

(١) عبرتي : دمعي .

(٢) حاسرة : مكشوفة .

(٣) ثمان الباقي : خلاصته ، ويقال ما بقي من الماء إلا ثمل وشرب ثمانية اللبن أي رغوته ، وثمان : انتشى .

(٤) خرت : سقطت .

قسمي لا تشقى علي جيباً ولا تخمشي^(١) على وجهاً ولا تدعي علي بالويل والثبور^(٢) إذا أنا هلكت قال ثم جاء بها حتى أجلسها عندي وخرج إلى أصحابه فأمرهم أن يقربوا بعض بيوتهم من بعض وأن يدخلوا الأطناب^(٣) بعضها في بعض وأن يكونوا هم بين البيوت إلا الوجه الذي يأتيهم منه عدوهم .

قال أبو مخنف عن عبد الله بن عاصم عن الضحاك بن عبد الله المشرقي قال فلما أمسى حسين وأصحابه قاموا الليل كله يصلون ويستغفرون ويدعون ويتضرعون قال فتمر بنا خيل لهم تحرسنا وإن حسيناً ليقرأ ألا ليحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خيراً لأنفسهم إنما لهم ليزداد إثناً ولهم عذابٌ مُهينٌ ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب : فسمعها رجل من تلك الخيل التي كانت تحرسنا فقال نحن ورب الكعبة الطيبون ميزنا منكم قال فعرفته فقلت لبُرير بن حُضير تدري من هذا؟ قال لا قلت هذا أبو-عرب الشيبعي عبد الله بن شهر وكان مضحاكاً بطالاً وكان شريفاً شجاعاً فاتكاً وكان سعيد بن قيس ربما حبسه في جناية فقال له بُرير بن حُضير يا فاسق أنت يجعلك الله في الطيبين فقال له من أنت قال أنا برير بن حُضير قال إنا لله عزَّ عليَّ هلكَ والله هلكَ والله يا برير قال يا أبا حرب هل لك أن تتوب إلى الله من ذنوبك العظام فوالله إنا لنحن الطيبون ولكنكم لأنتم الخبيثون قال وأنا على ذلك من الشاهدين قُلْتُ ويحك أفلا ينفعك معرفتك قال جعلت فداك فمن ينادم يزيد بن عذرة العنزي من عتْر بن وائل قال ها هو ذا معي قال قُبِحَ الله رأيك على كل حال أنت سفيه قال ثم انصرف عنا وكان الذي يحرسنا بالليل في الخيل عَزرة بن قيس الأحمسي وكان علي الخيل قال فلما صلى عمر بن سعد الغداة يوم السبت وقد بلغنا أيضاً أنه كان يوم الجمعة وكان ذلك اليوم يوم عاشوراء خرج فيمن معه من الناس قال وعياً الحسين أصحابه وصلى بهم صلاة الغداة وكان معه اثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً فجعل زهير بن القين في ميمنة أصحابه وحبيب بن مُظاهر

(١) لا تخمش : اي لا تخدش وجهها .

(٢) الثبور : الهلاك .

(٣) الأطناب : جمع طنب وهي حبال الخباء .

في ميسرة أصحابه وأعطى رايته العباس بن علي أخاه وجعلوا البيوت في ظهورهم وأمر بحطب وقصب كان من رواء البيوت تُحرق بالنار مخافة أن يأتوهم من ورائهم قال وكان الحسين عليه السلام أتى بقصب وحطب إلى مكان من ورائهم منخفض كأنه ساقية فحفروه في ساعة من الليل فجعلوه كالخندق ثم ألقوا فيه ذلك الحطب والقصب وقالوا إذا عدوا علينا فقاتلونا ألقينا فيه النار كيلا نؤتي من ورائنا وقاتلونا القوم من وجه واحد ففعلوا وكان لهم نافعاً .

قال أبو مخنف حدثني فضيل بن خديج الكندي عن محمد بن بشر عن عمرو الحضرمي قال لما خرج عمر بن سعد بالناس كان على ربع أهل المدينة يومئذ عبد الله بن زهير بن سليم الأزدي وعلي ربع مذجج وأسد عبد الرحمن بن أبي سبرة الحنفي وعلى ربع ربيعة وكندة قيس بن الأشعث بن قيس وعلى ربع تميم وهمدان الحر بن يزيد الرياحي فشهد هؤلاء كلهم مقتل الحسين إلا الحر بن يزيد فإنه عدل إلى الحسين وقُتل معه وجعل عمر على ميمنته عمرو بن الحجاج الزبيدي وعلى ميسرته شمر بن ذي الجوشن بن حبيب^(١) بن الأعور بن عمر بن معاوية وهو الضباب بن كلاب وعلى الخيل عزرة بن قيس الأحمسي وعلى الرجال شبت بن ربعي البربوعي وأعطى الراية ذويدا مولاة .

قال أبو مخنف حدثني عمرو بن مرة الجملي عن أبي صالح الحنفي عن غلام لعبد الرحمن بن عبد ربه الأنصاري قال كنت مع مولاى فلما حضر الناس وأقبلوا إلى الحسين أمر الحسين بفسطاط فضرب ثم أمر بمسك فميث في جفنه عظيمة أو صحيفة قال ثم دخل الحسين ذلك الفسطاط فتطلى بالنورة قال ومولاى عبد الرحمن بن عبد ربه وبرير بن حضير الهمداني على باب الفسطاط تحتك مناكبهما فازدحما أيهما يطل على أثره فجعل برير يهازل عبد الرحمن فقال له عبد الرحمن دعنا فوالله ما هذه بساعة باطل فقال له برير والله لقد علم قومي أي ما

(١) ولأبي شمر بن ذي الجوشن وهو ذو الجوشن الضبابي قصة هدايا أهداها وهو مشرك للنبي ﷺ فرفض النبي قبولها حتى يسلم فرفض الإسلام إلا بعد أن ينتصر المسلمون وقيل إنه ندم بعد ذلك ندماً شديداً لأنه لم يلب رغبة النبي ﷺ عندما طلب منه أن يسلم . راجع الطبقات الكبرى (٤٦/٦) - (٤٨) .

أحببت الباطل شاباً ولا كهلاً ولكن والله إني لمستبشر بما نحن لاقون والله إما بيننا وبين الحور العين إلا أن يميل هؤلاء علينا بأسيافهم ولوددت أنهم قد مالوا علينا بأسيافهم قال فلما فرغ الحسين دخلنا فاطمينا قال ثم إن الحسين ركب دابته ودعا بمصحف فوضعه أمامه قال فاقتتل أصحابه بين يديه قتالا شديداً فلما رأيتُ القوم قد صرعوا أفلتت وتركتهم .

قال أبو مخنف عن بعض أصحابه عن أبي خالدة الكاهلي قال لما صبحت الخيل الحسين رفع الحسين يديه فقال اللهم أنت ثقتي في كل كرب ورجائي في كل شدة وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة كم من هم يضعف فيه الفؤاد وتقل فيه الحيلة ويخذل فيه الصديق ويشمت فيه العدو أنزلته بك وشكوته إليك رغبة مني إليك عمن سواك ففرجته وكشفته فأنت ولي كل نعمة وصاحب كل حسنة ومُنْتَهَى كل رغبة .

قال أبو مخنف فحدثني عبد الله بن عاصم قال حدثني الضحاك المشرقي قال لما أقبلوا نحونا فنظروا إلى النار تضطرم في الحطب والقصب الذي كنا ألهبنا فيه النار من ورائنا لئلا يأتونا من خلفنا إذ أقبل إلينا منهم رجل يركض على فرس كامل الأداة فلم يكلمنا حتى مرّ علي أبياتنا فنظر إلى أبياتنا فإذا هو لا يرى إلا حطباً تلتهب النار فيه فرجع راجعاً فنادى بأعلى صوته يا حسين استعجلت النار في الدنيا قبل يوم القيامة فقال الحسين من هذا كأنه شمر بن ذي الجوشن فقالوا نعم أصلحك الله هو هو فقال يا ابن راعية المعزي أنت أولى بها صلياً^(١) فقال له مسلم بن عوسجة يا ابن رسول الله جُعِلْتُ فداك ألا أرميه بسهم فانه قد أمكنني وليس يسقط سهم فالفاسق من أعظم الجبارين فقال له الحسين لا ترمه فإني أكره أن أبدأهم وكان مع الحسين فرس له يُدعى لاحقاً حمل عليه ابنه علي بن الحسين قال فلما دنا منه القوم عاد براجلته فركبها ثم نادى بأعلى صوته بصوت عالٍ دُعَاء يسمع جلّ الناس أيها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوني حتى أعظكم بما لحق لكم عليّ حتى أعتذر إليكم من مقدمي عليكم فإن قبلتم عذري وصدقتُم قولي

(١) صلياً : أي تصلياً .

وأعطيتموني النصف كنتم بذلك أسعد ولم يكن لكم علي سبيل وإن لم تقبلوا مني العذر ولم تعطوا النصف من أنفسكم فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلى ولا تنظروا إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين قال فلما سمع أخواته كلامه هذا صحن وبكين وبكى بناته فارتفعت أصواتهن فأرسل اليهن أخاه العباس بن علي وعلياً ابنه وقال لهما أسكتاهن فلعمري ليكثرن بكأؤهن قال فلما ذهبا ليسكتاهن قال لا يبعد ابن عباس قال فظننا أنه إنما قالها حين سُمع بكأؤهن لأنه قد كان نراه أن يخرج بهن فلما سكتن حمد الله وأثنى عليه وذكر الله بما هو أهله وصلى على محمد ﷺ وعلى ملائكته وأنبيائه فذكر من ذلك ما الله أعلم وما لا يُحصى ذكره قال فوالله ما سمعتُ متكلاً قط قبله ولا بعده أبلغ في منطق منه ثم قال أما بعد فانسبوني فانظروا من أنا ثم أرجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها فانظروا هل يحلّ لكم قتلي وانتهاك حرمتي ألسنت ابن بنت نبيكم ﷺ وابن وصيه وابن عمه وأول المؤمنين بالله والمصدق لرسوله بما جاء به من عند ربه أو ليس حمزة سيد الشهداء عم أبي أو ليس جعفر الشهيد الطيار ذو الجناحين عمي أو لم يبلغكم قول مستفيض فيكم أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال لي ولأخي هذان سيدا شباب أهل الجنة فإن صدقتموني بما أقول - وهو الحق والله ما تعمّدت كذباً مذ علمت أن الله يمقت عليه أهله ويضرُّ به من اختلقه - وإن كذبتُموني فإن فيكم من إن سألتُموه عن ذلك أخبركم سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري أو أبا سعيد الخدري أو سهل بن سعد الساعدي أو زيد بن أرقم أو أنس بن مالك يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله ﷺ لي ولأخي أفما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي فقال له شمر بن ذي الجوشن هو يعبد الله على حرف إن كان يدري ما تقول فقال له حبيب بن مظاهر والله إني لأراك تعبد الله على سبعين حرفاً وأنا أشهد أنك صادق ما تدري ما يقول قد طبع الله على قلبك ثم قال لهم الحسين فان كنتم في شك من هذا القول أفتشكون أثراً ما أني ابن بنت نبيكم فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري منكم ولا من غيركم أنا ابن بنت نبيكم خاصة أخبروني أطلبوني بقتيل منكم قتلته أو مالٍ لكم استهلكته أو بقصاص من جراحة قال فأخذوا لا يكلمونه قال فنادى يا شُبث بن ربعي ويا حجار بن أبجر

ويا قيس بن الأشعث ويا يزيد بن الحارث ألم تكتبوا إليّ أن قد أينعت الثمار
واخضر الجناب وطمت الحمام وإنما تقدّم على جندك مُجَنَّد فأقبل قالوا له لم
نفعل فقال سبحانه الله بلي والله لقد فعلتم ثم قال أيها الناس إذ كرهتموني
فدعوني أنصرف عنكم إلى ما أمني من الأرض قال فقال له قيس بن الأشعث أولاً
تنزل على حكم بني عمك فإنهم لن يُروك إلا بما تحبّ ولن يصل إليك منهم
مكروه فقال له الحسين أنت أخو أخيك أتريد أن يطلبك بنو هاشم بأكثر من دم
مسلم بن عقيل لا والله لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل ولا أقرّ أقرار العبيد عباد
الله إني عُذت بربي وربكم أن ترجمون أعوذ بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن
بيوم الحساب قال ثم إنه أنسخ راحلته وأمر عقبة بن سبيعان فعقلها وأقبلوا
يزحفون نحوه .

قال أبو مخنف فحدثني علي بن حنظلة بن أسعد الشامي عن رجل من
قومه شهد مقتل الحسين حين قتل يقال له كثير بن عبد الله الشعبي قال لما زحفنا
قبل الحسين خرج إلينا زهير بن القين على فرس له ذنوب شاك في السلاح فقال
يا أهل الكوفة نذار^(١) لكم من عذاب الله نذار إن حقاً على المسلم نصيحة أخيه
المسلم ونحن حتى الآن إخوة وعلى دين واحد وملة واحدة ما لم يقع بيننا وبينكم
السيف وأنتم للنصيحة منّا أهلٌ فإذا وقع السيف انقطعت العصمة وكنا أمة
وأنتم أمة إن الله قد ابتلانا وإياكم بذرية نبيه محمد ﷺ لينظر ما نحن وأنتم
عاملون إنا ندعوكم إلى نصرهم وخذلان الطاغية عبيد الله بن زياد فإنكم لا
تدركون منها إلا بسوء عُمرَ سلطانها كله ليسملان أعينكم ويقطعان أيديكم
وأرجلكم ويمثلان بكم ويرقعانكم على جذوع النخل ويقتلان أمثالكم وقراءكم
كم أمثال حجر بن عدى وأصحابه وهانيء بن عروة وأشباهه قال فسبّوه وأنثوا
على عبيد الله بن زياد ودعوا له وقالوا والله لا نبرح^(٢) حتى نقتل صاحبك ومن
معه أو نبعث به وبأصحابه إلى الأمير عبيد الله سلماً فقال لهم عباد الله إن وُلد
فاطمة رضوان الله عليها أحق بالود والنصر من ابن سُميّة فإن لم تنصروهم

(١) نذار لكم : إسم فعل بمعنى أنذرکم مثل حذار .

(٢) لا نبرح : لا نزال معك .

فأعيزكم بالله أن تقتلوهم فخلوا بين هذا الرجل وبين ابن عمه يزيد بن معاوية فلمعري ان يزيد ليرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين قال فرماه شمر بن ذي الجوشن بسهم وقال اسكتْ اسكتْ الله نأمتك أبرمتنا بكثرة كلامك فقال له زهير يا ابن البوال على عَقْبِيه ما إياك أخاطب إنما أنت بهيمة والله ما أظنك تحكم من كتاب الله آيتين فأبشر بالخزى يوم القيامة والعذاب الأليم فقال له شمر إن الله قاتلك وصاحبك عن ساعة قال أقبالوت تخوفني فوالله للموت معه أحب إليَّ من الخلد معكم قال ثم أقبل على الناس رافعاً صوته فقال عبادة الله لا يغرنكم من دينكم هذا الجلف (١) الخافي وأشباهه فوالله لا تنال شفاعة محمد ﷺ قوماً (٣) أهرقوا دماء ذُرِّيته وأهل بيته وقتلوا مَنْ نصرهم وذَبَّ عن (٣) حريمهم قال فناده برجل فقال له إن أبا عبد الله يقول لك أقبل فلمعري لئن كان مؤمناً آل فرعون نصح لقومه وأبلغ في الدعاء لقد نصحت لهؤلاء وأبلغت لو نفع النصح والإبلاغ .

قال أبو مخنف عن أبي جناب الكلبي عن عدى بن حرملة قال ثم إن الحر بن يزيد لما زحف عمر بن سعد قال له أصلحك الله مقاتل أنت هذا الرجل قال إي والله قتالا أيسره أن تسقط الرؤوس وتطيح الأيدي قال أفعالكم في واحدة من الخصال التي عرض عليكم رضي قال عمر بن سعد أما والله لو كان الأمر إلي لفعلت ولكن أميرك قد أبى ذلك فأقبل حتى وقف من الناس موقفاً ومعه رجل من قومه يقال له قره بن قيس فقال يا قره هل سقيت فرسك اليوم قال لا قال إنما تريد أن تسقيه قال فظننت والله أنه يريد أن يتنحى فلا يشهد القتال وكره أن أراه حين يصنع ذلك فيخاف أن أرفعه عليه فقلت له لم أسقه وأنا منطلق فساقه قال فاعتزلت ذلك المكان الذي كان فيه قال فوالله لو أنه أطلعني على الذي يريد لخرجت معه إلى الحسين قال فأخذ يدنو من حسين قليلاً قليلاً فقال له رجل من قومه يقال له المهاجر بن أوس ما تريد يا ابن يزيد أتريد أن

(١) الجلف : الجاني الخشن الأخلاق .

(٢) هراقوا : سفكوا ويفال هريق دمه وأهرق دمه .

(٣) ذَبَّ عن حريمهم : دافع ونافع عنهم .

تحمل فسكت وأخذه مثل العرواء فقال له يا ابن يزيد والله إن أمرك لمريب والله ما رأيت منك في موقف قط مثل شيء أراه الآن ولو قيل لي من أشجع أهل الكوفة رجلاً ما عدوتك فما هذا الذي أرى منك قال إني والله أخير نفسي بين الجنة والنار ووالله لا أختار على الجنة شيئاً ولو قُطعت وحُرقت ثم ضرب فرسه فلحق بحسين عليه السلام فقال له جعلني الله فداك يا ابن رسول الله أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع وسأيرتك في الطريق وجعجت بك في هذا المكان والله الذي لا إله إلا هو ما ظننت أن القوم يردون عليك ما عرضت عليهم أبداً ولا يبلغون منك هذه المنزلة فقلت في نفسي لا أبالي أن أضيع القوم في بعض أمرهم ولا يرون أنني خرجت من طاعتهم وأما هم فسيقبلون من حسين هذه الخصال التي يعرض عليهم ووالله لو ظننت أنهم لا يقبلونها منك ما ركبته منك وإني قد جئتك تائباً مما كان مني إلى ربي ومواسياً لك بنفسي حتى أموت بين يديك أفترى ذلك لي توبة قال نعم يتوب الله عليك ويغفر لك ما اسمك قال أنا الحرّ بن يزيد فال أنت الحر كما سمّتك أمك أنت الحرّ إن شاء الله في الدنيا والآخرة انزل قال أنا لك فارساً ساخبر مني راجلاً أقاتلهم على فرسي ساعة وإلى النزول ما يصير آخر أمرى قال الحسين فاصنع يرحمك الله ما بدالك فاستقدم أمام أصحابه ثم قال أيها القوم ألا تقبلون من حسين خصلة من هذه الخصال التي عرض عليكم فيعافىكم الله من حربه قتاله قالوا هذا الأمير عمر بن سعد فكلّمه فكلّمه بمثل ما كلّمه به قبل وبمثل ما كلّم به أصحابه قال عمر قد حرصت لو وجدت إلى ذلك سبيلاً فعلت فقال يا أهل الكوفة لأمّكم الهبل والعُبر إذ دعوتهم حتى إذا أتاكم أسلمتموه وزعمتم أنكم قاتلو أنفسكم. دونه ثم غدوتم عليه لتقتلوه أمسكتهم بنفسه وأخذتم بكظمه وأحطتم به من كل جانب فمنعتموه التوجه في بلاد الله العريضة حتى يأمن ويأمن أهل بيته وأصبح في أيديكم كالأسير لا يملك لنفسه نفعاً ولا يدفع ضرراً وخلأتموه ونساءه وصبيته وأصحابه عن ماء الفرات الجاري الذي يشربه اليهودي والمجوسي والنصراني وتمرغ فيه خنازير السواد وكلابه وها هم قد صرعهم العطش بشما خلفتم محمداً في ذريته لا أسقاكم يوم الظما ان لم تتوبوا وتزعوا عما أنتم عليه من يومكم

هذا في ساعتكم هذه فحملت عليه رجّاله لهم ترميه بالنبل فأقبل حتى وقف أمام الحسين .

قال أبو مخنف عن الصقعب بن زهير وسليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم قال وزحف عمر بن سعد نحوهم ثم نادى يا زويد أدنِ رايتك قال فأدناها ثم وضع سهمه في كبَد قوسه ثم رمى فقال اشهدوا أني أول من رمى .

قال أبو مخنف حدّثني أبو جناب قال كان منا رجل يدعى عبد الله بن عُمر من بني عُليم كان قد نزل الكوفة واتخذ عند بئر الجُعْد من همدان داراً وكانت معه امرأة له من النمر بن قاسط يقال لها أم وهب بنت عبد فرأى القوم بالنخيلة يُعرضون لِيُسرّحوا إلى الحسين قال فسأل عنهم فقليل له يسرحون إلى حسين بن فاطمة بنت رسول الله ﷺ فقال والله لو قد كنتُ على جهاد أهل الشرك حريصاً وإنّي لأرجو ألا يكون جهاد هؤلاء الذين يغزون ابن بنت نبيهم أيسر ثواباً عند الله من ثوابه إِيّاي في جهاد المشركين فدخل إلى امرأته فأخبرها بما سمع وأعلمها بما يريد فقالت أصبت أصاب الله بك أرشد أمورك افعل واخرجني معك قال فخرج بها ليلاً حتى أتى حسينا فأقام معه فلما دنا منه عمر بن سعد ورمي بسهم ارتقى الناس فلما ارتقوا أخرج يسار مولى زياد بن أبي سفيان وسالم مولى عبيد الله بن زياد فقالا من يبارز ليخرج الينا بعضكم قال فوثب حبيب بن مُظاهر وُبريرُ بن حُضير فقال لهما حسين اجلسا فقام عبد الله بن عمير الكلبي فقال أبا عبد الله رحمك الله أئذن لي فلا أخرج اليهما فرأى حسين رجلاً آدم طويلاً شديداً الساعدين بعيد ما بين المنكبين فقال حسين إني لأحسبه للأقران قتالا اخرج إن شئت قال فخرج اليها فقالا له من أنت فانتسب لهما فقالا لا نعرفك ليخرج الينا زهير بن القين أو حبيب بن مُظاهر أو برير بن خضير ويسار مستتلاً أمام سالم فقال له الكلبي يا ابن الزانية وبك رغبة عن مبارزة أحد من الناس ويخرج اليك أحد من الناس إلا وهو خير منك ثم شدَّ عليه فضربه بسيفه حتى برد فإنه لمشتغل به يضربه بسيفه إذ شد عليه سالم فصاح به قد رهقك العبد قال فلم يأبه له حتى غشيه فبدره الضربة فاتقاه الكلبي بيده اليسرى فأطار أصابع كفه

اليسرى ثم مال عليه الكلبي فضربه حتى قتله وأقبل الكلبي مرتجراً وهو يقول
وقد قتلها جميعاً .

إِنْ تَنْكُرُونِي فَأَنَا ابْنُ كَلْبٍ حَسْبِي بَيْنِي فِي عَلِيمٍ حَسْبِي
إِنِّي أَمْرٌ ذُو مِرَّةٍ وَعَصَبٍ وَلَسْتُ بِالْخَوَّارِ^(١) عِنْدَ النَّكْبِ
إِنِّي زَعِيمٌ لَكَ أُمٌّ وَهَبٍ بِالطَّعْنِ فِيهِمْ مُقَدِّمًا وَالضَّرْبِ
ضَرْبِ غُلَامٍ مُؤْمِنٍ بِالرَّبِّ

فأخذت أم وهب امرأته عموداً ثم أقبلت نحو زوجها تقول له فداك أبي
وأمي قاتل دون الطيبين ذرية محمد فأقبل اليها يردها نحو النساء فأخذت تجاذب
ثوبه ثم قالت إني لن أدعك دون أن أموت معك فناداها حسين فقال جُزيتُم من
أهل بيت خيراً أرجعي رحمك الله إلى النساء فاجلسي معهن فإنه ليس على
النساء قتال فانصرفت اليهن قال وحمل عمرو بن الحجاج وهو على ميمنة الناس
في الميمنة فلما أن دنا من حسين جثوا له على الركب وأشرعوا الرماح نحوهم فلم
تقدم خيلهم على الرماح فذهبت الخيل لترجع فرشقوهم بالنبل فصرعوا منهم
رجالا وجرحوا منهم آخرين .

قال أبو مخنف فحدثني حسين أبو جعفر قال ثم إن رجلاً من بني تميم يقال
له عبد الله بن حوزة جاء حتى وقف أمام الحسين فقال يا حسين يا حسين فقال
حسين ما تشاء؟ قال أبشر بالبار قال كلا إني أقدم على رب رحيم وشفيع مطاع من
هذا؟ قال له أصحابه هذا ابن حوزة قال رب نحزه إلى النار قال فاضطرب به
فرسه في جدول فوقه فيه وتعلقت رجله بالركاب ووقع رأسه في الأرض ونفر
الفرس فأخذه يمر به فيضرب برأسه كل حجر وكل شجرة حتى مات .

قال أبو مخنف وأما سويد بن حية فزعم لي أن عبد الله بن حوزة حين وقع
فرسه بقيت رجله اليسرى في الركاب وارتفعت اليمنى فطارت وعدا به^(٢) ففرسه
يضرب رأسه كل حجر وأصل شجرة حتى مات .

(١) الخوَّار : الكثير الضعف والوهن .

(٢) عدا به ففرسه : جرى به مسرعا .

قال أبو مخنف عن عطاء بن السائب عن عبد الجبار بن وائل الحضرمي عن أخيه مسروق بن وائل قال كنت في أوائل الخيل بمن سار إلى الحسين فقلت أكون في أوائلها لعلي أصيب رأس الحسين فأصيب به منزلة عند عبيد الله بن زياد قال فلما انتهينا إلى حسين تقدم رجل من القوم يقال له ابن حوزة فقال أفيكم حسين قال فسكت حسين فقالها ثانية فأسكت حتى إذا كانت الثالثة قال قولوا له نعم هذا حسين فما حاجتك .

قال يا حسين أبشر بالنار قال كذبت بل أقدم على رب غفور وشفيح مطاع فمن أنت؟ قال ابن حوزة قال فرفع الحسين يديه حتى رأينا بياض إبطيه من فوق الثياب ثم قال اللهم حُزه إلى النار قال فغضب ابن حوزة فذهب ليُقيم إليه الفرس وبينه وبينه نهر قال فعلقت قدمه بالركاب وجالت به الفرس فسقط عنها قال فانقطعت قدمه وساقه وفخذه وبقي جانبه الآخر متعلقاً بالركاب قال فرجع مسروق وترك الخيل من ورائه قال فسألته فقال لقد رأيت من أهل هذا البيت شيئاً لا أقاتلهم أبداً قال ونشب القتال .

قال أبو مخنف وحدثني يوسف بن يزيد عن عفيف بن زهير بن أبي الأحنس وكان قد شهد مقتل الحسين قال وخرج يزيد بن معقل من بني عميرة بن ربيعة وهو حليف لبني سليمة من عبد القيس فقال يا برير بن حضير كيف ترى الله صنع بك قال صنع الله والله بي خيراً وصنع الله بك شراً قال كذبت وقبل اليوم ما كنت كذاباً هل تذكر وأنا أماشيكت في بني لوزان وأنت تقول ان عثمان بن عفان كان على نفسه مسرفاً وان معاوية بن أبي سفيان ضال مضل وان امام الهدى والحق علي بن أبي طالب فقال له برير اشهد أن هذا رأيي وقولي فقال له يزيد بن معقل فاني أشهد أنك من الضالين فقال له برير بن حضير هل لك فلا بأهلك ولندع الله أن يلعن الكاذب وأن يقتل المبطل ثم اخرج فلا بارزك قال فخرجنا فرفعا أيديهما إلى الله يدعوانه أن يلعن الكاذب وأن يقتل المحق المبطل ثم برز كل واحد منهما لصاحبه فاختلفا ضربتين فضرب يزيد بن معقل برير بن حضير ضربة خفيفة لم تضربه شيئاً وضربه برير بن حضير ضربة قدت المغفر

وبلغت الدماغَ فخر^(١) كأعما هوى من حائق وإن سيف ابن حضير لثابت في رأسه فكأنني أنظر اليه ينضنضه من رأسه وحمل عليه رضي بن مُنقذ العبدي فاعتنق بريراً فاعتركا ساعة ثم ان بريراً قعد على صدره فقال رضي أين أهل المصاع والدفاع قال فذهب كعب بن جابر بن عمرو الأزدي ليحمل عليه فقلت إن هذا برير بن حضير القاريء الذي كان يقرئنا القرآن في المسجد فحمل عليه^(٢) بالرمح حتى وضعه في ظهره فلما وجد مسَّ الرمح برك عليه فعصَّ بوجهه وقطع طرف أنفه فطعنه كعب بن جابر حتى ألقاه عنه وقد غيَّب السنَّان في ظهره ثم أقبل عليه يضربه بسيفه حتى قتله قال عفيف كأي أنظر إلى العبدي الصريع قام ينفض التراب عن قبائه ويقول أنعمت عليَّ يا أخا الأزدي نعمة لن أنساها أبداً قال فقلت أنت رأيت هذا؟ قال نعم رأي عيني وسمع أذني فلما رجع كعب بن جابر قالت له امرأته أو أخته النوار بنت جابر أعنت على ابن فاطمة وقتلت سيِّد القراء لقد أتيت عظيماً من الأمر والله لا أكلمك من رأسي كلمة أبداً .

وقال كعب بن جابر :

سَلِي تُخْبِرِي عَنِّي وَأَنْتِ ذَمِيمَةٌ غَدَاةُ حُسَيْنٍ وَالرَّمَا حُ شَوَارِعِ
أَلَمْ آتِ أَقْصَى مَا كَرِهْتَ وَلَمْ يُخْلُ عَلَيَّ غَدَاةُ الرُّوعِ مَا أَنَا صَانِعُ
مَعِي يَزْنِي لَمْ تُخْنِهِ كَعُوبُهُ وَأَبْيَضُ نَخْشُوبُ الْغُرَارَيْنِ^(٣) قَاطِعِ
فَجَرَّدَتْهُ فِي عَصْبَةٍ لَيْسَ دِينُهُمْ بَدِينِي وَإِنِّي بَابِنِ حَرْبٍ^(٤) لِقَانِعِ
وَلَمْ تَرَعِيْنِي مِثْلَهُمْ فِي زَمَانِهِمْ وَلَا قَبْلَهُمْ فِي النَّاسِ إِذْ أَنَا^(٥) يَافِعُ
أَشَدُّ قِرَاعاً بِالسَّيْفِ لَدَى الْوَغَا^(٦) أَلَا كُلُّ مَنْ يَحْمِي الذَّمَارَ^(٧) مُقَارِعُ

(١) خر : سقط .

(٢) حمل عليه بالرمح : شرد عليه ليقتله .

(٣) يقصد به السيف .

(٤) يقصد بابن حرب : يزيد بن معاوية .

(٥) يافع : كبير .

(٦) الوغى : وهن الحرب . (الوغا) كذا وردت بالأصل والأصح بالياء .

(٧) الذمار : الحمى .

وقد صبروا للطعن والضرب حُسرًا^(١) وقد نازلوا^(٢) لو أن ذلك نافع
فأبلغ عبيد الله إمالقيته بأي مطيع للخليفة سامع
قتلتُ بريراً ثم حملتُ نعمة أبا منقذ لما دعا من مُصاع^(٣)
قال أبو مخنف حدثني عبد الرحمن بن جندب قال سمعته في إمارة مُصعب
ابن الزبير وهو يقول :

يا رب إنا قد وفينا فلا تجعلنا يا رب كمن قد غدر فقال له أبي صدق ولقد
وفي وكرم وكسبت لنفسك سوءاً قال كلا إني لم أكسب لنفسي شراً ولكني كسبت
لها خيراً قال وزعموا أن رضي بن منقذ العبدى ردّ بعد على كعب بن جابر
جواب قوله فقال :

لو^(٤) شاء ربي ما شهدتُ قتالهم ولا جعلتُ النعماء عندي ابن جابر
لقد كان ذاك اليوم عاراً وسبةً^(٥) يُعيرُهُ الأبناء بعد المعاشر
فياليتُ أني كنتُ من قبل قتله ويوم حسين كنتُ في رمس^(٦) قابر
قال وخرج عمرو بن فرطّة الأنصاري يقاتل دون حسين وهو يقول :

قد علّمتُ كتيبةَ الأنصارِ أني سألحي حوزةَ الذمارِ
ضربَ غلامٍ غيرِ نكسٍ شاري دون حسين مُهجتي وداري
قال أبو مخنف عن ثابت بن هبيرة فقتل عمرو بن قرطبة بن كعب وكان مع
الحسين وكان عليّ أخوه مع عمر بن سعد فنادى عليّ بن قريظة يا حسين يا
كذاب ابن الكذاب أضللتُ أخي وغرّرتُه حتى قتلته قال إن الله لم يضل أخاك

(١) حُسرًا : مكشوفين .

(٢) نازلوا : قاتلوا من النزال وهو القتال .

(٣) يمّاصع : يقاتل بعنف ورجل مصع شديد .

(٤) الأبيات من بحر الطويل وتفعيلاته كالأتي :

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

وهذا يقتضي أن تزيد الواو في أول بيت فتصبح :

ولو شاء ربي ما شهدت قتالهم

(٥) سبة : عار .

(٦) الرمس : القبر .

ولكنه هدى أخاك وأضلك قال قتلي الله إن لم أقتلك أو أموت دونك فحمل عليه فاعترضه نافع بن هلال المرادي فطعنه فصرعه فحمله أصحابه فاستنقذوه فدُوي (١) بعد فبراً .

قال أبو مخنف حدثني النضر بن صالح أبو زهير العبسي أن الحر بن يزيد لما لحق بحسين قال رجل من بني تميم من بني شقرة وهم بنو الحارث بن تميم يقال له يزيد بن سفيان أما والله لو أني رأيت الحر بن يزيد حين خرج لأتبعته السنان قال فبينما الناس يتجاولون ويقتلون والحر بن يزيد يحمل على القوم مقدماً ويتمثل قول عنترة :

ما زلت أرميهم بثغره ولبانه (٢) حتى تسربل (٣) بالدم قال وإن فرسه لمضروب على أذنيه وحاجبه وإن دماءه لتسيل فقال الحصين بن تميم وكان على شرطة عبيد الله فبعثه إلى الحسين وكان مع عمر بن سعد فولاه عمر مع الشرطة المجففة ليزيد بن سفيان هذا الحر بن يزيد الذي كنت تتمنى قال نعم فخرج إليه فقال له هل لك يا حر بن يزيد في المبارزة قال نعم قد شئت فبرز له قال فأنا سمعت الحصين بن تميم يقول والله لبرز له فكأنما كانت نفسه في يده فما لبثه الحر حين خرج إليه أن قتله .

قال هشام بن محمد عن أبي مخنف قال حدثني يحيى بن هانيء بن عروة أن نافع بن هلال كان يقاتل يومئذ وهو يقول :

أنا الجملي (٤) أنا على دين علي . قال فخرج إليه رجل يقال له مزاحم بن حريث فقال أنا على دين عثمان فقال له أنت على دين شيطان ثم حمل عليه فقتله فصاح عمرو بن الحجاج بالناس يا حمقى أتدرون من تقاتلون فرسان المصر قوماً مستميتين لا يبرزن لهم منكم أحد فإنهم قليل وقل ما يبقون والله لو لم ترموهم

(١) دوى : أي عولج .

(٢) لبانه : صدره .

(٣) تسربل بالدم : تلطخ به . والبيت غير مستقيم الوزن وهو في الأصل :

« ما زلت أرميهم بثغرة نحره ولبانه حتى تسربل بالدم »

(٤) نسبة إلى موقعة الجمل بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان .

إلا بالحجارة لقتلتموهم فقال عمر بن سعد صدقت الرأي ما رأيت وأرسل إلى الناس يعزم عليهم ألا يبارز رجل منكم رجلاً منهم .

قال أبو مخنف حدثني الحسين بن عقبة المرادي قال الزبيدي إنه سمع عمرو بن الحجاج حين دنا من أصحاب الحسين يقول يا أهل الكوفة الزموا طاعتكم وجماعتكم ولا ترتابوا في قتل من مرقاً^(١) من الدين وخالف الإمام فقال له الحسين يا عمرو بن الحجاج أعلّٰ تحرض الناس أنحن مرقنا وأنتم ثبتم عليه أما والله لتعلمن لو قد قبضت أرواحكم ومتم على أعمالكم أينما مرق من الدين ومن هو أولى بصلّى النار قال ثم إن عمرو بن الحجاج حمل على الحسين في ميمنة عمر بن سعد من نحو الفرات فاضربوا ساعة فصرع مسلم بن عوسجة الأسدي أول أصحاب الحسين ثم انصرف عمرو بن الحجاج وأصحابه وارتفعت الغبرة^(٢) فإذا هم به صريع فمشى إليه الحسين فإذا به رمقاً^(٣) فقال رحمك ربك يا مسلم بن عوسجة منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً .

ودنا منه حبيب ابن مظاهر فقال عزّ على مصرعك يا مسلم أبشر بالجنة فقال له مسلم قولاً ضعيفاً بشّرك الله بخير فقال له حبيب لولا أني أعلم أني في أثرك لاحق بك من ساعتي هذه لأحببت أن توصيني بكل ما أمهك حتى أحفظك في كل ذلك بما أنت أهل له في القرابة والدين .

قال بل أنا أوصيك بهذا رحمك الله - وأهوى بيده إلى الحسين - أن تموت دونه قال أفعل وربّ الكعبة قال فما كان بأسرع من أن مات في أيديهم وصاحت جارية له فقالت يا ابن عوسجته يا سيداه فتنادى أصحاب عمرو بن الحجاج قتلنا مسلم بن عوسجة الأسدي فقال شَبَّتَ لبعض من حوله من أصحابه ثكلتكم أمهاتكم إنما تقتلون أنفسكم بأيديكم وتذللون أنفسكم لغيركم تفرحون

(١) مرق من الدين : خرج منه .

(٢) الغبرة : ريج الحرب .

(٣) رمق : بقية .

أن يقتل مثل مسلم بن عوسجة أما والذي أسلمت له لرُبَّ موقف له قد رأيته في المسلمين كريم لقد رأيته يوم سَلَّى آذريجان قتل ستة من المشركين قبل تمام خيول المسلمين أفيقتل منكم مثله وتفرحون قال وكان الذي قتل مسلم بن عوسجة مسلم بن عبد الله الضَّبَّاي وعبد الرحمن ابن أبي خُشْكارة البجلي قال وحمل شَير بن ذي الجوشن في الميسرة على أهل الميسرة فثبتوا له فطاعنوه وأصحابه وحمل على حسين وأصحابه من كل جانب فقتل الكلبي وقد قتل رجلين بعد الرجلين الأولين وقاتل قتالا شديداً فحمل عليه هانيء بن بُيُت الحضرمي وبُكير بن حَيّ التيمي من تيم الله بن ثعلبة فقتلاه وكان القاتل الثاني من أصحاب الحسين وقاتلهم أصحاب الحسين قتالا شديداً وأخذت خيلهم تحمل وإنما هم اثنان وثلاثون فارساً وأخذت لا تحمل على جانب من خيل أهل الكوفة إلا كشفتها فلما رأى ذلك عَزْرَة بن قيس وهو على خيل أهل الكوفة أن خيله تنكشف من كل جانب بعث إلى عمر بن سعد عبد الرحمن بن حصن فقال أما ترى ما تلقى خيلي مذ اليوم ^(١) من هذه العدة اليسيرة ابعث إليهم الرجال والرماة فقال لشَبَّث بن ربعي ألا تقدم إليهم فقال سبحان الله أنعمد إلى شيخ مصر وأهل مصر عامة تبعته في الرماة لم تجد من تندب لهذا ويجزي عنك غيري قال وما زالوا يرون من شَبَّث الكراهة لقتاله قال وقال أبو زهير العبسي فأنا سمعته في إمارة مصعب يقول لا يعطي الله أهل هذا المصر خيراً أبداً ولا يسددهم لرشد ألا تعجبون أنا قاتلنا مع علي بن أبي طالب ومع ابنه من بعده آل أبي سفيان خمس سنين ثم عدّوا على ابنه وهو خير أهل الأرض نقاتله مع آل معاوية وابن سمية الزانية ضلال يا لك من ضلال قال ودعا عمر بن الحصين بن تميم فبعث معه المجففة وخمسائة من المرامية فأقبلوا حتى إذا دنوا من الحسين وأصحابه رشقوهم بالنبل فلم يلبثوا أن عقروا خيولهم وصاروا رجالة كلهم .

قال أبو مخنف حدثني غمير بن وُعلة أن أيوب بن مِشْرَح الحِمْيَاني كان يقول أنا والله عقرت بالحرّ بن يزيد فرسه حشأته ^(٢) سهماً فما لبث أن أرعد الفرس

(١) مذ اليوم : منذ اليوم .

(٢) حشأه سهماً : رشقه به .

واضطرب وكبا^(١) فَوَثَبَ عَنْهُ الْحَرَّ كَأَنَّهُ لَيْثٌ وَالسَّيْفُ فِي يَدِهِ وَهُوَ يَقُولُ :
 إِنْ تَعَقَّرُوا بِي فَأَنَا ابْنُ الْحُرِّ أَشْجَعُ مِنْ ذِي لِبَدٍ^(٢) هَزَبِرٍ
 قَالَ فَمَا رَأَيْتَ أَحَدًا قَطُّ يَفْرِي^(٣) فَرِيَهُ قَالَ فَقَالَ لَهُ أَشْيَاخٌ مِنَ الْحَيِّ أَنْتَ
 قَتَلْتَهُ قَالَ لَا وَاللَّهِ مَا أَنَا قَتَلْتُهُ وَلَكِنْ قَتَلْتُهُ غَيْرِي وَمَا أَحَبُّ إِلَيَّ قَتَلْتُهُ فَقَالَ لَهُ أَبُو
 الْوَدَّاءِ وَلَمْ يَقَالَ أَنَّهُ كَانَ زَعَمُوا مِنَ الصَّالِحِينَ فَوَاللَّهِ لَوْ كَانَ ذَلِكَ إِثْمًا لَأَنَّ الْقِيَامَةَ
 اللَّهُ بِإِثْمِ الْجَرَاحَةِ وَالْمَوْقِفِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَاهُ بِإِثْمِ قَتْلِ أَحَدٍ مِنْهُمْ .

فَقَالَ لَهُ أَبُو الْوَدَّاءِ مَا أَرَاكَ إِلَّا سَتَلْقَى اللَّهَ بِإِثْمِ قَتْلِهِمْ أَجْمَعِينَ أَرَأَيْتَ لَوْ
 أَنْكَ رَمَيْتَ ذَا فَعَقَرْتَ ذَا وَرَمَيْتَ آسَرَ وَوَقَفْتَ مَوْقِفًا وَكَرَرْتَ عَلَيْهِمْ وَحَرَضْتَ
 أَصْحَابَكَ وَكَثَرْتَ أَصْحَابَكَ وَحَمَلْتَ عَلَيْكَ فَكَرِهْتَ أَنْ تَفْرَ وَفَعَلَ آخَرُ مِنْ
 أَصْحَابِكَ كَفَعْلِكَ وَآخَرُ وَآخَرُ كَانَ هَذَا وَأَصْحَابُهُ يَقْتُلُونَ أَنْتُمْ شُرَكَاءُ كُلِّكُمْ فِي
 دِمَائِهِمْ فَقَالَ لَهُ يَا أَبَا الْوَدَّاءِ إِنَّكَ لَتُفَنِّطُنَا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ وَلِيَّ حَسَابِنَا يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ فَلَا غُفْرَانَ لِلَّهِ لَكَ إِنْ غُفِرْتَ لَنَا قَالَ هُوَ مَا أَقُولُ لَكَ قَالَ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى
 انْتَصِفَ النَّهَارُ أَشَدَّ قِتَالِ خَلْقِهِ اللَّهَ وَأَخْذُوا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يَأْتَوْهُمْ إِلَّا مِنْ وَجْهِ
 وَاحِدٍ لَا جَمْعَ أَبْنِيَّتِهِمْ وَتَقَارِبَ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ قَالَ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ عُمَرُ بْنُ
 سَعْدٍ أَرْسَلَ رَجُلًا يَقْوُضُونَهَا^(٤) عَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شِمَائِلِهِمْ لِيَحِيطُوا بِهِمْ قَالَ فَأَخَذَ
 الثَّلَاثَةَ وَالْأَرْبَعَةَ مِنْ أَصْحَابِ الْحُسَيْنِ يَتَخَلَّلُونَ الْبُيُوتَ فَيَشْدُونَ عَلَى الرَّجُلِ وَهُوَ
 يَقْوُضُ وَيَنْتَهَبُ فَيَقْتُلُونَهُ وَيَرْمُونَهُ مِنْ قَرِيبٍ وَيَعْقِرُونَهُ فَأَمَرَ بِهَا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ عِنْدَ
 ذَلِكَ فَقَالَ احْرِقُوهَا بِالنَّارِ وَلَا تَدْخُلُوا بَيْتًا وَلَا تَقْوُضُوهُ فَجَاءُوا بِالنَّارِ فَأَخْذُوا
 يَحْرِقُونَ فَقَالَ حُسَيْنٌ دَعَوْهُمْ فَلِيَحْرِقُوا فَيَنْهَمُ لَوْ قَدْ حَرَّقُوهَا لَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ
 يَجُوزُوا إِلَيْكُمْ مِنْهَا وَكَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ وَأَخْذُوا لَا يَقَاتِلُونَهُمْ إِلَّا مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ قَالَ
 وَخَرَجَتْ امْرَأَةُ الْكَلْبِيِّ تَمْشِي إِلَى زَوْجِهَا حَتَّى جَلَسَتْ عِنْدَ رَأْسِهِ تَمْسَحُ عَنْهُ

(١) كبا : تعثر وانكفا على وجهه .

(٢) ذوليد هزير : الأسد .

(٣) يفري الجلد : يقطعه ، ويفري فريه يختلق ويستحدث أكذوبة وأحدثة مفتراة :

(٤) يقوضونها . يهملونها .

التراب وتقول هنيئاً لك الجنة فقال شمر بن ذي الجوشن لغلام يسمى رستم اضرب رأسها بالعمود فضرب رأسها فشدخه فماتت مكانها قال وحمل شمر بن ذي الجوشن حتى طعن فسطاط الحسين برمح ونادى علياً بالنار حتى أحرق هذا البيت على أهله قال فصاح النساء وخرجن من الفسطاط قال وصاح به الحسين يا ابن ذي الجوشن أنت تدعون النار لتحرق بيتي على أهلي حرّك الله بالنار .

(قال أبو مخنف) حدثني سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم قال قلت لشمر بن ذي الجوشن سبحان الله إن هذا لا يصلح لك أتريد أن تجمع على نفسك خصلتين تعذب بعذاب الله وتقتل الولدان والنساء والله إن قتلك الرجال لما ترضى به أميرك قال فقال من أنت قال قلت لا أخبرك من أنا قال وخشيتُ والله أن لو عرفني أن يضربني عند السلطان قال فجاءه رجل كان أطوع له مني شَبَّ بن ربي فقال ما رأيتُ مقالا أسوأ من قولك ولا موقفاً أقيح من موقفك أمرعياً للنساء صرت قال فأشهد أنه استحيا فذهب لينصرف وحمل عليه زهير بن القين في رجال من أصحابه عشرة فشدَّ على شمر بن ذي الجوشن وأصحابه فكشفهم عن البيوت حتى ارتفعوا عنها فصرعوا أبا عزة الضَّبَّاي فقتلوه فكان من أصحاب شمر وتعطف الناس عليهم فكثروهم فلا يزال الرجل من أصحاب الحسين قد قتل فاذا قتل منهم الرجل والرجلان تبيّن فيهم وأولئك كثير لا يتبين فيهم ما يقتل منهم .

قال فلما رأى ذلك أبو ثمامة عمرو بن عبد الله الصائديّ قال للحسين يا أبا عبد الله نفسي لك الفداء إني أرى هؤلاء قد اقتربوا منك ولا والله لا تُقتل حتى أقتل دونك إن شاء الله وأحبُّ أن ألقى ربي وقد صليت هذه الصلاة التي قد دنا وقتها قال فرفع الحسين رأسه ثم قال ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلين الذاكرين نعم هذا أول وقتها ثم قال سلوهم أن يكفوا عنا حتى نصلي فقال لهم الحصين بن تميم إنها لا تقبل فقال له حبيب بن مظاهر لا تقبل زعمت الصلاة من آل رسول الله ﷺ لا تقبل وتقبل منك يا حمار قال فحمل عليهم حصين بن تميم وخرج إليه حبيب بن مظاهر فضرب وجه فرسه بالسيف فشَبَّ ووقع عنه وحمله أصحابه فاستنقذوه وأخذ حبيب يقول :

أَقْسِمُ لَوْ كُنَّا لَكُمْ أَعْدَادًا أَوْ شَطَرَكُمُ^(١) وَلَيْتُمْ أَكْتَادًا^(٢)
يَا شَرَّ قَوْمٍ حَسْبَاءَ آدَا^(٣)

قال وجعل يقول يومئذ :

أَنَا حَبِيبٌ وَأَبِي مُظَاهِرٌ فَارِسٌ هَيْجَاءٌ وَحَرْبٌ تُسْعَرُ
أَنْتُمْ أَعْدَاءُ عُدَّةٍ وَأَكْثَرُ وَنَحْنُ أَوْفَى مِنْكُمْ وَأَصْبَرُ
وَنَحْنُ أَعْلَى حُجَّةٍ وَأَظْهَرُ حَقًّا وَأَتَقَى مِنْكُمْ وَأَعْذَرُ^(٤)
وقاتل قتالا شديداً فحمل عليه رجل من بني تميم فضربه بالسيف على رأسه فقتله وكان يقال له بدیل بن صُرَيْم من بني عُقْفَان وحمل عليه آخر من بني تميم فطعنه فوق فذهب ليقوم فضربه الحسين بن تميم على رأسه بالسيف فوق ونزل اليه التميمي فاحتزَّ رأسه فقال له الحصين إني لشريكك في قتله فقال الآخر والله ما قتله غيري فقال الحصين أعطينيه اعلقه في عنق فرسي كيما يرى الناس ويعلموا أني شركت في قتله ثم خذه أنت بعد فامض به إلى عبيد الله بن زياد فلا حاجة لي فيما تعطاه على قتلك إياه قال فأبى عليه فأصلح قومه فيما بينهما على هذا فدفع اليه رأس حبيب بن مظاهر فجال به في العسكر قد علقه في عنق فرسه ثم دفعه بعد ذلك اليه فلما رجعوا إلى الكوفة أخذ الآخر رأس حبيب فعلقه في لبان فرسه^(٥) ثم أقبل به إلى ابن زياد في القصر فبصر به ابنه القاسم بن حبيب وهو يومئذ قد راهق^(٦) فأقبل مع الفارس لا يفارقه كلما دخل القصر دخل معه وإذا خرج خرج معه فارتاب به فقال مالك يا بني تتبعني قال لا شيء قال بلى يا بني أخبرني قال له ان هذا الرأس الذي معك رأس أبي أفتعطينيه حتى أدفنه قال

(١) شطرهم : نصفهم .

(٢) يقال ولوا أكتادهم وأكتافهم ، ويقال ولوا أكتادا مبالغة في توليهم الأكتاد . أي ولوا أدبارهم مسرعين .

(٣) آدا : منكرا .

(٤) أعذر : صار ذا عذر .

(٥) لبان الفرس : صدره .

(٦) راهق : بلغ سنَّ المراهقة .

با بني لا يرضى الأمير أن يُدفن وأنا أريد أن يثيبي الأمير على قتله ثوابا حسنا قال له الغلام لكن الله لا يثيبك على ذلك إلا أسوأ الثواب أما والله لقد قتلته خيرا منك وبكا فمكث الغلام حتى إذا أدرك لم يكن له همّة إلا اتباع أثر قاتل أبيه ليجد منه غرّة^(١) فيقتله بأبيه فلما كان زمان مُصعب بن الزبير وغزا مصعب بأجمير ادخل عسكر مصعب فاذا قاتل أبيه في فسطاطه فأقبل يختلف في طلبه والتماس غرته فدخل عليه وهو قاتل^(٢) نصف النهار فضربه بسيفه حتى برد .

(قال أبو مخنف) حدثني محمد بن قيس قال لما قُتل حبيب بن مظاهر هذ ذلك حسينا وقال عند ذلك أحسب نفسي وعمامة أصحابي قال فأخذ الحرير تجز ويقول :

أَلَيْتُ لَا أَقْتُلُ حَتَّى أَقْتُلَا وَلَنْ أَصَابَ الْيَوْمَ إِلَّا مُقْبِلَا
أَضْرِبُهُم بِالسَّيْفِ ضَرْبًا مُفْصِلَا لَا نَاكِلًا^(٣) عَنْهُمْ وَلَا مَهْلَلًا
وأخذ يقول أيضا :

أَضْرِبُ فِي أَعْرَاضِهِمْ^(٤) بِالسَّيْفِ عَنْ خَيْرِ مَنْ حَلَّ مِنِّي وَالْخَيْفُ

فقاتل هو وزهير بن القين قتالا شديدا فكان إذا شدد أحدهما فان استحلِم^(٥) شد الآخر حتى يخلصه ففعلا ذلك ساعة ثم إن رجالة شدت على الحر بن يزيد فقتل وقتل ابو ثمامة الصائدي ابن عم له كان عدوا له ثم صلوا الظهر صلى بهم الحسين صلاة الخوف ثم اقتتلوا بعد الظهر فاشتد قتالهم ووصل إلى الحسين فاستقدم الحنفي إمامه فاستهدف لهم يرمونه بالنبل يمينا وشمالا قائما بين يديه فما زال سُرمى حتى سقط وقاتل زهير بن القين قتالا شديدا وأخذ يقول :

(١) غرّة : غفلة .

(٢) قاتل : مستريح وقت القيلولة .

(٣) يقال نكل عند العدو : جبن .

(٤) أعراضهم : جمع مفردة عرض .

(٥) استلحم : التحم .

أنا زهير وأنا ابن القين^(١) أذودهم بالسيف عن حسين

قال وأخذ يضرب على منكب حسين ويقول :

أَقْدِمْ هُدَيْتَ هَادِيًا مَهْدِيًّا فَالْيَوْمَ تَلْقَى جَدَّكَ النَّبِيًّا
وَحَسَنًا وَالْمُرْتَضَى عَلِيًّا وَذَا الْجَنَاحَيْنِ الْفَتَى الْكَمِيًّا
وَأَسَدَ اللَّهِ الشَّهِيدَ الْحَيًّا

قال فشذ عليه كثير بن عبد الله الشعبي ومهاجر بن أوس فقتلاه قال وكان
نافع بن هلال الجملي قد كتب اسمه على أفواق نبلة فجعل يرمى بها مسمومة
وهو يقول :

أَنَا الْجَمْلِي أَنَا عَلَى دِينِ عَلِيٍّ

فقتل اثني عشر من أصحاب عمر بن سعد سوى من جرح قال فضرب
حتى كسرت عضداه وأخذ أسراً .

قال فأخذه شمر بن ذي الجوشن ومعه أصحاب له يسوقون نافعاً حتى أتى
به عمر بن سعد فقال له عمر بن سعد ويحك يا نافع ما حملك على ما صنعت^(٢)
بنفسك قال إن ربي يعلم ما أردت قال والدِّماء تسيل على لحيتك وهو يقول والله
لقد قتلت منكم اثني عشر سوى من جرح وما ألوم نفسي على الجهد ولو
بقيت لي عضد وساعد ما أسرتموني فقال له شمر اقتله أصلحك الله قال أنت
جئت به فإن شئت فاقتله قال فانتضى^(٣) شمر سيفه فقال له نافع أما والله إن لو
كنت من المسلمين لعظم عليك أن تلقى الله بدمائنا فالحمد لله الذي جعل
منايانا على يدي شرار خلقه فقتله قال ثم أقبل شمر يحمل عليهم وهو يقول :

خَلَوْا عُدَاةَ اللَّهِ خَلَوْا عَنْ شِمْرِ يَضْرِبُهُمْ بِسَيْفِهِ وَلَا يَفِرُّ
وهو لكم صابٌ وسمٌ ومقرٌ

(١) يزود : يطرد ويدفع .

(٢) ما حملك على ما صنعت : ما دفعك إليه ؟

(٣) انتضى سيفه : استله .

قال فلما رأى أصحاب الحسين أنهم قد كُثِّروا وأنهم لا يقدرُونَ على أن يمنعوا حسيناً ولا أنفسهم تنافسوا في أن يُقْتَلوا بين يديه فجاءه عبد الله وعبد الرحمن ابنا عَزْرة الغفاريان فقالا يا أبا عبد الله عليك السلام حازنا العدو إليك فأحببنا أن نقتل بين يديك نمنعك ونُدفع عنك قال مرحباً بكما ادنوا مني فدنوا منه فجعلوا يقاتلان قريباً منه وأحدهما يقول :

قد علمت حقاً بنو غفَّارٍ وَخِنْذِقُ بعد بني نزار
لَنَضْرِبَنَّ مَعْشَرَ الفجارِ بكلِّ عَضْبٍ^(١) صارمٍ بَتَّارٍ^(٢)
يا قومِ ذُودُوا عن بني الأحرارِ بالشَّرِيفِ وَالْقَنَا الخَطَّارِ
قال وجاء الفتيان الجابريان سيف بن الحارث بن سُرَّيع وهما ابنا عمٍّ وأخوان لأم فأتيا حسيناً فدنوا منه وهما يبيكان فقال أي ابني أخي ما يبكيكما فوالله إني لأرجو أن تكونا عن ساعة قريري عَيْنٍ قالاً جعلنا الله فداك لا والله ما على أنفسنا نبكي ولكننا نبكي عليك نراك قد أحيط^(٣) بك ولا نقدر على أن نمنعك .

فقال جزاكم الله يا ابني أخي بوجدكما من ذلك ومواساتكما إياي بأنفسكما أحسن جزاء المتقين قال وجاء حنظلة بن أسعد الشباميّ فقام بين يدي حسين فأخذ ينادي يا قومِ إني أخافُ عليكم مثلَ يومِ الأحزابِ مثلَ دأبِ قومِ نوح وعاد وثمودَ . والذين من بعدهم وما الله يريد ظلاماً للعبادِ ويا قومِ إني أخافُ عليكم يومَ التناد^(٥) . يومَ تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد ، يا قوم لا تقتلوا حسيناً فَيَسْجَتُكُمْ اللهُ بعذابٍ وقد خابَ من افترى فقال له حسين يا ابن أسعد رحمك الله إنهم قد استوجبوا العذاب حين ردّوا عليك ما دعوتهم إليه من الحق ونهضوا اليك ليستبيحوك وأصحابك فكيف الآن وقد قتلوا إخوانك الصالحين .

(١) غضب : يقال ناقة غضباء أي مشقوقة الأذن ، وكانت ناقة رسول الله ﷺ اسمها الغضباء ولم تكن مشقوقة الأذن . والصارم البتار القاطع وهو السيف .

(٢) أحيط به : أحصر وحصر ويقال أحصروه . وحصروه وأحصروا به ، واحتوشوه .

(٣) يوم التناد : يوم القيامة .

قال صدقت جعلت فداك أنت أفقه مني وأحق بذلك أفلا نروح الى الآخرة ونلحق بإخواننا فقال رُحْ الى خيرٍ من الدنيا وما فيها وإلى مُلك لا يَبلى .

فقال السلام عليك أبا عبد الله صلى الله عليك وعلى أهل بيتك وعرفَ بيننا وبينك في جنته فقال آمين آمين فاستقدم فقاتل حتى قُتل قال ثم استقدم الفتيان الجابريان يلتفتان إلى حسين ويقولان عليك يا ابن رسول الله فقال وعليكما السلام ورحمة الله فقاتلا حتى قُتلا قال وجاء عابس بن أبي شبيب الشاكريّ ومعه شوذّب مولى شاكِر فقال يا شوذّب ما في نفسك أن تصنع قال ما أصنع أقاتل معك دون ابن بنت رسول الله ﷺ حتى أُقتل قال ذلك الظن بك إِمَالاً فتقدم بين يدي أبي عبد الله حتى يحتسب كما احتسب غيرك من اصحابه وحتى احتسبك أنا فإنه لو كان معي الساعة أحد أنا أولى به مني بك لسرّني أن يتقدّم بين يديّ حتى احتسبه فإن هذا يوم ينبغي لنا أن نطلب الأجر فيه بكل ما قدرنا عليه فإنه لا عملَ بعد اليوم وإنما هو الحساب قال فتقدّم فسلم على الحسين ثم مضى فقاتل حتى قُتل قال ثم قال عابس بن أبي شبيبة يا أبا عبد الله أما والله ما أمسى على ظهر الأرض قريبٌ ولا بعيدٌ أعزّ عليّ ولا أحبّ اليّ منك ولو قدرتُ على أن أدفع عنك الضيم^(١) والقتل بشيءٍ أعزّ عليّ من نفسي ودمي لفعلته السلام عليك يا أبا عبد الله أشهدُ الله أني علي هذيك وهذي أبوك ثم مشى بالسيف مصلتاً^(٢) نحوهم وبه ضربة على جبينه .

(قال أبو مخنف) حدثني ثُمير بن وعلة عن رجل من بني عبد من همدان يقال له ربيع بن تميم شهد ذلك اليوم قال لما رأيته مُقبلاً عرفته وقد شاهدته في المغازي وكان أشجع الناس فقلت أيها الناس هذا الأسد الأسود هذا ابن شبيب لا يخرجنّ اليه أحد منكم فأخذ ينادي ألا رجلٌ لرجل فقال عمر بن سعد ارضخوه^(٣) بالحجارة قال فرمى بالحجارة من كل جانب فلما رأى ذلك ألقي

(١) الضيم : الظلم .

(٢) مصلتاً : مشروعا .

(٣) ارضخوه : رضوه بالحجارة .

دِرْعَه ومَغْفَرَه ثم شد على الناس فوالله لرأيتَه يَكْرُدُ^(١) أَكْثَرَ من مائتين من الناس ثم لَانِهِم تعطفوا عليه^(٢) من كل جانب فقتل قال فرأيت رأسه في أيدي رجال ذوي عُدَّة هذا يقول أنا قتلته وهذا يقول أنا قتلته أتوا عَمْرُ بن سعد فقال لا تختصموا هذا لم يقتله^(٣) سنان واحد ففرَّق بينهم بهذا القول .

قال أبو مخنف حدثني عبد الله بن عاصم عن الضحاك بن عبد الله المِشْرَقِي قال لما رأيتُ أصحاب الحسين قد أصيبوا وقد خُلص^(٤) اليه وإلى أهل بيته ولم يبق معه غيرُ سُويد بن عمرو بن أبي المطاع الخثعمي وبُشَيْر بن عمرو الحضرمي قلت له يا ابن رسول الله قد علمت ما كان بيني وبينك قلت لك أقاتل عنك ما رأيتُ مقاتلاً فإذا لم أر مقاتلاً فأنا في حلٍّ من الانصراف فقلت لي نعم قال فقال صدقت وكيف لك بالنجاء^(٥) إن قدرت على ذلك فأنْتَ في حل قال فأقبلت إلى فرسي وقد كنت حيث رأيت خيل أصحابنا تعقرُ أقبلت بها حتى أدخلتها فسطاطاً لأصحابنا بين البيوت وأقبلت أقاتل معهم راجلاً فقتلت يومئذ بين يدي الحسين رجلين وقطعت يدَ آخر وقال لي الحسين يومئذ مراراً لا تشلَّ لا يقطع الله يدك جزاك الله خيراً عن أهل بيت نبيك ﷺ فلما أذن لي استخرجتُ الفرس من الفسطاط ثم استويتُ على متنها^(٦) ثم ضربتها حتى إذا قامت على السنابك رميت بها عُرْضَ القوم فأفرجوا لي وأتبعني منهم خمسة عشر رجلاً حتى انتهيتُ إلى شُفْيَةٍ «قريّة قريبة من شاطئ الفرات» فلما لحقوني عطفتُ عليهم فعرفني كثير بن عبد الله الشعبي وأيوب بن مِشْرَح الخيواني وقيس بن عبد الله الصائدي فقالوا هذا الضحاك بن عبد الله المِشْرَقِي هذا ابن عمنا ننشدكم الله لما كففتُم عنه فقال ثلاثة نفر من بني تميم كانوا معهم بلى والله لنجيبن إخواننا وأهل

(١) يكرّد أكثر من مائتين : يستظهر عليهم ويسوقهم أمامه .

(٢) تعطفوا عليه من كل جانب : أحاطوا به ومالوا عليه .

(٣) وهنا تدرك عزيزي القارئ مدى اللذة والمتعة التي كانوا يشعرون بها وهم يحصدون أعناق الرجال بل يتنازعون في الفخر بذلك . . لا حول ولا قوة إلا بالله .

(٤) خُلِصَ إليه : انتهى إليه بعد قتل أعوانه .

(٥) النجاء بالمد والنجاة بالقصر .

(٦) متنها : ظهرها .

دعوتنا إلى ما أحبوا من الكف عن صاحبهم قال فلما تابع التميميون أصحابي
كف الآخرون قال فنجاني الله .

قال أبو مخنف حدثني فضيل بن خديج الكندي أن يزيد بن زياد وهو أبو
الشعثاء الكندي من بني بهذلة جثا على ركبتيه بين يدي الحسين فرمى بمائة
سهم ما سقط منها خمسة أسهم وكان رامياً فكان كلما رمى قال أنا ابن بهذله
فُرسان العرجلة ويقول حسين اللهم سدّ رميته واجعل ثوابه الجنة فلما رمى بها
قام فقال ما سقط منها إلا خمسة أسهم ولقد تبين لي أني قد قتلت خمسة نفر وكان
في أول من قُتل وكان رجزه يومئذ .

أنا يزيد وأبي مُهاصِرُ أشجعُ من ليثِ بَغِيلِ خادِرُ^(١)
يا ربّ إني للحسينِ ناصِرُ ولا بن سعدٍ تاركُ وهاجرُ
وكان يزيد بن زياد بن المهاصر من خرج مع عمر بن سعد إلى الحسين فلما
ردوا الشروط على الحسين مال إليه فقاتل معه حتى قُتل فأما الصيداوي عمرو بن
خالد وجابر بن الحارث السلماني وسعد مولى عمر بن خالد ومجمّع بن عبد الله
العائذي فانهم قاتلوا في أول القتال فشدوا مُقدمين بأسيا فهم على الناس فلما
وغلوا^(٢) عطف عليهم^(٣) الناس فأخذوا يحوزونهم وقطعوه من أصحابهم غيرَ
بعيد فحمل عليهم العباس بن علي فاستنقذهم فجاءوا قد جرحوا فلما دنا منهم
عدوهم شدوا فأسيا فهم فقاتلوا في أول الأمر حتى قُتلوا في مكان واحد .

قال أبو مخنف حدثني زهير بن عبد الرحمن ابن زهير الخثعمي قال كان آخر
من بقي مع الحسين من أصحابه سُويد بن عمرو بن أبي المطاع الخثعمي قال
وكان أول قتيل من بني أبي طالب يومئذ على الأكبر ابن الحسين بن علي وأمه ليل
ابنة أبي مُرة بن عُروة بن مسعود الثقفي وذلك أنه أخذ يشد على الناس وهو
يقول :

(١) خادر : سائر .

(٢) الإيغال : السير السريع والتقدم بإمعان ويقال توغلوا .

(٣) عطف عليهم الناس : أحاطوا بهم ومالوا عليهم .

أَنَا عَلِيُّ بْنُ حُسَيْنٍ بْنِ عَلِيٍّ نَحْنُ وَرَبُّ الْبَيْتِ أَوْلَىٰ بِالنَّبِيِّ
تَا لَلَّ لَا يَحْكُمُ فِينَا ابْنُ الدَّعِي

قال ففعل ذلك مراراً فبصر به مرة بن منقذ بن النعمان العبدي ثم الليثي
فقال علي أثنأُ العرب إن مَزَّ بي يفعل مثل ما كان يفعل إن لم أأكله أباه فمَرَّ يشد
على الناس بسيفه فاعتضره مرة بن منقذ فطعنه فصرع واحتوله الناس فقطعوه
بأسيافهم .

قال أبو مخنف حدثني سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم الأزدي قال
سماعُ أذني يومئذ من الحسين يقول قتل الله قوماً قتلوك يا بني ما أجرأهم على
الرحمن وعلى انتهاك حرمة الرسول، على الدنيا بعدك العَفَاءُ^(١) .

قال وكأني أنظر إلى امرأة خرجت مسرعة كأنها الشمس الطالعة تنادي يا
أخيَّاه ويا ابن أخاه قال فسألتُ عليها فقبل هذه زينب ابنة فاطمة ابنة رسول الله
ﷺ فجاءت حتى أكبَّت^(٢) عليه فجاءها الحسين فأخذ بيدها فردَّها إلى الفسطاط
وأقبل الحسين إلى ابنه وأقبل فتَيَّانه إليه فقال احملوا أخاكم فحملوه من مصرعه حتى
وضعوه بين يدي الفسطاط الذي كانوا يقاتلون أمامه قال ثم إن عمرو بن صُبَّيح
الصدائِيَّ رمى عبدالله بن مسلم بن عَقِيلَ بسهم فوضع كفه على جبهته فأخذ لا
يستطيع أن يحرك كفيه ثم انتحى له بسهم آخر ففلق قلبه فاعتورهم^(٣) الناس من
كل جانب فحمل عبدالله بن قطبة البَاطِئِيَّ ثم النبَهاني على عون عبدالله بن
جعفر بن أبي طالب فقتله وحمل عامر بن نهشل التيميَّ على محمد بن عبدالله بن
جعفر بن أبي طالب فقتله قال وشد عثمان بن خالد بن أسير الجهني وبشر بن سوط
الهمداني ثم القابضي على عبدالرحمن بن عَقِيلَ بن أبي طالب فقتلاه ورمى
عبدالله بن عزرة الخثعمي جعفر بن عَقِيلَ بن أبي طالب فقتله .

(١) العَفَاءُ : التراب .

(٢) أكبَّت عليه : مالت وانعطفت عليه .

(٣) اعتورهم : أحصروا بهم .

قال أبو مخنف حدثني سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم قال خرج
إلينا غلام كأن وجهه شقة قمر في يده السيف عليه قميص وإزار ونعلان قد
انقطع شسع (١) أحدهما ما أنسى أنها اليسرى فقال لي عمرو بن سعد بن نفيل
الأزدي والله لأشدنّ عليه فقلت له سبحان الله وما تريد إلى ذلك يكفيك قتل
هؤلاء الذين تراههم قد احتلّوهم قال فقال والله لأشدنّ عليه فشد عليه فما ولى
حتى ضرب رأسه بالسيف فوق الغلام لوجهه فقال يا عماء قال فجلى (٢)
الحسين كما يجلي الصقر ثم شد شدة ليث أغضب فضرب عمرا بالسيف فاتّقاء
بالساعد فأظنها (٣) من لدن المرفق فصاح ثم تنحى عنه وحملت خيل لأهل
الكوفة ليستنقذوا عمرا من حسين فاستقبلت عمرا بصدورها فحركت حوافرها
وجالت (٤) الخيل بفرسانها عليه فتوطأت (٥) حتى مات وانجلت (٦) الغبرة فإذا أنا
بالحسين قائم على رأس الغلام والغلام يفحص (٧) برجليه وحسين يقول بعداً
لِقَوْمٍ قَتَلُوكَ وَمَنْ حَصَمَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَكُ جَذْكُ ثُمَّ قَالَ عَزَّ وَاللَّهِ عَلَى عَمِكَ أَنْ
تَدْعُوهُ فَلَا يَجِيبُكَ أَوْ يَجِيبُكَ ثُمَّ لَا يَنْفَعُكَ صَوْتُ وَاللَّهِ كَثْرَ وَاتِرُهُ (٨) وَقُلْ نَاصِرُهُ
ثُمَّ احْتَمَلَهُ فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَجُلِي يَخْطُآنِ فِي الْأَرْضِ وَقَدْ وَضَعَ حُسَيْنٌ صَدْرَهُ عَلَى
صَدْرِهِ قَالَ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي مَا يَصْنَعُ بِهِ فَجَاءَ بِهِ حَتَّى أَلْقَاهُ مَعَ ابْنِهِ عَلَى بَن
الحسين وقتل قد قتلت حوله من أهل بيته فسألت عن الغلام فقليل هو القاسم
ابن الحسن بن علي بن أبي طالب قال ومكث الحسين طويلاً من النهار كلما انتهى
إليه رجل من الناس انصرف عنه وكره أن يتولى قتله وعظيم إثم عليه قال وإن
رجلاً من كندة يقال له مالك بن النسير من بني بداء أتاه فضربه على رأسه

(١) الشسع : واحد شسوع النعل التي تشد إلى زمامها .

(٢) جلى : كشف .

(٣) أظنها : سددها .

(٤) جالت الخيل : طافت وذهبت وجاءت .

(٥) توطأت : أي وطأت .

(٦) انجلت الغبرة : انكشف رجع الاشتباك .

(٧) يفحص برجليه : يركل بهما .

(٨) واتره : مساعده وناصره .

بالسيف وعليه برنس له فقطع البرنس وأصاب السيف رأسه فأدمى رأسه فامتلاً البرنس دما فقال له الحسين لا أكلت بها ولا شربت وحشرك الله مع الظالمين قال فألقى ذلك البرنس ثم دعا بقلنسوة فلبسها واعتم^(١) وقد أعيا وبُلد وجاء الكندي حتى أخذ البرنس. وكان من خزء فلما قدم به بعد ذلك على امرأته أم عبد الله ابنة الحرّ أخت حسين بن الحرّ البدي أقبل يغسل البرنس من الدم. فقالت له امرأته أسلب ابن بنت رسول الله ﷺ تدخل بيتي أخرجه عني فذكر أصحابه أنه لم يزل فقيراً بشراً حتى مات قال ولما قعد الحسين أتى بصبي له فأجلسه في حجره زعموا أنه عبد الله بن الحسين .

قال أبو مخنف قال عقبة بن بشير الأسدي قال لي أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين إن لنا فيكم يا بني أسد دما قال قلت فما ذنبي أنا في ذلك رحمك الله يا أبا جعفر وما ذلك قال أتى الحسين بصبي له فهو في حجره إذ رماه أحدكم يا بني أسد بسهم فذبحه فتلقي الحسين دمه فلما ملأ كفيه صبه في الأرض ثم قال رب إن تك حبست عنا النصر من السماء فاجعل ذلك لما هو خير وانتقم لنا من هؤلاء الظالمين قال ورمى عبد الله بن عقبة الغنوي أبا بكر بن الحسين بن علي بسهم فقتله فلذلك يقول الشاعر وهو ابن أبي عقب :

وَعِنْدَ غَنِي قَطْرَةٍ مِنْ دِمَائِنَا وَفِي أَسَدٍ أُخْرَى تُعَدُّ وَتُذَكَّرُ
قال وزعموا أن العباس بن علي قال لإخوته من أمه عبد الله وجعفر وعثمان يا بني أمي تقدموا حتى أرثكم فإنه لا ولد لكم ففعلوا فقتلوا وشد هانيء بن ثبيت الحضرمي علي عبد الله بن علي بن أبي طالب فقتله ثم شد علي جعفر بن علي فقتله وجاء برأسه ورمى خولئ بن يزيد الأصبحي عثمان بن علي بن أبي طالب بسهم ثم شد عليه رجل من بني أبان بن دارم فقتله وجاء برأسه ورمى رجل من بني أبان بن دارم محمد بن علي بن أبي طالب فقتله وجاء برأسه . قال هشام حدثني أبو الهذيل رجل من السكون عن هانيء بن ثبيت الحضرمي قال رأيته جالسا في مجلس الحضرميين في زمان خالد بن عبد الله وهو

(١) في الأصل (اغتم) وهو تصحيف .

شيخ كبير قال فسمعتة وهو يقول كنت ممن شهد قتل الحسين قال فوالله إني لواقف عاشر عشرة ليس منا رجل إلا على فرس وقد جالت الخيل وتصعصعت إذ خرج غلام من آل الحسين وهو ممسك بعُود من تلك الأبنية عليه إزار وقميص وهو مذعور^(١) يتلفت يمينا وشمالاً فكأني أنظر إلى دُرَّتَيْن في أذنيه تذبذبان^(٢) كلما التفت إذ أقبل رجل يركض حتى إذا دنا منه مال عن فرسه ثم اقتصد الغلام فقطعه بالسيف قال هشام قال السكوني هانء بن ثبيت هو صاحب الغلام فلما عُتب عليه كني عن نفسه. قال هشام حدثني عمرو بن شمر عن جابر الجعفي قال عطش الحسين حتى اشتدَّ عليه العطش فدنا ليشرب من الماء فرماه حصين بن تميم بسهم فوقع في فمه فجعل يتلقى الدم من فمه ويرمي به إلى السماء ثم حمد الله وأثنى عليه ثم جمع يديه فقال اللهم احصهم عدداً وأقتلهم بديداً ولا تَذَرْ على الأرض منهم أحداً . قال هشام عن أبيه محمد بن السائب عن القاسم بن الأصبغ بن نباتة قال حدثني من شهد الحسين في عسكره أن حسيناً حين غلب على عسكره ركب المسناة يريد الفرات فقال فقال رجل من بني أبان بن دارم ويلكم حولوا بينه^(٣) وبين الماء لا تنام إليه شيعة قال وضرب فرسه وأتبعه الناس حتى حالوا بينه وبين الفرات فقال الحسين اللهم أظمِّهِ^(٤) قال وينتزع الأبازي بسهم فأنبته في حنك الحسين قال فانتزع الحسين السهم ثم بسط كفيه فامتلاًتاً دماً ثم قال الحسين اللهم إني أشكو إليك ما يفعل بابن بنت نبيك قال فوالله ما مكث الرجل إلا يسيراً حتى صب الله عليه الظماً فجعل لا يروى قال القاسم بن الأصبغ لقد رأيتني فيمن يروح عنه والماء يبرد له فيه السُّكَّر وعساس فيها اللبن وقلال فيها الماء وإنه ليقول ويلكم اسقوني قتلي الظماً فيعطى القلة أو العُسُّ كان مروياً أهل البيت فيشربه فإذا نزعه من فيه اضطجع الهنيهة ثم يقول ويلكم اسقوني قتلي الظماً قال فوالله ما لبث إلا يسيراً حتى انقذ بطنه انقداد بطن البعير .

(١) مذعور : مروع أو مرتاع .

(٢) تذبذبان : أي تذبذبان بحذف إحدى التاءين للتخفيف .

(٣) حولوا بينه وبين الماء : أحرموه منه .

(٤) أظمِّهِ : أي أجعله يظما .

قال أبو مخنف في حديثه ثم إن شمر بن ذي الجوشن أقبل في نفر نحو من عشرة من رجاله^(١) أهل الكوفة قبل^(٢) منزل الحسين الذي فيه ثقله وعياله فمشى نحوه فحالوا بينه وبين رحله فقال الحسين ويلكم إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون يوم^(٣) المعاد فكونوا في أمر دنياكم أحراراً ذوي أحساب امنعوا رحلي وأهلي من طعامكم^(٤) وجهالكم .

فقال ابن ذي الجوشن ذلك لك يا ابن فاطمة قال وأقدم عليه بالرجال منهم أبو الجنوب واسمه عبدالرحمن الجعفي والقشعم بن عمرو بن يزيد الجعفي وصالح بن وهب اليزني وسمان بن أنس النخعي وخولى بن يزيد الأصبحي فجعل شمر بن ذي الجوشن يجرّضهم فمرّ بأبي الجنوب وهو شاكٍ في السلاح فقال له أقدم عليه قال وما يمنعك أن تقدم عليه أنت فقال له شمر ألي تقول ذا قال وأنت لي تقول ذا فاستبّأ فقال له أبو الجنوب وكان شجاعاً والله لهمت أن أخضخض السنان في عينك قال فانصرف عنه شمر وقال والله لئن قدرت على أن أضرك لأضرنك قال ثم إن شمر بن ذي الجوشن أقبل في الرجالة نحو الحسين فأخذ الحسين يشدّ عليهم فينكشفون عنه ثم إنهم أحاطوا به إحاطة وأقبل إلى الحسين غلام من أهله فأخذته أخته زينب ابنة عليّ لتحبسه فقال لها الحسين احبسيه فأبى الغلام وجاء يشتد إلى الحسين فقام إلى جنبه قال وقد أهوى بحر بن كعب بن عبيدالله من بني تيم الله بن ثعلبة بن عكابة إلى الحسين بالسيف فقال الغلام يا ابن الخبيثة أتقتل عمي فضر به بالسيف فاتقاه الغلام بيده فأطنها إلا الجلدة فإذا يده معلقة فنأدى الغلام يا أمّاه فأخذه الحسين فضمه إلى صدره وقال يا ابن أخي اصبر على ما نزل بك واحتسب في ذلك الخير فإن الله يلحقك بآبائك الصالحين برسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب وحمزة وجعفر والحسن بن علي صلى الله عليهم أجمعين .

قال أبو مخنف حدثني سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم قال

(١) الرجالة : الذين يقاتلون مترجلين .

(٢) قبل منزل الحسين : تجاهه .

(٣) يوم المعاد : يوم القيامة .

(٤) الطعام : أوغاد الناس ، وجهالهم .

سمعت الحسين يومئذ وهو يقول اللهم أمسك عنهم قطر السماء وامنعهم بركات الأرض اللهم فإن متعتهم إلى حين ففرقهم ^(١) فرقاً واجعلهم طرائق قِدْداً ^(٢) ولا تُرض عنهم الولاة أبداً فإنهم دعونا لينصرونا فعدوا علينا فقتلونا قال وضارب الرجالة حتى انكشفوا عنه قال ولما بقي الحسين في ثلاثة رهط أو أربعة دعا بسر اويل محقة يلمع فيها البصر يماني محقق ففرزه ونكته لكيلا يسلبه فقال له بعض أصحابه لو لبست تحته ثَبَاناً قال ذلك ثوب مذلة ولا ينبغي لي أن ألبسه قال فلما قتل أقبل بحر بن كعة فسلبه إياه فتركه مجرداً .

قال أبو مخنف فحدثني عمرو بن شعيب عن محمد بن عبد الرحمن أي يدي بحر بن كعب كانتا في الشتاء ينضحان الماء وفي الصيف يبيسان كأنهما عود .

قال أبو مخنف عن الحجاج بن عبد الله بن عمار بن عبد يغوث البارقى وعتب علي عبد الله بن عمار بعد ذلك مشهده قتل الحسين فقال عبد الله بن عمار إن لي عند بني هاشم ليداً قلنا له وما يدك عندهم قال حملت على حسين بالرمح فانتهمت اليه فوالله لو شئت لطعنته ثم انصرفت عنه غير بعيد وقلت ما أصنع بأن أتولى قتله يقتله غيري قال فشدد عليه رجالة ممن عن يمينه وشماله فحمل على من عن يمينه حتى ابذعروا ^(٣) وعلى من عن شماله حتى ابذعروا وعليه قميص له من خز وهو معتم ^(٤) قال فوالله ما رأيت مكسوراً قط قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط ^(٥) جأشاً ولا أمضى جناحاً منه ولا أجراً مقدماً والله ما رأيت قبله ولا بعده مثله إن كانت الرجالة لتتكشف من عن يمينه وشماله انكشاف المعزى إذا شد فيها الذئب قال فوالله إنه لكذلك إذ خرجت زينب ابنة فاطمة أخته وكأني أنظر إلى قُرطها يجول بين أذنيها وعاتقها وهي تقول ليت

(١) فرقا : خوفاً

(٢) قدا : أي فرقا .

(٣) ابذعروا : ذعروا .

(٤) معتم : أي قد لفَّ عمامته .

(٥) أربط جأشاً : أقوى قلباً .

السماء^(١) تطابقت على الأرض وقد دنا عمر بن سعد من حسين فقالت يا عمر بن سعد أيقتل أبو عبد الله وأنت تنظر اليه قال فكأنني أنظر إلى دموع عمر وهي تسيل على خديه ولحيته قال وصرف بوجهه عنها .

قال أبو مخنف حدثني الصقعب بن زهير عن حميد بن مسلم قال كانت عليه جُبة من خز وكان معتماً وكان غضوباً بالوسمة^(٢) قال وسمعتة يقول قبل أن يقتل وهو يقاتل على رجله قتالَ الفارس الشجاع يتقي الرمية ويفترض^(٣) العورة ويشد على الخيل وهو يقول أعلى قتلى تحاثون^(٤) أما والله لا تقتلون بعدي عبداً من عباد الله الله أسخط عليكم لقتله مني وأيم الله^(٥) إني لأرجو أن يكرمني الله^(٦) بهوانكم ثم ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون أما والله ان لو قد قتلتُموني لقد ألقى الله بأسكم بينكم وسفك دماءكم ثم لا يرضى لكم حتى يضاعف لكم العذاب الأليم قال ولقد مكث طويلاً من النهار ولو شاء الناس ان يقتلوه لفعلوا ولكنهم كان يتقي بعضهم ببعض ويحب هؤلاء أن يكفيهم هؤلاء قال فنادى شمر في الناس ويحكم ماذا تنظرون بالرجل اقتلوه ثكلتكم أمهاتكم قال فحمل عليه من كل جانب فضربت كفه اليسرى ضربة ضربها زُرعة بن شريك التميمي وضرب على عاتقه ثم انصرفوا وهو ينوء^(٧) ويكبو^(٨) قال وحمل عليه في تلك الحال سنان بن أنس بن عمرو النخعي فطعنه بالرمح فوقع ثم قال لحوالي بن يزيد الأصبحي احتز رأسه فأراد أن يفعل فضعف فأرعد فقال له سنان بن أنس فت الله عضديك^(٩) وأبان يديك فنزل إليه فذبحه واحتز رأسه

(١) تطابقت : انطبقت وهوت .

(٢) الوسمة : من وسم من باب وعد .

(٣) يفترض الصورة : اغتتمها .

(٤) تحاثون : أصلها تحاثون وحذفت إحدى التاءين للتخفيف وتحاثون أي يحث بعضهم بعضاً .

(٥) وأيم الله : قسم .

(٦) هوان : ذلة .

(٧) ينوء ويكبو : ينزغ ويتعثر ويضطرب .

(٨) يكبو من كبا الجواد لوجهه إذا سقط .

(٩) فت الله عضديك : دعاء عليه .

ثم دفع إلى خولي بن يزيد وقد ضرب قبل ذلك بالسيوف .

قال أبو مخنف عن جعفر بن محمد بن علي قال وُجد بالحسين عليه السلام حين قتل ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة ^(١) قال وجعل سنان بن أنس لا يدنو أحد من الحسين إلا شد عليه مخافة أن يغلب على رأسه حتى أخذ رأس الحسين فدفعه إلى خولي قال وسلب الحسين ما كان عليه فأخذ سراويله بحر بن كعب وأخذ قيس بن الأشعث قطيفته وكانت من خزّ وكان يسمى بعد قيسَ قطيفة-وأخذ نعليه رجل من بني أود يقال له الأسود وأخذ سيفه رجل من بني نهشل بن دارم فوقع بعد ذلك إلى أهل حبيب بن بديل قال ومال الناس على الورس والحلل والإبل وانتهبوها قال ومال الناس على نساء الحسين وثقله ومتاعه فإن كانت المرأة لتنازع ثوبها عن ظهرها حتى تغلب عليه فيذهب به منها .

قال أبو مخنف حدثني زهير بن عبد الرحمن الخثعمي أن سويد بن عمرو بن أبي المطاع كان صرع فأنخن ^(٢) فوقع بين القتلى مثخناً فسمعهم يقولون قتل الحسين فوجد فاقة فاذا معه سكين وقد أخذ سيفه فقاتلهم بسكينه ساعة ثم إنه قُتل قتله عروة بن بطار التغلبي وزيد بن رقاد الجنبلي وكان آخر قتيل .

قال أبو مخنف حدثني سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم قال انتهيت إلى علي بن الحسين بن علي الأصغر وهو منبسط على فراش له وهو مريض وإذا شمر بن ذي الجوشن في رجالة معه يقولون ألا نقتل هذا قال فقلت سبحان الله أنقتل الصبيان إنما هذا صبي قال فما زال ذلك دأبي أدفع عنه كل من جاء حتى جاء عمر بن سعد فقال ألا لا يدخلن بيت هؤلاء النسوة أحد ولا يعرضن لهذا الغلام المريض ومن أخذ من متاعهم شيئاً فليرده عليهم قال فوالله ما رد أحد شيئاً قال فقال علي بن الحسين جزيت من رجل خيراً فوالله لقد دفع الله عني بمقاتلك شراً قال فقال الناس لسنان بن أنس قتلت حسين بن علي وابن فاطمة ابنة رسول الله ﷺ قتلت أعظم العرب خطراً جاء إلى هؤلاء يريد أن يزيلهم

(١) راجع التذكرة للقرطبي (٦٦٥/٢)

(٢) أنخن : جرح .

عن ملكهم فأت امرأك فاطلب ثوابهم وإنهم لو أعطوك بيوت أموالهم في قتل الحسين كان قليلاً فأقبل على فرسه وكان شجاعاً شاعراً وكانت به لوثة^(١) فأقبل حتى وقف على باب فسطاط عمر بن سعد ثم نادى بأعلى صوته :

أوقر ركابي فضةً وذهباً أنا^(٢) قتلُ الملك المحجَّبَا
قتلتُ خيرَ الناسِ أماً وأباً وخيرهم إذ ينسبون نسباً

فقال عمر بن سعد أشهد أنك لمجنون ما صحوت^(٣) قط أدخلوه على فلما أدخل حذفه بالقضيب ثم قال يا مجنون أتتكلم بهذا الكلام؟ أما والله لو سمعك ابن زياد لضرب عنقك قال وأخذ عمر بن سعد عقبة بن سميان وكان مولى للرباب بنت امرئ القيس الكلبية وهي أم سكينه بنت الحسين فقال له ما أنت قال أنا عبد مملوك فخلى سبيله فلم ينج منهم أحد غيره إلا أن المرقع بن ثمامة الأسدي كان قد نثر نبله وجثا على ركبتيه فقاتل فجاءه نفر من قومه فقالوا له أنت آمن اخرج إلينا فخرج إليهم فلما قدم بهم عمر بن سعد علي ابن زياد وأخبره خبره سيره إلى الزارة قال ثم أن عمر بن سعد نادى في أصحابه من ينتدب للحسين ويوطئه فرسه فانتدب عشرة منهم إسحاق بن حيوة بن سلامة الحضرمي فأتوا فداسوا الحسين بخيولهم حتى رضوا ظهره وضدته فبلغني أن أحبس بن مرثد بعد ذلك بزمان أتاه سهم غرب وهو واقف في قتال ففلق قلبه فمات قال فقتل من أصحاب الحسين عليه السلام اثنان وسبعون^(٤) رجلاً ودفن الحسين وأصحابه أهل الغاصرية^(٥) من بني أسد بعد ما قتلوا بيوم وقتل من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانون رجلاً سوى الجرحى فصلّى عليهم عمر بن سعد ودفنهم قال وما هو إلا أن قتل الحسين فسرح برأسه من يومه ذلك مع خولى بن يزيد وحيد بن مسلم الأزدي إلى عبيد الله بن زياد فأقبل به خولى فأراد

(١) لوثة: أي قصر عقلي ورعونة وحماقة .

(٢) وفي بعض الأصول (أي)

(٣) ما صحوت قط : أي ما صحا من الجنون فهو مغرور فيه .

(٤) راجع مروج الذهب للمسعودي (٧١/٣ ، ٧٢)

(٥) وفي مروج الذهب الغاصرية بالغين المعجمة .

القصر فوجد باب القصر مغلقاً فأقى منزله فوضعه تحت إجانة^(١) في منزلة وله امرأتان امرأة من بني أسد والأخرى من الحضرميين يقال لها النوار ابنة مالك بن عقرب وكانت تلك الليلة ليلة الحضرمية قال هشام فحدثني أبي عن النوار بنت مالك قالت أقبل خولي برأس الحسين فوضعه تحت إجانة في الدار ثم دخل البيت فأوى إلى فراشه فقلت له ما الخبر ما عندك قال جئت بك بغنى الدهر هذا رأس الحسين معك في الدار قالت فقلت ويلك جاء الناس بالذهب والفضة وجئت برأس ابن رسول الله ﷺ لا والله لا يجمع رأسي ورأسك بيت أبداً قالت فقممت من فراشي فخرجت إلى الدار فدعا الأسد فادخلها إليه وجلس أنظر قالت فوالله ما زلت أنظر إلى نور يسطع مثل العمود من السماء إلى الإجانة ورأيت طيراً بيضاً ترفرف حولها قال فلما أصبح غدا بالرأس إلى عبيد الله بن زياد وأقام عمر بن سعد يومه ذلك والغد ثم أمر حميد بن بكير الأحمري فأذن في الناس بالرحيل إلى الكوفة وحمل معه بنات الحسين وأخواته ومن كان معه من الصبيان وعلي بن الحسين مريض .

قال أبو مخنف فحدثني أبو زهير العبسي عن قرة بن قيس التميمي قال نظرت إلى تلك النسوة لما مررن بحسين وأهله وولده صحن ولطمن وجوههن قال فاعترضتهن على فرس فما رأيت منظرأ من نسوة قط كان أحسن من منظر رأيت منهن ذلك والله لهن أحسن من مهي يثيرن قال فما نسيت من الأشياء لا أنسى قول زينب ابنة فاطمة حين مرت بأخيها الحسين صريعاً وهي تقول يا محمداه يا محمداه صلى عليك ملائكة السماء هذا الحسين بالعرا^(٢) مزمل^(٣) بالدماء مقطوع الأعضاء يا محمداه وبناتك^(٤) سبايا وذريتك مقتلة تسفي^(٥) عليها الصبا^(٦) قال فأبكت والله كل عدو وصديق قال وقطف رءوس الباقيين فسرح

(١) الإجانة : واحدة الأجاجية . المختار ص ٧ .

(٢) بالعرا : العراء الفضاء .

(٣) مزمل بالدماء : غارق في دماه ، ويقال تزل بتيابه أي تدثر بها .

(٤) سبايا : إماء وأسرى .

(٥) تسفي الريح : تذر التراب .

(٦) الصبا : ريح مهبها المستوى أن تهب من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار ، وتقابلها الدبور .

بائنين وسبعين رأساً مع شمر بن ذي الجوشن وقيس بن الأشعث وعمر بن الحجاج وعززة بن قيس فأقبلوا حتى قدموا بها على عبيد الله بن زياد .

قال أبو مخنف حدثني سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم قال دعاني عمر بن سعد فسرّحني إلى أهله لأبشرهم بفتح الله عليه وبِعَافِيته فأقبلت حتى أتيت أهله فأعلمتهم ذلك ثم أقبلت حتى أدخلت فأجدُ ابن زياد قد جلس للناس وأجد الوفد قد قدموا عليه فأدخلهم وأذن للناس فدخلتُ فيمن دخل فإذا رأس الحسين موضوع بين يديه وإذا هو ينكت بقضيب^(١) بين ثنيتيه ساعة فلما رآه زيد بن أرقم لا ينجم عن نكته بالقضيب قال له أعلُ بهذا القضيب عن هاتين الثنيتين فوالذي لا إله غيره لقد رأيت شفتي رسول الله ﷺ على هاتين الشفتين يقبلهما ثم انفضح الشيخ يبكي فقال له ابن زياد أبكي الله عينيك فوالله لولا أنك شيخ قد خرفت^(٢) وذهب عقلك لضربت عنقك قال فنهض فخرج فلما خرج سمعت الناس يقولون والله لقد قال زيد بن أرقم قولاً لو سمعه ابن زياد لقتله قال فقلت ما قال قالوا مر بنا وهو يقول ملك عبدٌ عبدٌ فاتخذهم تُلداً أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم قتلتم ابن فاطمة وأمرتم^(٣) ابن مرجانة فهو يقتل خياركم ويستعبد شراركم فرضيتم بالذل فبعدا لمن رضي بالذل قال فلما دخل برأس حسين وصبيانته وأخواته ونسائه على عبيد الله بن زياد لبست زينب ابنة فاطمة أرذل ثيابها وتنكرت، وحف بها إمامها فلما دخلت جلست فقال عبيد الله بن زياد من هذه الجالسة فلم تكلمه فقال ذلك ثلاثاً كل ذلك لا تكلمه فقال بعض^(٤) إمامها هذه زينب ابنة فاطمة قال فقال لها عبيد الله الحمد لله الذي فضحككم وقتلكم وأكذب أحموتكم^(٥) فقالت الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد ﷺ وطهرنا تطهيراً لا كما تقول أنت إنما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر

(١) ينكت بالقضيب : يعبث ويزدري به .

(٢) خرفت : ذهب عقله .

(٣) أمرتم : بتشديد الميم المفتوحة أي جعلتموه أميراً .

(٤) بعض إمامها : بعض خدمها وحشمها .

(٥) أحد وثنكم : ما يتحدث به عنكم ويقص سيرتكم .

قال فكيف رأيت صنع الله بأهل بيتك قالت كتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاجون^(١) إليه وتخاصمون^(٢) عنده قال فغضب ابن زياد واستشاط^(٣) قال فقال له عمرو بن حريث أصلح الله الأمير إنما هي امرأة وهل تؤاخذ المرأة بشيء من منطقتها أنها لا تؤاخذ بقول ولا تلام على خطئ^(٤) فقال لها ابن زياد قد أشفى الله نفسي من طاغيتك والعصاة المردة^(٥) من أهل بيتك قال فبكت ثم قالت لعمرى لقد قتلت كهلبي وأبرت^(٦) أهلي وقطعت^(٧) فرعي واجتثت^(٨) أصلي فان يشفك هذا فقد اشتفيت فقال لها عبيد الله هذه شجاعة قد لعمرى كان أبوك شاعراً شجاعاً قالت ما للمرأة والشجاعة إن لي عن الشجاعة لشغلا ولكنني نفى ما أقول .

قال أبو مخنف عن المجالد بن سعيد إن عبيد الله بن زياد لما نظر إلى علي بن الحسين قال لشرطي انظر هل أدرك هذا ما يدرك الرجال فكشط إزاره عنه فقال نعم قال انطلقوا به فاضربوا عنقه فقال له علي إن كان بينك وبين هؤلاء النسوة قرابة فابعث معهن رجلاً يحافظ عليهن فقال له ابن زياد تعال أنت فبعثه معهن .

قال أبو مخنف وأما سليمان بن أبي راشد فحدثني عن حميد بن مسلم قال إني لقائم عند ابن زياد حين عرض عليه علي بن الحسين فقال له ما اسمك قال أنا علي بن الحسين قال أو لم يقتل الله علي بن الحسين فسكت فقال له ابن زياد مالك لا تتكلم قال قد كان لي أخ يقال له أيضاً علي فقتله الناس قال إن الله قد قتله قال فسكت علي فقال له مالك لا تتكلم قال الله يُتوفى الأنفس حين موتها

(١) فتحاجون إليه : تختصمون إليه والأصل تتحاجون .

(٢) وأصلها تتخاصمون .

(٣) إزداد غضبه .

(٤) خطئ : منطوق فاسد فاحش .

(٥) المردة : المتمردون المنشقون .

(٦) أبرت أهلي : اجتثتهم .

(٧) قطعت فرعي : بقتل رجالها .

(٨) اجتثت واجتثت لغة فيها .

وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله قال أنت والله منهم ويحك انظروا هل أدرك والله إني لأحسبه رجلاً قال فكشف عنه مُررى بن معاذ الأحمرى فقال نعم قد أدرك فقال اقتله فقال علي بن الحسين من تُوكل^(١) بهؤلاء النسوة وتعلقت به زينب عمتها فقالت يا ابن زياد حسبك منا أما رويت من دمائنا وهل أبقيت منا أحداً قال فاعتنقته فقالت أسألك بالله إن كنت مؤمناً إن قتلته لما قتلتني معه قال وناداه علي فقال يا ابن زياد إن كانت بينك وبينهم قرابة فابعث معهم رجلاً تقياً يصحبهم بصحبة الإسلام قال فنظر إليها ساعة ثم نظر إلى القوم فقال عجباً للرحم والله إني لأظنها ودّت لو أتي قتلته أي قتلتها معه دعوا الغلام انطلق مع نسائك قال حميد بن مسلم لما دخل عبيد الله القصر ودخل الناس نودى: الصلاة جامعة فاجتمع الناس في المسجد الأعظم فصعد المنبر ابن زياد فقال الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله ونصر أمير المؤمنين يزيد بن معاوية وحزبه وقتل الكذّاب ابن الكذّاب الحسين بن علي وشيعته فلم يفرغ ابن زياد من مقالته حتى وثب إليه عبد الله بن عفيف الأزدي ثم الغامدي ثم أحد بني والبة وكان من شيعة علي كرم الله وجهه وكانت عينه اليسرى ذهبت يوم الجمل مع علي فلما كان يوم صفين ضرب على رأسه ضربة وأخرى على حاجبه فذهبت عينه الأخرى فكان لا يكاد يفارق المسجد الأعظم يصلي فيه إلى الليل ثم ينصرف قال فلما سمع مقالة ابن زياد قال يا ابن مرجانة إن الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك والذي ولاك وأبوه يا ابن مرجانة أتقتلون أبناء النبيين وتكلمون بكلام الصديقين فقال ابن زياد عليّ به قال فوثبت عليه الجلاوزة فأخذه قال فنادى بشعار الأزدي يا مبرور قال وعبد الرحمن بن مخنف الأزدي جالس فقال ويحّ غيرك أهلك نفسك وأهلك قومك قال وحاضر الكوفة يومئذ من الأزدي سبعمائة مقاتل قال فوثب إليه فتية من الأزدي فانتزعوه فأتوا به أهله فأرسل إليه من أتاه به فقتله وأمر بصلبه في السبخة فصلب هنالك .

قال أبو مخنف ثم إن عبيد الله بن زياد نصب رأس الحسين بالكوفة فجعل يدار به في الكوفة ثم دعا زحر بن قيس فسرّح معه برأس الحسين وروى

(١) توكل بهؤلاء : تعهد إليهم حراستهم .

أصحابه إلى يزيد بن معاوية وكان مع زحر أبو بردة بن عوف الأزدي وطارق بن أبي ظبيان الأزدي فخرجوا حتى قدموا بها الشام على يزيد بن معاوية قال هشام فحدثني عبد الله بن يزيد بن روح بن زنباع الجذامي عن أبيه عن الغاز بن ربيعة الجُرشي من حمير قال والله إنا لعند يزيد بن معاوية بدمشق إذ أقبل زحر بن قيس حتى دخل على يزيد بن معاوية فقال له يزيد ويلك ما وراءك وما عندك فقال أبشر يا أمير المؤمنين بفتح الله ونصره وَرَدَ علينا الحسين بن علي في ثمانية عشر من أهل بيته وستين من شيعته فسرنا إليهم فسألناهم أن يستسلموا وينزلوا على حكم الأمير عبيد الله بن زياد أو القتال فاختراروا القتال على الاستسلام فعدونا عليهم^(١) مع شروق الشمس فأحطنا بهم من كل ناحية حتى إذا أخذت السيوف مأخذها من^(٢) هام القوم يهربون إلى غير وَرَرٍ ويلوذون^(٣) منا بالأكام^(٤) والحفر لوأذاً كما لا ذ الحماثم من صقر فوالله يا أمير المؤمنين ما كان إلا جَزَرَ جزور أو نومة قائل حتى أتينا على آخرهم فهاتيك أجسادهم مجردة وثيابهم مزقثة وخذودهم معفرة تصهرهم الشمس وتسفى عليهم الريح زوَّارهم العقبان^(٥) والرخم^(٦) بقي سَبَسَب قال فدمعت عين يزيد^(٧) وقال قد كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين لعن الله ابن سمية أما والله لو أني صاحبه لعفوت عنه فرحم الله الحسين^(٨) ولم يصله بشيء قال ثم إن عبيد الله أمر بنساء الحسين وصبياناه فجهزن وأمر بعلت بن الحسين فغل بغل إلى عنقه ثم سرح بهم مع مُحَفَز بن ثعلبة العائذي عائذة قريش ومع شمر بن ذي الجوشن فانطلقا بهم حتى قدموا على يزيد فلم يكن علي بن الحسين يكلم أحداً منهما في الطريق كلمة

(١) عدونا عليهم : هجمنا عليهم .

(٢) هام الرجال : رؤوسهم .

(٣) يلوذون : يلجأون .

(٤) الأكام : جمع أكمة وهي التل .

(٥) العقبان : طيور جوارح .

(٦) الرخم : طيور جارحة أيضاً .

(٧) وهذا تظاهر بالندم فلو كان ذلك حقيقة لحاسب عبيد الله بن زياد وعمرو بن سعد على ذلك .

(٨) فكان لذلك الندم قولاً لا فعلاً فلم لم يعاقب القتلة ؟ !

حتى بلغوا فلما انتهوا إلى باب يزيد رفع مُحفز بن ثعلبة صوته فقال هذا مُحفز بن ثعلبة أتى أمير المؤمنين باللائم الفجرة قال فأجابه يزيد بن معاوية ما ولدت أم مُحفز شرُّ وألأم .

قال أبو مخنف حدثني الصقعب بن زهير عن القاسم بن عبد الرحمن مولى يزيد بن معاوية قال لما وُضعت الرءوس بين يدي يزيد رأس الحسين وأهل بيته وأصحابه قال يزيد :

يُفْلَقْنَ هَاماً من رجال أعزّة عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا (١) أَعَقُّ وَأَظْلَمًا أما والله يا حسين لو أنا صاحبك ما قتلتك .

قال أبو مخنف حدثني أبو جعفر العباسي عن أبي عمارة العباسي قال فقال يحيى بن الحكم أخو مروان بن الحكم .

لَهَا بِجَنْبِ الطِّفْلِ أَدْنَى قَرَابَةٍ من ابن زياد العبد ذي الحَسْبِ الْوُغْلِ (٢) سُمِّيَتْ أُمِّي نَسْلَهَا عَدَدَ الْحَصَى وَلَيْسَ لَالِ الْمُصْطَفَى الْيَوْمَ من نَسْلِ

قال فضرب يزيد بن معاوية في صدر يحيى بن الحكم وقال اسكت قال ولما جلس يزيد بن معاوية دعا أشراف أهل الشام فأجلسهم حوله ثم دعا بعلي بن الحسين وصبيان الحسين ونسائه فأدخلوا عليه والناس ينظرون فقال يزيد لعلي يا علي أبوك الذي قطع رحمي وجَهْل حقي ونازعني سلطاني فصنع الله به ما قد رأيت قال فقال علي «ما أصاب من مُصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها» فقال يزيد لابنه خالد اردد عليه قال فما درى خالد ما يرد عليه فقال له يزيد قل ما أصابكم من مُصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير ثم سكت عنه قال ثم دعا بالنساء والصبيان فأجلسوا بين يديه فزأى هيئة قبيحة فقال قبح الله ابن مرجانة لو كانت بينه وبينكم رحم أو قرابة ما فعل هذا بكم ولا بعث بكم هكذا (٣) .

(١) أعق بهمة أصح مما ورد بالأصل .

(٢) الوغل : المتطفل .

(٣) راجع الإمامة والسياسة (٢/٦ ، ٧) .

قال أبو مخنف عن الحارث بن كعب عن فاطمة بنت علي قالت لما أجلسنا بين يدي يزيد بن معاوية رق (١) لنا وأمر لنا بشيء وألطفنا قالت ثم إن رجلاً من أهل الشام أحمر قام إلى يزيد فقال يا أمير المؤمنين هب لي هذه يعنيني وكنت جارية وضيئة (٢) فأرعدت (٣) وفرقت (٤) وظننت أن ذلك جائز لهم وأخذت بشباب أختي زينب قالت وكانت أختي زينب أكبر مني وأعقل وكانت تعلم أن ذلك لا يكون فقالت كذبت والله ولؤمّت ما ذلك لك وله فغضب يزيد فقال كذبت والله إن ذلك لي ولو شئت أن أفعله لفعلت قالت كلا والله ما جعل الله ذلك لك إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا قالت فغضب يزيد واستطار ثم قال إياي تستقبلين بهذا إنما خرج من الدين أبوك وأخوك فقالت زينب بدين الله ودين أبي ودين أخي وجدي اهتديت أنت وأبوك وجدك قال كذبت يا عدوة الله قالت أنت أمير مسلط تشتم ظالماً (٥) وتقهر بسلطانك قالت فوالله لكأنه استحيا فسكت ثم عاد الشامى فقال يا أمير المؤمنين هب لي هذه الجارية قال أعزب (٦) وهب الله لك حتفاً (٧) قاضيا قالت ثم قال يزيد بن معاوية يا نعمان بن بشير جهزهم بما يصلحهم وابعث معهم رجلاً من أهل الشام أميناً صالحاً وابعث معه خيلاً وأعواناً فيسير بهم إلى المدينة ثم أمر بالنسوة أن ينزلن في دار على حدة معهن ما يصلحهن وأخوهن معهن علي بن الحسين في الدار التي هن فيها قال فخرجن حتى دخلن دار يزيد فلم تبق من آل معاوية امرأة إلا استقبلتهن تبكي وتنوح على الحسين فأقاموا عليه المناحة ثلاثاً وكان يزيد لا يتغدى ولا يتعشى إلا دعا علياً بن الحسين إليه قال فدعاه ذات يوم ودعا عمرو بن الحسن بن علي وهو غلام صغير فقال لعمرو بن الحسن أتقاتل هذا الفتى يعني خالداً ابنه قال لا

(١) رق لنا : حذب علينا وأشفق علينا .

(٢) وضيئة : من الوضأة وهي الصبابة والجمال .

(٣) أرعدت : أي ارتعدت من الإضطراب .

(٤) فرقت : من الفرق الخوف .

(٥) ظالماً : أي وهو ظالم .

(٦) أعزب : أي أبعد عني .

(٧) حنف : موت وهلاك

ولكن أعطني سكيناً وأعطه سكيناً ثم أقاتله فضمه يزيّد اليه ثم قال شيشنة أعرفُها من أخزَم هل تُلد الحية إلا حية قال ولما أرادوا أن يخرجوا دعا يزيد عليّ بن الحسين ثم قال لعن الله ابن مرجانة أما والله لو أُنِي صاحبه ما سألتني خصلة أبداً الا أعطيتها إياه ولدفعت الحتف (١) عنه بكل ما استطعت ولو بهلاك بعض ولدي ولكن الله قضى ما رأيت كَاتِبِي وأنه كل حاجة تكون لك قال وكساهم وأوصى بهم ذلك الرسول قال فخرج بهم وكان يسايرهم بالليل فيكونون أمامه حيث لا يفوتون طرفه فإذا نزلوا تنحى عنهم وتفرق هو وأصحابه حولهم كهيئة الحرس لهم وينزل منهم بحيث إذا أراد إنسان منهم وضوءاً أو قضاء حاجة لم يحتشم فلم يزل ينازلهم في الطريق هكذا ويسألهم عن حوائجهم ويلطفهم حتى دخلوا المدينة وقال الحارث بن كعب فقالت لي فاطمة بنت علي قلت لأختي زينب يا أخي لقد أحسن هذا الرجل الشاميّ إلينا في صحبتنا فهل لك أن نصلّه فقالت والله ما معنا شيء نصلّه به إلا حُلَيْنَا قالت لها فنعطيه حلَيْنَا قالت فأخذتُ سوارِي ودُمَلجِي (٢) وأخذتُ أختي سوارها ودملجها فبعثنا بذلك إليه واعتذرنا إليه وقلنا له هذا جزاؤك بصحبتك إيانا بالحسن من الفعل قال فقال لو كان الذي صنعت إنما هو للدنيا كان في حليكن ما يرضيني ودونه ولكن والله ما فعلته إلا الله ولقرابتكم من رسول الله ﷺ .

قال هشام وأما عوانة بن الحكم الكلبي فإنه قال لما قتل الحسين وجيء بالأثقال والأساري حتى وردوا بهم (٣) الكوفة إلى عبيد الله فبينما القوم محتسبون إذ وقع حجر في السجن معه كتاب مربوط وفي الكتاب خرج البريد بأمرهم في يوم كذا وكذا إلى يزيد بن معاوية وهو سائر كذا وكذا يوماً وراجع في كذا وكذا فان سمعتم التكبير فأيقنوا بالقتل وإن لم تسمعوا تكبيراً فهو الأمان إن شاء الله قال فلما كان قبل قدوم البريد بيومين أو ثلاثة إذا حجر قد ألقى في السجن ومعه كتاب مربوط وموسى وفي الكتاب أوصوا واعهدوا فإنما يُنتظر البريد يوم كذا

(١) الحتف : القتل والهلاك .

(٢) الدملج : المعضد .

(٣) وردوا بهم الكوفة : نزلوها .

وكذا فجاء البريد ولم يسمع التكبير وجاء كتاب بأن سرح الأساري إلى قال فدعا عبيد الله بن زياد محفز بن ثعلبة وشمر بن ذي الجوشن فقال انطلقوا بالثقل والرأس إلى أمير المؤمنين يزيد بن معاوية قال فخرجوا حتى قدموا على يزيد فقام محفز بن ثعلبة فنادى بأعلى صوته جثنا برأس أحق الناس والأهم فقال يزيد ما ولدت أم محفز الأم ولكنه قاطع ظالم قال فلما نظر يزيد إلى رأس الحسين قال (١) :

يفلقن هاماً من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظلم

ثم قال أتدرون من أين أتى هذا قال أبي علي خير من أبيه وأمي فاطمة خير من أمه وجدى رسول الله خير من جده وأنا خير منه وأحق بهذا الأمر منه فأما قوله أبوه خير من أبي فقد حاج أبي أباه وعلم الناس أيها حكم له وأما قوله أمي خير من أمه فلعمري فاطمة ابنة رسول الله ﷺ خير من أمي وأما قوله جدي خير من جده فلعمري ما أحد يؤمن بالله واليوم الآخر يرى لرسول الله فينا عدلاً ولا ندا ولكنه إنما أتى من قبل (٢) فقهه ولم يقرأ ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتَذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ثم أدخل نساء الحسين على يزيد فصاح نساء آل يزيد وبنات معاوية وأهله ولولن (٣) ثم لهن أدخلن على يزيد فقالت فاطمة بنت الحسين- وكانت أكبر من سكينه-أبنت رسول الله سبايا يزيد؟ فقال يزيد يا ابنة أخي أنا لهذا كنت أكره قالت والله ما ترك لنا خرص (٤) قال يا ابنة أخي ما أتى إليك أعظم مما أخذ منك ثم أخرجن فدخلن دار يزيد بن معاوية فلم تبق امرأة من آل يزيد إلا أتتهن وأقمن المأتم وأرسل يزيد إلى كل امرأة ماذا أخذ لك وليس منهن امرأة تدعى شيئاً بالغاً ما بلغ إلا قد أضعفه لها فكانت سكينه تقول ما رأيت رجلاً كافراً بالله خيراً من يزيد بن معاوية ثم أدخل الأساري إليه

(١) والأصح (وقال)

(٢) وفي رواية (من قلة فقهه)

(٣) ولولن : ندبن .

(٤) خرص : كذب .

وفيهما علي بن الحسين فقال له يزيد إيه يا علي فقال علي «ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يجب كل مختال فخور» فقال يزيد «ما أصاب من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير» ثم جهزه وأعطاه مالا وشرحه إلى المدينة .

قال هشام عن أبي مخنف قال حدثني أبو حزة الثمالي عن عبد الله الصمالي عن القاسم بن بخيت قال لما أقبل وفد أهل الكوفة برأس الحسين دخلوا مسجد دمشق فقال لهم مروان بن الحكم كيف صنعتم قالوا ورد علينا منهم ثمانية عشر رجلا فأتينا والله على آخرهم وهذه الردوس والسبايا فوثب مروان فانصرف وأتاهم أخوه يحيى بن الحكم فقال ما صنعتم فأعادوا عليه الكلام فقال حُجِبْتُمْ عن محمد يوم القيامة لن أجامعكم (١) على أمر أبداً ثم قام فانصرف ودخلوا على يزيد فوضعوا الرأس بين يديه وحدثوه الحديث قال فسمعت دور الحديث هند بنت عبد الله بن عامر بن كُرَيْز وكانت تحت يزيد بن معاوية فتقنعت بثوبها وخرجت فقالت يا أمير المؤمنين رأس الحسين بن فاطمة بنت رسول الله قال نعم فأعولى (٢) عليه وحُدِّي على ابن بنت رسول الله ﷺ وصريحة (٣) قریش عجل عليه (٤) ابن زياد فقتله الله ثم أذن للناس فدخلوا والرأس بين يديه ومع يزيد قضيب فهو ينكت به في ثغره ثم قال إن هذا وإيانا كما قال الحصين بن الحُمَام المُرِّي .

يفلقن هاماً من رجال أحبة (٥) إلينا (٦) وهم كانوا أعق وأظلموا قال فقال رجل من أصحاب رسول الله ﷺ يقال له أبو برزة الأسلمي (٧)

(١) لن أجامعكم على أمر : لن أوافقكم عليه .

(٢) اعولى عليه : من التعويل وهو التعديد .

(٣) صريحة : خلاصة وصفة .

(٤) عجل عليه : قضى عليه .

(٥) أحبة : جمع مفردة حبيب .

(٦) من بعض النسخ (علينا) وكلاهما صحيح .

(٧) راجع ترجمته في الطبقات الكبرى (٢٦٨/٦)

أتنتك بقضيتك في ثغر الحسين أما لقد أخذ قضيتك من ثغره مأخذاً لربما رأيت رسول الله ﷺ يرشفه أما إنك يا يزيد تجيء يوم القيامة وابن زياد شفيحك ويحيى هذا يوم القيامة ومحمد ﷺ شفيعه ثم قام فولى^(١) قال هشام حدثني عَوَانة بن الحكم قال لما قتل عبيد الله بن زياد الحسين بن علي وجيء برأسه إليه دعا عبد الملك بن أبي الحارث السلمي فقال انطلق حتى تقدم المدينة على عمرو بن سعيد بن العاص فبشّره بقتل الحسين وكان عمرو بن سعيد بن العاص أمير المدينة يومئذ قال فذهب ليعتل له فزجره وكان عبيد الله لا يصطلي بناره فقال انطلق حتى تأتي المدينة ولا يسبقك الخبر وأعطاء دنانير وقال لا تعتل وإن قامت بك راحلتك فاشتر راحلة قال عبد الملك فقدمت المدينة فلقيني رجل من قريش فقال ما الخبر فقلت الخبر عند الأمير فقال إنا لله وإنا إليه راجعون قُتل الحسين بن علي قال فدخلت على عمرو بن سعيد فقال ما وراءك فقلت ما سر الأمير قتل الحسين بن علي فقال نادى بقتله فناديت بقتله فلم أسمع والله واعية قط مثل واعية نساء بني هاشم في دورهن على الحسين فقال عمرو بن سعيد وضحك :

عَجَّتْ نساء بني زيادِ عَجَةً كَعَجِيجِ نِسَوْتِنَا غَدَاةَ الْأَرْبِ
والأرب وقعة كانت لبني زبيد على بني زياد من بني الحارث بن كعب من رهط عبد المدان وهذا البيت لعمر بن معد يكرب ثم قال عمرو هذه واعية بواعية عثمان ابن عفان ثم صعد المنبر فأعلم الناس قتله .

قال هشام عن أبي مخنف عن سليمان بن أبي راشد عن عبد الرحمن بن عبيد أبي الكُنود قال لما بلغ عبد الله بن جعفر بن أبي طالب مقتل ابنه مع الحسين دخل عليه بعض مواله والناس يعزّونه قال ولا أظن مولاه ذلك إلا أبا اللسلاس فقال هذا ما لقينا ودخل علينا من الحسين قال فحذفه عبد الله بن جعفر بنعله ثم قال :

يا ابن اللخناء^(٢) أَللّٰهُمَّ تَقُولُ هَذَا وَاللّٰهُ لَوْ شَهِدْتُهُ لَأَحْبَبْتُ أَنْ لَا أَفَارِقَهُ

(١) وليّ : انصرف .

(٢) اللخناء : التنتة العفنة .

حتى أقتل معه والله إنه لما يسخى بنفسه عنهما ويهون علي المصائب بهما إنما أصيبا
مع أخي وابن عمي مواسين له صابرين معه ثم أقبل على جلسائه فقال الحمد
لله عز وجل على مصرع الحسين أن لا يكن آست حسينا يدي فقد آساه ولدي
قال ولما أتى أهل المدينة مقتل الحسين خرجت ابنة عقيل بن أبي طالب ومعها
نساؤها وهي حاسرة تلوي بثوبها وهي تقول :

ماذا تقولون إن قال النبي لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
يعترقي وبأهلي بعد مفتقدي منهم أساري ومنهم ضرجوا بدم
قال هشام عن عوانة قال قال عبيد الله بن زياد لعمر بن سعد بعد قتله
الحسين يا عمر أين الكتاب الذي كتبت به إليك في قتل الحسين قال مضيت
لأمرك وضاع الكتاب قال لتجيشن به قال ضاع قال والله لتجيشني به قال ترك والله
يقرأ على عجائز قريش اعتذاراً إليهن بالمدينة أما والله لقد نصحتك في حسين
نصيحة لو نصحتها أبي سعد بن أبي وقاص كنت قد أديت حقه قال عثمان بن
زياد أخو عبيد الله صدق والله لو ددت أنه ليس من بني زياد رجل إلا وفي أنفه
خزامة^(١) إلى يوم القيامة وأن حسينا ليقتل قال فوالله ما أنكر ذلك عليه عبيد
الله .

قال هشام حدثني بعض أصحابنا عن عمرو بن أبي المقدم قال حدثني
عمرو بن عكرمة قال أصبحنا صبيحة قتل الحسين بالمدينة فإذا مولى لنا يحدثنا
قال سمعت البارحة منادياً ينادي وهو يقول :

أيها القائلون جهلاً حسيناً أبشروا بالعذاب والتكيل
كل أهل السماء يدعوا عليكم من نبي وملك^(٢) وقبيل
قد لعنتم على لسان ابن داود وموسى وحاميل الإنجيل
قال هشام حدثني عمر بن حيزوم الكلبي عن أبيه قال سمعت هذا
الصوت

(١) خزامة : ثقب في وترة الأنف .

(٢) وهذا الشطر مكسور والأصح أن يقول : من نبي مقرب وقبيل .

ذُكِرَ اسْمَاءُ مَنْ قُتِلَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ مَعَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمِنْ قَتَلَ مِنْ أَهْلِ قَبِيلَتِهِ مِنَ الْقَبَائِلِ الَّتِي قَاتَلَتْهُ

قال هشام قال أبو مخنف ولما قتل الحسين بن علي عليه السلام جرى
برء وس من قتل معه من أهل بيته وشيعته وأنصاره إلى عبيد الله بن زياد فجاءت
كندة بثلاثة عشر رأساً وصاحبهم قيس بن الأشعث وجاءت هوازن بعشرين رأساً
وصاحبهم شمر بن ذي الجوشن وجاءت تميم بسبعة عشر رأساً وجاءت بنو أسد
بستة أرؤس (١) وجاءت مذحج بسبعة أرؤس وجاء سائر الجيش بسبعة أرؤس
فذلك سبعون رأساً قال وقتل الحسين وأمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ قتله
سنان بن أنس النخعي ثم الأصبحي وجاء برأسه خولى بن يزيد وقتل
العباس بن علي بن أبي طالب وأمه أم البنين ابنة حزام بن خالد بن ربيعة بن
الوحيد قتله زيد بن رقاد الجنبي وحكيم بن الطفيل السنسي وقتل جعفر بن
علي بن أبي طالب وأمه أم البنين أيضاً وقتل عبد الله بن علي بن أبي طالب وأمه
أم البنين أيضاً وقتل عثمان بن علي بن أبي طالب وأمه أم البنين أيضاً رماه
خولى بن يزيد بسهم فقتله وقتل محمد بن أبي طالب وأمه أم ولد قتله رجل من
بني أبان بن دارم وقتل أبو بكر بن علي بن أبي طالب وأمه ليلي ابنة مسعود بن

(١) أرؤس : جمع مفردة رأس ونجمع على رؤوس أيضاً .

خالد بن مالك بن رباعي بن سُلمى بن جندل بن نهشل بن دارم وقد سُكِّ في قتله
وقتل على بن الحسين بن علي وأمه ليلي ابنة أبي مرة بن عروة بن

مسعود بن معتب الثقفي وأمها ميمونة ابنة أبي سفيان بن حرب قتله مرة بن مُنقذ
ابن النعمان العبدى وقتل عبد الله بن الحسين بن علي وأمه الرباب ابنة امرئ
القيس ابن عدى بن أوس بن جابر بن كعب بن عُليم من كلب قتله هانيء بن
ثبيت الحضرمي واستصغر علي بن ثبيت الحضرمي واستصغر علي بن الحسين بن
علي فلم يقتل وقتل أبو بكر بن الحسن بن علي بن أبي طالب وأمه أم ولد قتله
عبد الله بن عقبة الغنوي وقتل عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب وأمه أم
ولد قتله حرملة بن الكاهن رماه بسهم .

وقتل القاسم بن الحسن بن علي وأمه أم ولد قتله سعد بن عمرو بن نُفيل
الأزدي وقتل عون بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وأمه جمانة ابنة المسيب بن
نَجْبة بن ربيعة بن رياح من بني فزارة قتله عبد الله بن قُطَبة الطائي ثم النُّبْهاني
وقتل محمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وأمه الخوصاء ابنة خصفة بن
ثقيف بن ربيعة بن عائذ بن الحارث بن تيم الله بن ثعلبة من بكر بن وائل قتله
عامر بن نهشل التيمي وقتل جعفر بن عقيل بن أبي طالب وأمه أم البنين ابنة
الشقر بن الهضاب قتله بشر بن حَوْط الهمداني .

وقتل عبد الرحمن بن عقيل وأمه أم ولد قتله عثمان بن خالد بن أسير
الجهني وقتل عبد الله بن عقيل بن أبي طالب وأمه أم ولد رماه عمرو بن صبيح
الصدائي فقتله وقتل مسلم بن عقيل بن أبي طالب وأمه أم -

وقتل عبد الله بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب وأمه رُقية ابنة علي بن أبي
طالب وأمها أم ولد قتله عمرو بن صبيح الثدائي وقيل قتله أسيد بن مالك
الحضرمي وقتل محمد بن أبي سعيد بن عقيل وأمه أم ولد قتله لقيط بن ياسر

الجهني واستصغر الحسن بن الحسن بن علي وأمه خولة ابنة منظور بن زيان بن سيار الفزاري واستصغر عمرو بن الحسن بن علي فترك فلم يقتل وأمه أم ولد وقتل من الموالي سليمان مولى الحسين بن علي قتله سليمان بن عوف الحضرمي وقتل مُنَجِّح مولى الحسين بن علي وقتل عبد الله بن يُقَطَّر رضيع الحسين بن علي .

قال أبو مخنف حدثني عبد الرحمن بن جندب الأزدي أن عبيد الله بن زياد بعد قتل الحسين تفقد أشراف أهل الكوفة فلم ير عبيد الله بن الحرّ ثم جاءه بعد أيام حتى دخل عليه فقال أين كنت يا ابن الحر قال كنت مريضاً قال مريض القلب أو مريض البدن قال أما قلبي فلم يمرض وأما بدني فقد منّ الله عليّ بالعافية فقال له ابن زياد كذبت ولكنك كنت مع عدونا قال لو كنت مع عدوك لرؤى مكاني وما كان مثل مكاني يخفي قال وغفل عنه ابن زياد غفلة فخرج ابن الحر فقعد على فرسه فقال ابن زياد أين ابن الحر قالوا خرج الساعة قال عليّ به فأحضرت الشرط فقالوا له أجب الأمير فدفع فرسه ثم قال أبلغوه أني لا آتية والله طائعاً - أبداً .

ثم خرج حتى أتى منزل أحمر بن زياد الطائي فاجتمع اليه في منزله أصحابه ثم خرج حتى أتى كربلاء فنظر إلى مصارع القوم فاستغفر لهم هو وأصحابه ثم مضى حتى نزل المدائن وقال في ذلك :

يقول أمير غادر حق غادر	ألا كنت قاتلت الشهيد ابن فاطمة
فياندمي أن لا أكون نصرته	ألا كل نفس لا تسدّد ناديمه
وأنّي لأنّي لم أكن من حمّاه	لذو حسرة ما إن تفارق لآزيمه
سقى الله أرواح الذين تآزروا	على نصره سقياً من الغيث دائمه
وقفت على أجداثهم ومجاهلهم	فكاد الحشى ينفّض والعين ساجمه
لعمري لقد كانوا مصاليك في الوغى	سراعاً إلى الهيجا حمة خضارمه
تأسوا على نصر ابن بنت نبيهم	بأسياهم آساد غيل ضراغمه ^(١)

(١) ضراغم : جمع ضراغم وهو الأسد .

فإن يُقْتَلُوا فكلُّ نفسٍ ^(١) تقيّةٌ
وما إن رأى الرّاءون أفضّلَ منهم
أتقتلهم ظلماً وترجوا ودادنا
لعمري لقد راغمتمونا بقتلهم
أهمُّ مراراً أن أسيرَ بجحفلٍ ^(٢)
فكفّوا وإلا ذدتكم في كتائب
وفي هذه السنة قتل أبو بلال مرداس بن عمرو بن حدير بن ربيعة بن
حنظلة

(١) الشطر مكسورة والأصح أن يقول : فإنه حُصِدُوا فكل نفس تقية . . على الأرض . . . الخ
(٢) واجمة : حزينة .
(٣) قماجمة : يقال اغتسل بالقمم والقمجة ، والقمقام هو البحر . وقماقم جمع مفردة القمم .
(٤) الجحفل : الجيش .
(٥) الديلمة : الديلمة الأعداء .

فكر سبب مقتله

قال أبو جعفر الطبري قد تقدم ذكر سبب خروجه وما كان من توجيه عبيد الله بن زياد اليه أسلم بن زرعة الكلبي في ألفي رجل والتقائهم بأسك وهزيمة أسلم وجيشه منه ومن أصحابه فيما مضى من كتابنا هذا ولما هزم مرداس أبو بلال أسلم ابن زرعة وبلغ ذلك عبيد الله بن زياد سرّح إليه فيما حدثت عن هشام بن محمد عن أبي مخنف قال حدثني أبو المخارق الراسبي ثلاثة آلاف عليهم عباد بن الأخضر التميمي فأتبعه عباد يطلبه حتى لحقه بتّوج فصف له فحمل عليهم أبو بلال وأصحابه فثبتوا وتعطف الناس عليهم فلم يكونوا شيئاً وقال أبو بلال لأصحابه من كان منكم إنما خرج للدنيا فليذهب ومن كان منكم إنما أراد الآخرة ولقاء ربه فقد سبق ذلك إليه وقرأ «مَن كان يُريدُ حرث الآخرة نَزَدَ له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نُوْتِه وما له في الآخرة من نصيب» فنزل ونزل أصحابه معه لم يفارقه منهم إنسان فقتلوا من عند آخرهم ورجع عباد بن الأخضر وذلك الجيش الذي كان معه الى البصرة وأقبل عبّيدة بن هلال معه ثلاثة نفر هو رابعهم فرصد عباد بن الأخضر فأقبل يريد قصر الإمارة وهو مردف ابنا له غلاماً صغيراً فقالوا يا عبد الله قف حتى نستفتيك فوقف فقالوا نحن إخوة أربعة قتل أخونا فما ترى قال استعدوا الأمير قالوا قد استعديناه فلم يُعِدنا قال فاقتلوه قتله الله فوثبوا عليه فحكموا وألقي ابنه فقتلوه وفي هذه السنة ولّى يزيد بن معاوية سلّم بن زياد سجستان وخراسان .

ذكر سبب توليته إياه

حدثني عمر قال حدثني علي بن محمد قال حدثنا مسلمة بن محارب بن سلم بن زياد قال وقد سلم بن زياد علي يزيد بن معاوية وهو ابن أربع وعشرين سنة فقال له يزيد يا أبا حرب أوليك عمل أخوئك عبد الرحمن وعباد فقال ما أحب أمير المؤمنين فولاه خراسان وسجستان فوجه سلم الحارث بن معاوية الحارثي جد عيسى بن شبيب من الشام إلى خراسان وقدم سلم البصرة فتجهز وسار إلى خراسان فأخذ الحارث بن قيس بن الهيثم السلمي فحبسه وضرب ابنه شبيبا وأقامه في سراويل ووجه أخاه يزيد بن زياد إلى سجستان فكتب عبيد الله بن زياد إلى عباد أخيه وكان له صديقاً يخبره بولاية سلم فقسم عباد ما في بيت المال في عبيده وفضل فضل فنادى مناديه من أراد سلفاً فليأخذ فأسلف كل من أتاه وخرج عباد عن سجستان فلما كان بجيرفت بلغه مكان سلم وكان بينهما جبل فعدل عنه فذهب لعباد تلك الليلة ألف مملوك أقل ما مع أحدهم عشرة آلاف قال فأخذ عباد على فارس ثم قدم على يزيد فقال له يزيد أين المال قال كنت صاحب ثغر فقسمت ما أصبت بين الناس قال ولما شخص سلم إلى خراسان شخص معه عمران بن الفصيل البرجي وعبد الله بن خازم السلمي وطلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي والمهلب بن أبي صفرة وحنظلة بن عرادة وأبو خزابة الوليد بن نهيك أحد بني ربيعة بن حنظلة ويحيى بن يعمر العدواني حليف هذيل وخلق كثير من فرسان البصرة وأشرافهم فقدم سلم بن زياد بكتاب يزيد بن معاوية إلى عبيد الله بن زياد بنخبة ألفي رجل ينتخبهم وقال غيره بل نخبة ستة آلاف قال فكان سلم ينتخب الوجوه والفرسان ورغب قوم في الجهاد فطلبوا إليه أن يخرجهم فكان أول من أخرجهم سلم حنظلة بن عرادة فقال له عبيد الله بن زياد دعه لي قال هو بيني وبينك فان اختارك فهو لك وإن اختارني فهو لي .

قال فاختر سلمان وكان الناس يكلمون سلماً ويطلبون إليه أن يكتبهم معه وكان صلة بن أشيم العدوي يأتي الديوان فيقول له الكاتب يا أبا الصهباء ألا أثبت اسمك فإنه وجه فيه جهاد وفضل فيقول له أستخير الله وأنظر فلم يزل

يدافع حتى فرغ من أمر الناس فقالت له امرأته مُعَاذَةُ ابنة عبد الله العَدَوِيَّةُ أَلَا تَكْتَبُ نَفْسَكَ قَالَ حَتَّى أَنْظُرَ ثُمَّ صَلَّى وَاسْتَخَارَ اللَّهَ

قَالَ فَرَأَى فِي مَنَامِهِ آتِياً أَنَاهُ فَقَالَ لَهُ أَخْرِجْ فَإِنَّكَ تَرْبِحُ وَتَفْلِحُ وَتَنْجَحُ فَأَتَى الْكَاتِبَ فَقَالَ لَهُ أَتُبِّتُنِي قَالَ قَدْ فَرَعْنَا وَلَنْ أَدْعَكَ فَأَتَيْتُهُ وَابْنَهُ فَخَرَجَ سَلِمَ فَصَيَّرَهُ سَلِمَ مَعَ يَزِيدَ بْنِ زِيَادٍ فَسَارَ إِلَى سَجِسْتَانَ ، قَالَ وَخَرَجَ سَلِمَ وَأَخْرَجَ مَعَهُ أُمَّ مُحَمَّدٍ ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيِّ وَهِيَ أُولَى امْرَأَةٍ مِنَ الْعَرَبِ قَطَعَ بِهَا النَّهْرَ قَالَ وَذَكَرَ مُسْلِمَةُ بْنُ مَحَارِبٍ وَأَبُو حَفْصٍ الْأَزْدِيُّ عَنْ عِمَانَ بْنِ حَفْصٍ الْكِرْمَانِيِّ أَنَّ عُمَالَ خِرَاسَانَ كَانُوا يَغْزُونَ فَإِذَا دَخَلَ الشِّتَاءُ قَفَلُوا مِنْ مَغَازِيهِمْ إِلَى مَرَوْ الشَّاهِجَانَ فَإِذَا انْصَرَفَ الْمُسْلِمُونَ اجْتَمَعَ مَلُوكُ خِرَاسَانَ فِي مَدِينَةٍ مِنْ مَدَائِنِ خِرَاسَانَ مِمَّا يَلِي خَوَارِزْمَ فَيَتَعَاقِدُونَ أَنْ لَا يَغْزُوا بَعْضُهُمْ بَعْضاً وَلَا يَهْبِجُ أَحَدٌ أَحَدًا وَيَتَشَاوِرُونَ فِي أُمُورِهِمْ فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يَطْلُبُونَ إِلَى أُمَرَائِهِمْ فِي غَزْوِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ فَيَأْبُونَ عَلَيْهِمْ فَلَمَّا قَدِمَ سَلِمُ خِرَاسَانَ غَزَا فَشَبَا فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ قَالَ فَالْحَ عَلَيْهِ الْمَهْلَبُ وَسَأَلَهُ أَنْ يُوَجِّهَهُ إِلَى تِلْكَ الْمَدِينَةِ فَوَجَّهَهُ فِي سِتَّةِ آلَافٍ وَيُقَالُ أَرْبَعَةَ آلَافٍ فَحَاصَرَهُمْ فَسَأَلَهُمْ أَنْ يَذْعَنُوا لَهُ بِالطَّاعَةِ فَطَلَبُوا إِلَيْهِ أَنْ يَصَالِحَهُمْ عَلَى أَنْ يَفْدُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ فَصَالَحُوهُ عَلَى نِيفٍ وَعَشْرِينَ أَلْفَ قَالَ وَكَانَ فِي صَلَاحِهِمْ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهُمْ عَرُوضاً فَكَانَ يَأْخُذُ الرَّأْسَ بِنِصْفِ ثَمَنِهِ وَالدَّابَّةَ بِنِصْفِ ثَمَنِهَا وَالْكَيْمُخْتَ بِنِصْفِ ثَمَنِهِ فَلَبِغَتْ قِيَمَةُ مَا أَخَذَ مِنْهُمْ خَمْسِينَ أَلْفَ فَحَظِي بِهَا الْمَهْلَبُ عِنْدَ سَلِمَ وَاصْطَفَى سَلِمَ مِنْ ذَلِكَ مَا أَعْجَبَهُ وَبَعَثَ بِهِ إِلَى يَزِيدَ مَعَ مَرْزَبَانَ مَرَوْ وَأَوْفَدَ فِي ذَلِكَ وَفْدًا .

قَالَ مُسْلِمَةُ وَإِسْحَاقُ بْنُ أَيُّوبَ غَزَا سَلِمَ سَمَرْقَنْدَ بِأَمْرَاتِهِ أُمَّ مُحَمَّدٍ ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ فَوُلِدَتْ لِسَلِمَ ابْنًا فَسَمَاهُ صُغْدِي * قَالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ ذَكَرَ الْحَسَنُ بْنُ رَشِيدِ الْجَوْزَجَتِيِّ عَنْ شَيْخٍ مِنْ خَزَاعَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ غَزَوْتُ مَعَ سَلِمَ بْنِ زِيَادٍ خَوَارِزْمَ فَصَالَحُوهُ عَلَى مَالٍ كَثِيرٍ ثُمَّ عَبَرُوا إِلَى سَمَرْقَنْدَ فَصَالَحَ أَهْلَهَا وَكَانَتْ مَعَهُ امْرَأَتُهُ أُمَّ مُحَمَّدٍ فَوُلِدَتْ لَهُ فِي غَزَاتِهِ تِلْكَ ابْنَتَا وَأُرْسِلَتْ إِلَى امْرَأَةٍ صَاحِبِ الصَّغْدِ تَسْتَعِيرُ مِنْهَا حَلِيًّا فَبَعَثَتْ إِلَيْهَا بِتَاجِهَا وَقَفَلُوا فَذَهَبَتْ بِالتَّاجِ .

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ عَزَلَ يَزِيدُ عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ عَنِ الْمَدِينَةِ وَوَلَاهَا الْوَلِيدُ بْنُ

عتبة حدثني بذلك أحمد بن ثابت عمن حدثه عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر قال نزع يزيد بن معاوية عمرو بن سعيد لجلال ذي الحجة وأمر الوليد بن عتبة على المدينة فحج بالناس حجتين سنة ٦١ وسنة ٦٢ وكان عامل يزيد بن معاوية في هذه السنة على البصرة والكوفة عبيد الله بن زياد وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة وعلى قضاء الكوفة شريح .

وفيها أظهر ابن الزبير الخلاف على يزيد وخلعه وفيها بويج له .

ذكر سبب عزل يزيد عمرو بن سعيد عن المدينة وتوليته عليها
الوليد بن عتبة .

وكان السبب في ذلك وسبب إظهار عبد الله بن الزبير الدعاء إلى نفسه فيما ذكر هشام عن أبي مخنف عن عبد الملك بن نوفل قال حدثني أبي قال لما قُتل الحسين عليه السلام قال ابن الزبير في أهل مكة وعظم مقتله وعاب على أهل الكوفة خاصة ولام أهل العراق عامة فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد ﷺ أن أهل العراق غُدْرُ فُجْرٌ إلا قليلاً وإن أهل الكوفة شرارُ أهل العراق وأنهم دعوا حسيناً لينصروه ويولّوه عليهم فلما قدم عليهم ثاروا إليه فقالوا له إما أن تضع يدك في أيدينا فنبتك بك إلى ابن زياد بن سمية سلماً فيمضي فيك حكمه وإما أن تحارب فرأى والله أنه هو وأصحابه قليل في كثير وإن كان الله عز وجل لم يُطلع على الغيب أحداً أنه مقتول ولكنه اختار الميتة الكريمة على الحياة الذميمة فرحم الله حسيناً وأخزى قاتل حسين لعمرى لقد كان من خلافهم إياه وعصيانهم ما كان في مثله واعظٍ وناءٍ ولكنه ما حُمّ نازلٌ وإذا أراد الله أمراً لن يُدْفَعْ أبعد الحسين نطمئن إلى هؤلاء القوم ونصدّق قولهم ونقبل لهم عهداً لا ولا نراهم لذلك أهلاً أما والله لقد قتلوه طويلاً بالليل قيامه كثيراً في النهار صيامه أحق بما هم فيه منهم وأولى به في الدين والفضل أما والله ما كان يبذل بالقرآن الغناء ولا بالبكاء من خشية الله الخداء ولا بالصيام شرب الحرام ولا بالمجالس في حلق الذكر الركض في تطلاب^(١) الصيد يعرض بيزيد فسوف

(١) تطلاب : طلب .

يلقون غيا فثار اليه أصحابه فقولوا له أيها الرجل أظهر بيعتك فانه لم يبق أحد إذا هلك حسين ينازعك هذا الأمر وقد كان يبايع الناس سرًا ويظهر أنه عائد بالبيت فقال لهم لا تعجلوا وعمرو بن سعيد بن العاص يومئذ عامل مكة وقد كان أشد شيء عليه وعلى أصحابه وكان مع شدته عليهم يداري ويرفق فلما استقر عند يزيد بن معاوية ما قد جمع ابن الزبير من الجموع بمكة أعطى الله عهداً ليوثقنه في سلسلة فبعث بسلسلة من فضة فمَرَّ بها البريد على مروان بن الحكم بالمدينة فأخبر ما قدم له وبالسلسلة التي معه فقال مروان :

خُذْهَا فَلَيْسَتْ لِلْعَزِيزِ بِخُطَّةٍ ^(١) وفيها مقالٌ لامرئٍ مُتَضَعِّفٍ
ثم مضى من عنده حتى قدم على ابن الزبير فأقْبَضَ ابن الزبير فأخبره بممرِّ
البريد على مروان وتمثَّل مروان بهذا البيت فقال ابن الزبير لا والله أكون أنا
ذلك المتضعف وردَّ ذلك البريد ردًّا رقيقاً .

وعلا أمر ابن الزبير بمكة كاتبه أهل المدينة وقال الناس أما أذهلك
الحسين عليه السلام فليس أحد ينازع ابن الزبير .

حدثنا نوح بن حبيب القومسي قال حدثنا هشام بن يوسف وحدثنا
عبيد الله بن عبد الكريم قال حدثنا عبد الله بن جعفر المديني قال حدثنا هشام بن
يوسف واللفظ لحديث عبيد الله قال أخبرني عبد الله بن مصعب قال أخبرني
موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال أخبرني عبد العزيز بن مروان قال لما بعث
يزيد بن معاوية ابن عضاه الأشعري ومُسْعِدَةً وأصحابهما إلى عبد الله بن الزبير
بمكة ليؤتى به في جامعة لتبرِّيم يزيد بعث معهم بجامعة من ورق وبرنس خَزَّ
فارسلي أبي وأخي معهم وقال إذا بَلَغَتْهُ رُسُلُ يزيد الرسالة فتعرضا له ثم ليتمثل
أحدكما :

فُخِذْهَا فَلَيْسَتْ لِلْعَزِيزِ بِخُطَّةٍ وفيها مقالٌ لامرئٍ متذللٍ

(١) لا يستقيم وزن البيت إلا بحذف الواو فيقول : -

خُذْهَا فَلَيْسَتْ لِلْعَزِيزِ بِخُطَّةٍ فيها مقالٌ لامرئٍ متضعف
والبيت من بحر الكامل .

أَعَامِرَ إِنْ الْقَوْمَ سَامُوكَ^(١) خُطَّةٌ وذلك في الجيرانِ غَزْلٌ بِمِغْزَلٍ
أَرَاكَ إِذَا مَا كُنْتُ لِلْقَوْمِ نَاصِحاً يُقَالُ لَهُ بِالذَّلْوِ أَذْبَرُ وَأَقْبِلُ
قال فلما بلغت الرسالة تعرضنا فقال لي أخي اكفنيها فسمعتني فقال
أي ابني مروان وقد سمعت ما قلتما وعلمت ما ستقولانه فأخبرنا أباكما :

إِنِّي لِمَنْ نَبَعَةٍ^(٢) صَمَّ مَكَايِرُهَا إِذَا تَنَاوَحَتِ^(٣) الْقُصْبَاءُ^(٤) وَالْعُشْرُ
فَلَا أَلَيْنُ لَغَيْرِ الْحَقِّ أَسْأَلُهُ حَتَّى يَلِينَ لِضِرْسِ الْمَاضِغِ الْحَجَرُ

قال فما أدرى أيهما كان أعجب زاد عبد الله في حديثه عن أبي علي قال
فذاكرت بهذا الحديث مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن
الزبير فقال قد سمعته من أبي علي نحو الذي ذكرت له ولم أحفظ إسناده قال
هشام عن خالد بن سعيد عن أبيه سعيد بن عمرو بن سعيد أن عمرو بن سعيد
لما رأى الناس قد أشرأبوا^(٥) إلى ابن الزبير ومدوا إليه اعناقهم ظن أن تلك
الأمور تامة له فبعث إلى عبد الله بن عمرو بن العاص وكانت له صُحبة وكان مع
أبيه بمصر وكان قد قرأ كتب دنيال هنالك وكانت قريش إذ ذاك تُعده عالماً فقال
له عمرو بن سعيد أخبرني عن هذا الرجل أترى ما يطلب تامة له وأخبرني عن
صاحبي إلى ما ترى أمره صائراً إليه فقال لا أرى صاحبك إلا أحد الملوك
الذين تتم لهم أمورهم حتى يموتوا وهم ملوك فلم يزد عند ذاك إلا شدة على
الزبير وأصحابه مع الرفق بهم^(٦) والمدارة لهم ثم إن الوليد بن عقبة وناساً معه
من بني أمية قالوا ليزيد بن معاوية لو شاء عمرو بن سعيد لأخذ ابن الزبير وبعث
به إليك فترح الوليد بن عقبة على الحجاز أميراً وعزل عمرأً وكان عزل يزيد
عمرأً عن الحجاز وتأميره عليها الوليد بن عقبة في هذه السنة أعني سنة ٦١

(١) ساموك : من سوم .

(٢) نبعة : شجرة .

(٣) تناوحت : من ناحت .

(٤) القصباء والخلفاء والطرفاء واحد .

(٥) اشرأبوا إليه : تطلعوا إليه .

(٦) الرفق بهم : الحلم والأناة والترفق والتحنن .

قال أبو جعفر حدثت عن محمد بن عمر قال نزع يزيد عمرو بن سعيد بن العاص لهلal ذي الحجة سنة ٦١ وولي الوليد بن عتبة فأقام الحجة سنة ٦١ بالناس وأعاد ابن ربيعة العامري على قضائه . وحدثني أحمد بن ثابت قال حدثت عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر قال حجّ بالناس في سنة ٦١ الوليد بن عتبة وهذا مما لا اختلاف فيه بين أهل السير وكان الوالي في هذه السنة على الكوفة والبصرة عبد الله بن زياد وعلى قضاء الكوفة شريح وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة وعلى خراسان سلم بن زياد .

ثم دخلت سنة الثنتين وسبعين

ذكر الخبر عما كان في هذه السنة من الأحداث
فمن ذلك مقدم وفد أهل المدينة على يزيد بن معاوية
ذكر الخبر عن سبب مقدمهم عليه

وكان السبب في ذلك فيما ذكر لسوط بن يحيى عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق عن عبد الله بن عروة أن يزيد بن معاوية لما سرح الوليد بن عتبة على الحجاز أميراً وعزل عمرو بن سعيد قدم الوليد المدينة فأخذ غلماناً كثيراً وعمرو وموالى له فحبسهم فكلّمه فيهم عمرو فأبى أن يخلّيهم وقال له لا تجزع يا عمرو فقال أخوه أبان بن سعيد بن العاص أعمراً يجزع والله لو قبضتم على الجُمُحِ وقبض عليه ما تركه حتى تتركوه وخرج عمرو سائراً حتى نزل من المدينة على ليلتين وكتب إلى غلمانه ومواليه وهم نحو من ثلاثمائة رجل إني باعث إلى كل رجل منكم رجلاً وحقيبة وأداته وتُناخ لكم الإبل في السوق فإذا أتاكم رسولي فاكسروا باب السجن ثم ليقيم كل رجل منكم إلى جملة فليركبه ثم أقبلوا عليّ حتى تأتونني فجاء رسوله حتى اشترى الإبل ثم جهزها بما ينبغي لها ثم أناخها في السوق ثم أتاهم حتى أعلمهم ذلك فكسروا باب السجن ثم خرجوا إلى الإبل فاستولوا عليها ثم أقبلوا حتى انتهوا إلى عمرو بن سعيد فوجدوه حين قدم علي يزيد بن معاوية فلما دخل عليه رحب به وأذن مجلسه ثم أنه عاتبه في تقصيره في أشياء كان يأمره بها في ابن الزبير فلا ينفذ منها إلا ما أراد فقال يا أمير المؤمنين الشاهد يرى ما لا يرى الغائب وإنّ جلّ أهل مكة وأهل المدينة قد كانوا مالوا إليه وهووه وأعطوه الرضا ودعا بعضهم بعضاً سرّاً وعلانية ولم يكن معي جند

أقوى بهم عليه لو ناهضته وقد كان يحذّرني ويتحرّز^(١) مني وكنت أرفق به وأداريه لأستمكر منه فأثب عليه مع أني قد ضيّقتُ ومنعته من أشياء كثيرة لو تركته وإياها ما كانت له إلا معونة وجعلت على مكة وطرقها وشعبها^(٢) رجالاً لا يدعون أحداً يدخلها حتى يكتبوا إليّ باسمه واسم أبيه ومن أيّ بلاد الله هو وما جاء به وما يريد فإن كان من أصحابه أو ممن أرى أنه يريد رددته صاغراً وإن كان ممن لا أتهم خليت سبيله وقد بعث الوليد وسيأتيك من عمله وأثره ما لعلك تعرف به فضل مبالغتي في أمرك ومناصحتي لك إن شاء الله والله يصنع لك ويكتب عدوك يا أمير المؤمنين فقال له يزيد أنت أصدق ممن رقي هذه^(٣) الأشياء عنك وحلني بها عليك وأنت ممن أثق به وأرجو معونته وأدخره لرأب الصدع^(٤) وكفاية المهّم وكشف نوازل الأمور العظام فقال له عمرو وما أرى يا أمير المؤمنين أن أحداً أولى بالقيام بتشديد سلطانك وتوهين^(٥) عدوك والشدة على من نابذك^(٦) مني وأقام الوليد بن عتبة يريد ابن الزبير فلا يجده إلا متحذراً متمنعاً وثار نجدة بن عامر الحنفي باليمامة حين قتل الحسين وقار ابن الزبير فكان الوليد يفيض من المعرف وتفيض معه عامة الناس وابن الزبير واقف وأصحابه ونجدة واقف في أصحابه ثم يفيض ابن الزبير بأصحابه ونجدة بأصحابه لا يفيض واحد منهم بإفاضة صاحبه وكان نجدة يلقي ابن الزبير فيكثر.

(١) يتحرّز من : يحترس ويحناط .

(٢) الشعب : جمع مفردة الشعب وهو الطريق بين جبيلين .

(٣) رقي الأشياء : غناها ورفعها .

(٤) رأي الصدع : سد الثلمة ورتق الفتق وإصلاح الفاسد .

(٥) توهين : إضعاف دمه الوهن والوهي .

(٦) من نابذك : من شتمك وعاداك .

رسائل الحسين بن علي

للإمام العلامة شيخ الإسلام تقي الدين
أبي العباس أحمد بن حنبل تميمي

٦٦١ - ٧٢٨ هـ

تحقيق ودراسة

الدكتور السيد الجميل

الشيخ الفقيه أبو عبد الله (أبو العباس) أحمد بن محمد بن الحسين ابن تيمية الطرقي في القرنين الثامن والتاسع هـ

ولد الإمام العلامة ابن تيمية ^(١) سنة ٦٦١ هـ في أيام الملك الظاهر بيبرس والذي كان حاكماً على مصر والشام آنذاك ، وقد كان من أقوى الملوك المسلمين بعد صلاح الدين الأيوبي .

وقد ولد ابن تيمية بعد تدمير بغداد بخمس سنوات ، ودخل التتار حلب ودمشق قبل مولده بثلاث سنوات فلما شب وكبر وحكى له معاصرو هذه الحملات الضارية الوحشية من التتار ، حتى أن مسقط رأسه (حران) لم تسلم من أذى هؤلاء القوم المجرمين الذين لم يراعوا الله ولا الإنسانية في هذه البلاد الآمنة . وسمع ابن تيمية ورأى وهو صبي أنهار الدماء المسفوك المسفوحة تجري حوله من كل مكان وهو ابن سبع سنين تقريباً في بلدته حران التي نشأت فيها أسرته وبيته .

وفي هذا الجو المشحون بالكمند والإحزن نهض لقيف من العلماء والأئمة الكبار والفقهاء أمثال ابن الصلاح والنووي والعزبن عبد السلام والمزي والذهبي ، كما نبغ في عصر ابن تيمية أيضاً قاضي القضاة كمال الدين

(١) راجع ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية في ثوات الوفيات (٣٥/١ - ٤٥) والدرر الكامنة (١٤٤/١) والبداية والنهاية (١٣٥/١٤) وابن الوردي (٢٨٤/٢) وآداب اللغة (٢٤٣/٣) والنجوم الزاهرة (٢٧١/٩) وتهذيب ابن عساكر (٢٨/٢) ودائرة المعارف الإسلامية (١٠٩/١)

الزملكاني ، والقزويني والسبكي وابن حيان التوحيدي . ورغم وجود هؤلاء العلماء الأفاضل إلا أن العلم كان متسماً بالبساطة والسطحية وقلة التعمق في المسائل الفقهية والشرعية .

واتسم الفقه آنئذ بالجمود والتحجر وليس ثمة أضرار على الإسلام والمسلمين من تحجر الفكر وجمود القرائح وهذا ما حدث إبان الحروب التتارية والصليبية في عصر ابن تيمية .

وإذا احتدمت الحروب لجأ الناس إلى الدين ، وما أضر الناس ولا أضر المسلمين مثل القضايا الجدلية والمسائل الكلامية والفلسفة السفسطائية التي تظهر فصاحة وبياناً وتضمير جهلاً مشيناً بحقائق الدين وفطرته الجميلة .

وقد كانت أسرة العلامة الفقيه الحافظ ابن تيمية أسرة علم وفضل على مذهب الإمام أحمد بن حنبل بل كانت زعيمة للمذهب الحنبلي في تلك الديار إذ كان جده إماماً للمذهب الحنبلي في عصره .

قال الذهبي : - « قال لي شيخ الإسلام ابن تيمية بنفسه أن الشيخ ابن مالك كان يقول : لقد ألان الله الفقه لمجد الدين بن تيمية كما ألان الحديد لداود عليه السلام » ا . هـ .

وقد درس ابن تيمية العلوم المعروفة في عصره وعني عناية خاصة باللغة العربية والنحو والصرف كما اهتم بدارسة الحساب والرياضة والخط وأبدى اهتماماً خاصاً بالفقه وعلم الأصول والحديث والتفسير وعلم الفرائض ، ولعل علم التفسير كان من أحب العلوم وآثرها عند ابن تيمية حتى قيل إنه كان يقرأ في الآية الواحدة نحو مائة تفسير ، تأمل قوله في ذلك : -

« ربما طالعت على الآية الواحدة نحو مائة تفسير ، ثم أسأل الله الفهم وأقول يا معلم آدم وإبراهيم علمني ، وكنت أذهب إلى المساجد المهجورة ونحوها ، وأمرغ وجهي في التراب وأسأل الله وأقول : يا معلم إبراهيم فهمني » ا . هـ .

وقد كان ابن تيمية رحمه الله متوقفاً للذكاء كثير الفطنة سريع الفهم والاستيعاب فقد كان يفتي في أمور الدين وهو ابن الثانية والعشرين من عمره .

ومصنفات ابن تيمية ومؤلفاته تدل على سعة اطلاعه وعمق ثقافته وقوة شخصيته فهو عندما يعرض لمسألة من المسائل أو قضية من القضايا يحشد لك كل البراهين والأدلة العقلية والعلمية ليقوى بها حجته ويؤكد بها رأيه وهو لا ينفك يستشهد بآيات القرآن الكريم في كل ما يتعرض له من أدلة وإثباتات فقهية أو شرعية وهو بذلك لا يترك القارئ حتى يقنعه تماماً بوجهة نظره وصلابة رأيه .

ولا يخفى على أحد أن ابن تيمية حمل لواء بعث الفكر الإسلامي وتجديد العلوم الشرعية ورفع لواء التوحيد ومحاربة البدع والأهواء والردود العنيفة القوية على الفرق الهالكة التي كادت للإسلام ونقده العنيف المر للفلسفة والميتافيزيقا وعلم الكلام وترجيح منهج الكتاب والسنة وأسلوبها على كل أسلوب ومنهج .

لقد كان ابن تيمية حرباً حامية الوطيس لم يخذل لظاها وما أخبى سعيها على رعونة المبتدعين في عصره إنما كان سيفاً مصلتاً على رقاب الخارجين والمارقين المرجفين .

وقد أورد الحافظ ابن كثير في كتابه التاريخي المشهور (البداية والنهاية) كثيراً من مناظرات ابن تيمية مع فقهاء عصره .

وقد كانت ثمة صراعات شتى بين ابن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزية من ناحية وبين الصوفية من ناحية أخرى وقد شدد على أقطابهم ولا سيما الذين قالوا بالحلول وبالوحدة أمثال محيي الدين بن عربي والحلاج ورماهم بالزندقة والكفر والإلحاد .

ولقاء إخلاصه في دعوته كابد ابن تيمية رحمه الله وعانى من البطش والتعذيب فقد كاد له خصومه وأعداؤه ودخل السجن مرات عديدة ، وقد توفي وهو في السجن رحمه الله وجزاه عن الإسلام خيراً وألحقنا به في دار كرامته . آمين .

السيد الجميلي

جملتنا في فضل الكتاب

- قمنا بتحقيق النصوص من مجموع الفتاوي لابن تيمية وقد تضمنها المجلد السابع والعشرون من ص ٤٥٠ إلى ص ٤٩٠ .
- ناقشنا آراء ابن تيمية وفي حالة عدوله عن الحقيقة - بحسن نية طبعاً - رددنا عليه بآراء العلماء والمؤرخين الكبار الذين أخذ عنهم مثل الطبري والمسعودي وابن عبد ربه والقاضي ابن العربي والإمام القرطبي .
- قمنا بتصويب الأخطاء الإملائية والتصحيقات والتحريفات وشرحنا معاني الألفاظ الغامضة .
- خرجنا الآيات والأحاديث التي أوردها ابن تيمية رحمه الله حتى تكتمل الفائدة ويتيسر النقع ،
- أبدينا رأينا الشخصي في بعض المواضع التي تقتضي ذلك .
- رحم الله ابن تيمية ومن نهج نهجه وحمل لواءه في نصر السنة وقمع البدعة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

* ما تقول السادة العلماء أئمة الدين ، وهداة المسلمين ، رضي الله عنهم أجمعين ، وأعانهم على تحقيق الحق المبين ، وإخماد شَغَبِ المبطلين : في المشهد المنسوب إلى الحسين رضي الله عنه بمدينة القاهرة : هل هو صحيح أم لا ؟

وهل نُحْمَلُ رأس الحسين إلى دمشق ، ثم إلى مصر ، أم نُحْمَلُ إلى المدينة من جهة العراق ؟ .

وهل لما يذكره بعض الناس من جهة المشهد الذي كان بعسقلان من صحة أم لا ؟ .

وَمَنْ ذكر أمر رأس الحسين ، ونقله إلى المدينة النبوية دون الشام ومصر ؟ .

وَمَنْ جزم من العلماء المتقدمين والمتأخرين بأن مشهد عَسْقَلَانَ ومشهد القاهرة مكذوب ، وليس بصحيح ؟

وليستوا القول في ذلك ، لأجل ميسر الضرورة والحاجة إليه ، مشايين مأجورين إن شاء الله تعالى .

المجلد الرابع بسم الله الرحمن الرحيم المحمدية

* بل المشهد المنسوب إلى الحسين بن عليّ - رضي الله عنهما - الذي بالقاهرة كذب مختلق ، بلا نزاع بين العلماء المعروفين عند أهل العلم ، الذين يرجع إليهم المسلمون في مثل ذلك ، لعلمهم وصدقهم . ولا يعرف عن عالم مسمى معروف بعلم وصدق أنه قال : إن هذا المشهد صحيح . وإنما يذكره بعض الناس قولاً عمن لا يعرف ، على عادة من يحكي من مقالات الرافضة (١) وأمثالهم من أهل الكذب .

* فإنهم ينقلون أحاديث وحكايات ، ويذكرون مذاهب ومقالات . وإذا

(١) ومن الروافض السبئية الذين أظهروا بدعتهم في زمان علي رضي الله عنه ، فقال بعضهم لعل أنت الإله ، فأحرق على قوماً منهم ، ونفى زعيمهم عبد الله بن سبأ إلى ساباط المدائن ، وهذه ليست فرقة إسلامية لأنهم قالوا أن علياً إله .

ثم افرقت الرافضة - بعد زمان علي رضي الله عنه أربعة أصناف : زيدية وإمامية ، وكيسانية وغلاة ، وافرقت الزيدية فرقاً والامامية فرقاً ، والغلاة فرقاً ، وكل فرقة تكفر سائرهما ، وجميع فرق الغلاة خارجون عن فرق الاسلام ، وقد جعل البغدادي فرقة الزيدية من الرافضة ، مع أن الزيدية أتباع زبدين على الباقيين على اتباع والرافضة هم الذين كانوا معه ثم تركوه .

راجع الفرق بين الفرق للبغدادي بتحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ص ٢١ بتصرف ط . دار المعرفة بلبان ، ومقالات الاسلاميين (١٢٩/١) ومروج الذهب للمسعودي (٢٢٠/٣) ط . دار المعرفة أيضاً . وعن الكيسانية أرجو مراجعة مروج الذهب (٨٧/٣) وعن الامامة تحدث المسعودي أيضاً (٢٣٦/٣) فراجع .

طالبتهن بمن قال ذلك ونقله ؟ لم يكن لهم عصمة يرجعون إليها . ولم يسموا أحداً معروفاً بالصدق في نقله ، ولا بالعلم في قوله . بل غاية ما يعتمدون عليه أن يقولوا : أجمعت طائفة الحق . وهم عند أنفسهم الطائفة الحقّة ؛ الذين هم عند أنفسهم المؤمنون ، وسائر الأمة كفار .

* ويقولون : إنما كانوا على الحق لأن فيهم الإمام المعصوم ، والمعصوم عند الرافضة الإمامية الاثني عشرية ^(١) : هو الذي يزعمون أنه دخل سرداب سامراً بعد موت أبيه الحسن بن علي العسكري ، سنة ستين ومائتين . وهو إلى الآن لم يعرف له خبر ، ولا وقع له أحد على عين ولا أثر .

* وأهل العلم بأنساب أهل البيت ^(٢) يقولون : إن الحسن بن عليّ العسكري لم يكن له نسل ولا عقب . ولا ريب أن العقلاء كلهم لا يعدون مثل هذا القول .

واعتقاد الإمامة والعصمة في مثل هذا : مما لا يرضاه لنفسه إلا من هو أسفه الناس ، وأضلهم وأجهلهم . وبسط الرد عليهم له موضع غير هذا ^(٣) .

* والمقصود هنا : بيان جنس المقولات والمنقولات عند أهل الجهل والضلالات .

فإن هذا المنتظر عند الجهال الضلال : يزعمون أنه عند موت أبيه . كان عمره إما ستين ، أو ثلاثاً ، أو خمساً ، على اختلاف بينهم في ذلك .

* وقد عُلم بنص القرآن والسنة المتواترة ، وجماع ^(٤) الأمة : أن مثل هذا يجب أن يكون تحت ولاية غيره في نفسه وماله . فتكون نفسه محضونة مكفولة لمن

(١) والامامية خمس عشرة فرقة منها الاثنا عشرية .

راجع الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٣ بتصرف .

(٢) مثل الزبير بن بكار نسابة قريش .

(٣) راجع كتابه (منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية) .

(٤) كذا ورد بالأصل ولعل الأصوب (إجماع)

يستحق كفالته الشرعية ، تحت من يستحق النظر في ماله من وصى أو غيره .
وهو قبل السبع لا يؤمر بالصلاة . فإذا بلغ السبع أمر بها ، فإذا بلغ العشر ولم
يصل أدب على فعلها . فكيف يكون مثل هذا إماماً معصوماً ، يعلم جميع
الدين ؟ ولا يدخل الجنة إلا من يؤمن به ؟ !

• ثم بتقدير وجوده ، وإمامته وعصمته ، إنما يجب على الخلق أن يطيعوا
من يأمرهم بما أمرهم الله به ورسوله ، وينهاهم عما نهاهم عنه الله ورسوله ، فإذا
لم يروه ولم يسمعوا كلامه ، لم يكن لهم طريق إلى العلم بما يأمر به وما ينهى
عنه ، فلا يجوز تكليفهم طاعته ، إذ لم يأمرهم بشيء ، وطاعة من لا يأمر ،
ممتنعة لذاتها . وإن قدر أنه يأمر ، ولم يصل إليهم أمره ، ولا يتمكنون من العلم
بذلك ، كانوا عاجزين غير مطبقين لمعرفة ما أمروا به ، والتمكن من العلم شرط
في الأمر ، لا سيما عند الشيعة المتأخرين ، فإنهم من أشد الناس منعاً لتكليف ما
لا يطاق ، لموافقتهم المعتزلة في القدر والصفات أيضاً .

• وإن قيل : إن ذلك بسبب ذنوبهم ، لأنهم أخافوه أن يظهر .

قيل : هب أن أعداءه أخافوه ، فأبي ذنب لأوليائه ومحبيه ، وأي منفعة
لهم من الإيمان به ، وهو لا يعلمهم شيئاً ولا يأمرهم بشيء ؟

ثم كيف جاز له - مع وجوب الدعوة عليه - أن يغيب هذه الغيبة التي لها
الآن (١) أكثر من أربعمائة وخمسين سنة .

• وما الذي يسوغ له هذه الغيبة ، دون آبائهم الموجودين قبل موتهم :
كعليّ ، والحسن ، والحسين ، وعلي بن الحسين ، ومحمد بن عليّ ، وجعفر بن
محمد ، وموسى بن جعفر ، وعلي بن موسى ، ومحمد بن علي ، وعلي بن محمد ،
والحسين بن علي العسكري ؟ !

• فإن هؤلاء كانوا موجودين يجتمعون بالناس وقد أخذ عن عليّ

(١) الآن أي عصر ابن تيمية رحمه الله المتوفي سنة ٧٢٨ هـ ومن هذه الغيبة إلى عصرنا هذا ١١٣٧
سنة هـ .

والحسين ، وعلي بن الحسين ، ومحمد بن علي ، وجعفر بن محمد - من العلم ما هو معروف عند أهله ، والباقون لهم سيرة معروفة ، وأخبار مكشوفة .

* فما باله استحل هذا الاختفاء هذه المدة الطويلة أكثر من أربعمائة سنة ، وهو إمام الأمة ، بل هو على زعمهم ، هاديا وداعيا ومعضوما ، الذي يجب عليها الإيمان به . ومن لم يؤمن به فليس بمؤمن عندهم ؟

فإن قالوا : الخوف .

قيل : الخوف على آبائه كان أشد ، بلا نزاع بين العلماء ، وقد حبس بعضهم .

ثم الخوف إنما يكون إذا حارب . فأما إذا فعل كما كان يفعل سلفه من الجلوس مع المسلمين وتعليمهم لم يكن عليه خوف .

* وبيان ضلال هؤلاء طويل .

وإنما المقصود بيانه هنا : أنهم يجعلون هذا أصل دينهم .

ثم يقولون : إذا اختلفت الطائفة الحققة على قولين ، وأحدهما يُعرف قائله ، والآخر ، لا يعرف قائله ، كان القول الذي لا يعرف قائله الحق ، وهكذا وجدته في كتب شيوخهم ، وعلموا ذلك ، بأن القول لا يعرف هو قائله يكون من قائله الإمام المعصوم ، وهذا نهاية الجهل والضلال .

* وهكذا ما ينقلونه من هذا الباب ، ينقلون سيرا وحكايات وأحاديث ، إذا ما طالبتهم بإسنادها ، لم يحلوك على رجل معروف بالصدق ، بل حَسَبُ أحدهم أن يكون سمع ذلك من آخر مثله ، أو قرأه في كتاب ليس فيه إسناد معروف ، وإن سموا أحداً : كان من المشهورين بالكذب والبهتان . لا يتصور قط أن ينقلوا شيئاً مما لا يعرفه علماء السنة إلا عن مجهول لا يعرف ، أو عن معروف بالكذب .

* ومن هذا الباب نقل الناقل : أن هذا مشهد الحسين رضي الله عنه ، بل وكذلك مشاهير غير هذا مضافة إلى الحسين ، بل ومشاهد مضافة إلى قبر

الحسين رضي الله عنه ، فإنه باتفاق الناس : أن هذا المشهد بني عام بضع وأربعين وخمسمائة وأنه نقل من مشهد بعسقلان ! وأن ذلك المشهد - بعسقلان - كان قد أحدث بعد التسعين وأربعمائة .

* فأصل هذا المشهد القاهري : هو ذلك المشهد العسقلاني . وذلك العسقلاني محدث بعد مقتل الحسين بأكثر من أربعمائة وثلاثين سنة ، وهذا بعد مقتله بقریب من خمسمائة سنة ، وهذا مما لم يتنازع فيه اثنان ممن تكلم في هذا الباب من أهل العلم ، على اختلاف أصنافهم - كأهل الحديث ، ومصنفي أخبار القاهرة ، ومصنفي التواريخ ، وما نقله أهل العلم طبقة عن طبقة ^(١) . وهذا بينهم مشهور متواتر ، سواء قيل : إن إضافته إلى الحسين صدق أو كذب - لم يتنازعوا أنه نقل من عسقلان في أواخر الدولة العبيدية .

* وإذا كان أصل هذا المشهد القاهري هو ما نقل عن ذلك المشهد العسقلاني باتفاق الناس وبالنقل المتواتر ، فمن المعلوم أن قول القائل : إن ذلك الذي بعسقلان هو مبنى على رأس الحسين رضي الله عنه : قول بلا حجة أصلاً . فإن هذا لم ينقله أحد من أهل العلم الذين من شأنهم نقل هذا لا من أهل الحديث . ولا من علماء الأخبار والتواريخ ، ولا من العلماء المصنفين في النسب : نسب قريش أو نسب بني هاشم ونحوه .

* وذلك المشهد العسقلاني : أحدث في آخر المائة الخامسة ، لم يكن قديماً ، ولا كان هناك مكان قبله ، أو نحوه مضافاً إلى الحسين ، ولا حجر منقوش ولا نحوه مما يقال ، إنه علامة على ذلك .

* فتبين بذلك : أن إضافة المضيف مثل هذا إلى الحسين قول بلا علم أصلاً . وليس مع قائل ذلك ما يصلح أن يكون معتمداً ، لا نقل صحيح ولا ضعيف ، بل لا فرق بين ذلك وبين أن يجيء الرجل إلى بعض القبور التي

(١) يقول القرطبي في التذكرة (٢ / ٦٦٨) : « والامامية تقول إن الرأس أعيد إلى الجثة بكريلاء بعد أربعين يوماً من القتل ، وهو يوم معروف عندهم يسمون الزيادة فيه زيادة الأربعين ، وما ذكر أنه في عسقلان في مشهد هناك أو بالقاهرة فشيء باطل لا يصح ولا يثبت » م ه .

بأمصار المسلمين ، فيدّعى أن في واحد منها رأس الحسين أو يدّعى أنه قبر نبي من الأنبياء ، أو نحو ذلك مما يدّعيه كثير من أهل الكذب والضلال .

* ومن المعلوم أن مثل هذا القول غير مقبول باتفاق المسلمين .

* وغالب ما يستند إليه الواحد من هؤلاء : أن يدعى أنه رأى مناماً ، أو أنه وجد بذلك القبر علامة تدل على صلاح ساكنه : إما رائحة طيبة ، وإما خرق عادة ونحو ذلك ، وإما حكاية عن بعض الناس : أنه كان يعظم ذلك القبر .

* فأما المنامات فكثير منها ، بل أكثرها كذب ، وقد عرفنا في زماننا بمصر والشام والعراق من يدّعى أنه رأى منامات تتعلق ببعض البقاع إنه قبر نبي ، أو أن فيه أثر نبي ، ونحو ذلك ، ويكون كاذباً . وهذا الشيء منتشر .

* فرائي المنام قد يكون كاذباً ، وبتقدير صدقه : فقد يكون الذي أخبره بذلك شيطاناً .

* والرؤيا المحضة التي لا دليل يدل على صحتها لا يجوز أن يثبت بها شيء بالاتفاق ، فإنه قد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : « الرؤيا ثلاثة : رؤيا من الله ، ورؤيا مما يحدث به المرء نفسه ، ورؤيا من الشيطان » (١) .

(١) قال تعالى : « لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة » قالوا إنها الرؤيا الصادقة يراها المؤمن أو ترى له .

أما الرؤيا التي تنجم عن حديث المرء نفسه فهذه ترجع إلى اضطرابات نفسية ينطلق فيها اللاشعور بالبرغبات المكبوتة فيرى الحالم أمنيته الشاقة التي لم تتحقق في البقطة يراها تتحقق في المنام .

أما رؤيا الشياطين وهي الأحلام فقد ورد فيها قوله تعالى : « قالوا أضفأت أحلام ، وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين » يوسف (٤٤/١٢) وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ أتاه رجل فقال يا رسول الله رأيت كأن رأسي قطع وأنا أتبعه ، فقال لا تتحدث بتلاعب الشيطان بك في المنام . راجع تعطير الأنام في تعبير المنام للنابلسي طبعة الحلبي (٤/١)

* فإذا كان جنس الرؤيا تحته أنواع ثلاثة ، فلا بد من تمييز نوع منها من نوع .

* ومن الناس - حتى من الشيوخ الذين لهم علم وزهد - من يجعل مستنده في مثل ذلك : حكاية يحكيها عن مجهول . حتى يقول : حدثني أخي الخضر أن قبر الحسين بمكان كذا وكذا - ومن المعلوم الذي بيناه في غير هذا الموضوع أن الخضر قد مات ^(١) - أو رأى شخصاً يقول : إني الخضر ، أو ظن الرائي أنه الخضر ، إن كل ذلك لا يجوز .

* وأما ما يذكر من وجود رائحة طيبة ، أو خرق عادة أو نحو ذلك يتعلق بالقبر : فهذا لا يدل على تعيينه ، وأنه فلان أو فلان ، بل غاية ما يدل عليه - إذا ثبت - أن ذلك دليل على صلاحه ، وأنه قبر رجل صالح أو نبي ^(٢) .

* وقد تكون تلك الرائحة مما صنعه بعض المتكسبين من القبر ، فإن هذا مما يفعله هؤلاء ، كما حدثني بعض أصحابنا : أنه ظهر بشاطيء الفرات رجلان ، كان عند أحدهما قبر تحيي عليه أموال ممن يزوره وينذر له من الضلال ، فعمد الآخر إلى قبر - زعم أنه رأى في المنام أنه قبر عبد الرحمن بن عوف - وجعل فيه من أنواع الطيب ما ظهرت له رائحة عظيمة .

* وقد حدثني جيران القبر الذي بجبل لبنان بالبقاع - الذي يقال إنه قبر نوح - وكان قد ظهر قريباً في أثناء المائة السابعة ، وأصله : أنهم شُمُوا من القبر

(١) والخضر عليه السلام قد مات بنص القرآن القطعي لقوله تعالى :

وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ، الأنبياء (٣٤/٢١) وأرجو أن تراجع تفسير هذه الآية في الجامع لأحكام القرآن (٢٨٣/١١) ط. دار الكتب ، زاد المسير (٣٤٨/٥) ومختصر ابن كثير (٥٠٧/٢) .

وتقول بعض الفرق المالكة إن الخضر لم يميت وأنهم يرونه عياناً ويتحدثون إليه ويتحدث إليهم ويستمدون منه أصول التشريع ويطمئنهم على معتقداتهم ، تلك كلها ضلالات شيطانية يا عزيزي القارئ فلا تتوقف عندها . لأن الخضر مات كأي بشر ، وهو ليس أفضل من رسول الله ﷺ وهو صاحب كل فضل وفضيلة وكان أولى بالخلود من الخضر وغيره .

(٢) وقبر سيدنا رسول الله ﷺ هو القبر النبوي الوحيد الذي اتفق عليه بالاجماع وما سواه من قبور الأنبياء لم يحصل عليه الاجماع مثله .

رائحة طيبة ووجدوا عظماً كبيرة ، فقالوا : هذه تدل على كبر خلق الجنة فقالوا - بطريق الظن - هذا قبر نوح ، وكان بالبقعة موق كثيرون من جنس ذلك الميت ^(١) .

* وكذلك هذا المشهد العسقلاني قد ذكر طائفة : أنه قبر بعض الحواريين أو غيرهم من أتباع عيسى بن مريم .

* وقد يوجد عند قبور الوثنيين أشياء من جنس ما يوجد عند قبور المؤمنين من أمتنا ، بل يزعم الزاعم أنه قبر الحسين ظناً وتحرصاً .

* وكان من الشيوخ المشهورين بالعلم والدين بالقاهرة من ذكروا عنه أنه قال : هو قبر نصراني .

* وكذلك بدمشق بالجانب الشرقي مشهد يقال : إنه قبر أبي بن كعب . وقد اتفق أهل العلم على أن أبياً لم يقدم دمشق ، وإنما مات بالمدينة ، فكان بعض الناس يقولون : إنه قبر نصراني ، وهذا غير مستبعد . فإن اليهود والنصارى هم أئمة في ^(٢) تعظيم القبور والمشاهد ، ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه : « لعن الله اليهود والنصارى : اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، يحذر ما فعلوا » ^(٣) .

(١) ومنذ فترة يسيرة طالعنا الصحف والمجلات بخبر عن اكتشاف علمي صارخ وهو العثور على مومياء يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام وأخذت وسائل الاعلام تروج لهذه الأساطير التي تفتقد الدليل العلمي والديني القوي الذي يوثقها بل وتفتقر الى المنطق السوي المستقيم ، قلت : لا حول ولا قوة إلا بالله ، في القرن العشرين ولا زلنا موضع سخرية من الواقع الليم ، خرافات وأساطير تفرخ وتطير في كل ناحية من غير دليل أو برهان أو سند من علم أو فقه أو كتاب أو سنة .

(٢) تأمل شيخ الاسلام ابن تيمية وهو يسخر منهم بقوله (هم الأئمة في تعظيم القبور والمشاهد) رحمه الله وجعلنا به في دار كرامته .

(٣) فقد روى عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم كشفها عن وجهه وهو يقول : - « لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، تقول عائشة : يحذر مثل الذي صنعوا » والحديث رواه البخاري (٤٢٢/١) ، (٣٨٦/٦) و (١١٦/٨) ومسلم (٦٧/٢) والنسائي (١١٥/١) والدارمي (٣٢٦/١) وأحمد (٢١٨/١) و (٣٤/٦) .

* والنصارى أشد غلوّاً في ذلك من اليهود كما في الصحيحين : «أن النبي ﷺ ذكرت له أم حبيبة وأم سلمة رضي الله عنهما كنيسة فحارّض الحبشة ، وذكرنا من حسنهما وتصاوير فيها . فقال : إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح ، فمات بنوا على قبره مسجداً ، وصوّروا فيه تلك التصاوير ، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة » .

* والنصارى كثيراً ما يعظمون آثار القديسين منهم . فلا يستبعد أنهم ألّقوا إلى بعض جهال المسلمين أن هذا قبر بعض من يعظمه المسلمون ، ليوافقوهم على تعظيمه .

* كيف لا ؟ وهم قد أضلّوا كثيراً من جهال المسلمين حتى صاروا يُعَمِّدون أولادهم ، ويزعمون أن ذلك يوجب طول العمر للولد ^(١) ، وحتى جعلوهم يزورون ما يعظمونه من الكنائس والبُيع ، حتى صار كثير من جهال المسلمين ينذرون للمواضع التي يعظمها النصارى ، كما قد صار كثير من جهالهم يزورون كنائس النصارى ، ويلتمسون البركة من قسيسيهم ورهبانهم ونحوهم .

* والذين يعظمون القبور والمشاهد : لهم شبه شديد بالنصارى ، حتى أنه لما قدمت القاهرة اجتمع بي بعض فضلاء الرهبان ، وناظرني في المسيح ودين النصارى ، حتى بيّنت له فساد ذلك ، وأجبتة عما يدّعيه من الحجة ، وبلغني بعد ذلك أنه صنّف كتاباً في الرد على المسلمين ، وإبطال نبوة محمد ﷺ ، وأحضره بعض المسلمين ، وجعل يقرؤه عليّ لأجيب عن حجج النصارى وأبين فسادها ^(٢) .

* وكان من أواخر ما خاطبت به النصراني : أن قلت له : أنتم مشركون

(١) ومن دواعي الأسف الشديد أن جهال المسلمين يأخذون بهذه الضلالات والوثنيات فيدخلوا في نطاق الشرك وهو لا يشعرون ، حتى أصبحوا يقلّدون اليهود والنصارى في طقوسهم الوثنية .
(٢) راجع كتاب (الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح) لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله في الرد على أوهام وأغلاط النصارى وكشف ما هم فيه من زيف وضلال .

وبينت من شركهم ما عليه من العكوف على التماثيل والقبور وعبادتها ،
والاستغاثة بها .

فقال لي : نحن ما نشرك بهم ونعبدهم : وإنما نتوسل بهم ، كما يفعل
المسلمون إذا جاءوا إلى قبر الرجل الصالح ، فيتعلقون بالشباك الذي عليه ونحو
ذلك .

* فقلت له : وهذا أيضاً من الشرك ، وليس هذا من المسلمين ، وإن
فعله الجهال ؟ فأقر أنه شرك ، حتى أن قسيساً كان حاضراً في هذه المسألة ، فلما
قرأها قال : نعم ، على هذا التقدير : نحن مشركون .

* وكان بعض النصارى يقول لبعض المسلمين : لنا سيد وسيدة ، ولكم
سيد وسيدة ، لنا السيد المسيح والسيدة مريم ، ولكم السيد حسين والسيدة
نفيسة .

* فالنصارى يفرحون بما يفعله أهل البدع والجهل من المسلمين مما يوافق
دينهم ويشابهونهم فيه ، ويحبون أن يقوى ذلك ويكثر ، ويحبون أن يجعلوا
رهبانهم مثل عباد المسلمين وقسيسهم مثل قضاة المسلمين ، ويضاهؤون
المسلمين ، فإن عقلاءهم لا ينكرون صحة دين الإسلام ، بل يقولون : هذا
طريق إلى الله ، وهذا طريق إلى الله .

* ولهذا يسهل إظهار الإسلام على كثير من المنافقين الذين أسلموا منهم ،
فإن عنده : أن المسلمين والنصارى كأهل المذاهب من المسلمين ، بل يسمون
الملل مذاهب ، ومعلوم أن أهل المذاهب - كالحنفية والمالكية والشافعية
والحنبلية - دينهم واحد . وكل من أطاع الله ورسوله منهم بحسب وسعه كان
مؤمناً سعيداً باتفاق المسلمين .

* فإذا اعتقد النصارى مثل هذا من الملل يبقى انتقال أحدهم عن ملته
كانتقال الإنسان من مذهب إلى مذهب . وهذا كثيراً ما يفعله الناس لرغبة أو

رهبة . فإذا بقي أقاربه وأصدقائه على المذهب الأول لم ينكر ذلك ، بل يحبهم ويودهم في الباطن . لأن المذهب كالوطن ، والنفس تحنّ إلى الوطن ، إذا لم تعتقد أن المقام به محرم .

* فلهذا يوجد كثير ممن أظهر الإسلام من أهل الكتاب لا يفرق بين المسلمين وأهل الكتاب .

* ثم منهم من يميل إلى المسلمين أكثر ، ومنهم من يميل إلى ما كان عليه أكثر . ومنهم من يميل إلى أولئك من جهة الطبع والعادة ، أو من جهة الجنس والقربة والبلد ، والمعاونة على المقاصد . ونحو ذلك .

* وهذا كما أن الفلاسفة ومن سلك سبيلهم من القرامطة^(١) والاتحادية^(٢) ونحوهم ، يجوز عندهم أن يتدين الرجل بدين المسلمين واليهود والنصارى .

ومعلوم أن هذا كله كفر باتفاق المسلمين .

* فمن لم يقرّ باطنياً وظاهراً بأن الله لا يقبل ديناً سوى الإسلام^(٣) ،

(١) والقرامطة إسم شهرة للإسماعيلية وسموا بالباطنية ، لأنهم قالوا أن لكل ظاهر باطناً ولكل تنزيل تأويلاً ، ولهم أتعاب كثيرة سوى هذه على لسان قوم قوم :
فبالعراق يسمون الباطنية والقرامطة والمزدكية ، وبخراسان يسمون التعليمية والملحدة ، وهم يقولون نحن الإسماعيلية لأننا تميزنا عن فرق الشيعة بهذا الإسم .
راجع الملل والنحل للشهرستاني (١/١٩٢) ط . الحلبي

والباطنية درجات في دعوتهم . راجع الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٣٠١ .
(٢) الإتحادية : وهي فرقة هالكة خرجت على السنة والجماعة وفحوى دعوتها الزندقية أن المخلوق اتحد بالخالق فأصبح الإثنين ذاتاً واحدة فالخالق عندهم والمخلوق سواء ، كذلك القائلين بالحللول مثل محمى الدين بن عربي صاحب الفتوحات المكية الذي قال أن الله روحه حلت في كل الموجودات وكلا الحلوليين والاتحاديين زنادقة كفر لتأويلاتهم وشطحاتهم وقد كفرهم ابن تيمية وابن القيم وابن الجوزي وعلماء السلف الغيورين على عقيدة التوحيد .
راجع في الحلولية التبصير (ص ٧٧) والفرق بين الفرق (ص ٢٥٩)
(٣) لقوله تعالى في صريح النص القرآني : - « إن الدين عند الله الإسلام » آل عمران (١٩/٣) كذلك لقوله : - « ومن يتبغ غير الإسلام ديناً قلن يقبل منه » آل عمران (٨٥/٣) راجع تفسير الطبري . (٥٧٥/٦)

فليس بمسلم .

* ومن لم يقرّ بأن بعد مبعث محمد ﷺ ليس مسلم إلا من آمن به واتبعه باطناً وظاهراً^(١) ، فليس بمسلم . ومن لم يحرم التدنّ - بعد مبعثه ﷺ - بدين اليهود والنصارى ، بل من لم يكفرهم ويبغضهم فليس بمسلم باتفاق المسلمين .

والمقصود هنا : أن النصارى يحبون أن يكون للمسلمين ما يشابهونهم به ليقوي بذلك دينهم ، ولئلا ينفر المسلمون من دينهم .

* ولهذا جاءت الشريعة الإسلامية بمخالفة اليهود والنصارى ، كما قد بسطناه في كتاب : (اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم) .

وقد حصل للنصارى من الجهال كثير من مطلوبهم ، لا سيما من الغلاة من الشيعة ، وجهال النساك والغلاة في المشايخ ؛ فإن فيهم شبيهاً قوياً بالنصارى في الغلو ، والبدع في العبادات ونحو ذلك ، فلهذا يلبسون على المسلمين في مقابر تكون من قبورهم ، حتى يتوهم الجهال أنها من قبور صالحى المسلمين .

وإذا كان ذلك المشهد العسقلاني قد قال طائفة : إنه قبر بعض النصارى أو بعض الخواريين - وليس معنا ما يدل أنه قبر مسلم - فضلاً عن أن يكون قبراً لرأس الحسين - كان قول من قال : إنه قبر مسلم - الحسين أو غيره - قولاً مردوداً على قائله .

فهذا كاف في المنع من أن يقال : هذا مشهد الحسين .

(١) والبعض الصوفيون هم الذين جعلوا للقرآن ظاهراً وباطناً وقالوا أن العلماء والفقهاء هم أهل الظاهر أما الصوفية فهم أهل الأسرار وأهل الباطن

فصل

* ثم نقول : بل نحن نعلم ونجزم بأنه ليس رأس الحسين ، ولا كان ذلك المشهد العسقلاني مشهداً للحسين ، من وجوه متعددة .

* منها : أنه لو كان رأس الحسين هناك لم يتأخر كشفه وإظهاره إلى ما بعد مقتل الحسين بأكثر من أربعمئة سنة ، ودولة بني أمية انقضت قبل ظهور ذلك بأكثر من ثلاثمئة وبضع وخمسين سنة . وقد جاءت خلافة بني العباس وظهر في أثنائها من المشاهد بالعراق وغير العراق ما كان كثير منها كذباً . وكانوا عند مقتل الحسين بكر بلاء قد بنوا هنالك مشهداً . وكان يومه أمراء عظماء . حتى أنكر ذلك عليهم الأئمة ، وحتى أن المتوكل تقدم فيه بأشياء ، يقال : إنه بالغ في إنكار ذلك ، وزاد على الواجب .

* دع خلافة بني العباس في أوائلها ، وفي حال استقامتها ، فإنهم حينئذ لم يكونوا يعظمون أبداً المشاهد ، سواء كانت صدقاً أو كذباً ، كما حدث فيما بعد . لأن الإسلام كان حينئذ يغد في قوته وعنفوانه . ولم يكن على عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم في بلاد الإسلام - لا الحجاز ، ولا اليمن ولا الشام ، ولا العراق ، ولا مصر ، ولا خراسان ، ولا المغرب - مشهد ، لا على قبر نبي ، ولا صاحب ، ولا أحد من أهل البيت ، ولا صالح أصلاً . بل عامة المشاهد محدثة بعد ذلك .

* وكان ظهورها وانتشارها حين ضعفت خلافة بني العباس ، وتفرقت الأمة وكثرت فيهم الزنادقة المنتسبون إلى الإسلام . وعلت فيهم كلمة أهل البدع . وذلك في دولة المقتدر في أواخر المائة الثالثة ، فإنه إذ ذاك ظهرت القرامطة العبيدية القَدَّاحية ^(١) بأرض الغرب . ثم جاءوا بعد ذلك إلى أرض مصر .

* وقريباً من ذلك : يقال إنه حدثت المكوس ^(٢) في الإسلام .

* وقريباً من ذلك : ظهر بنو بُوَيْه الأعاجم : وكان في كثير منهم زندقة وبدع قوية . وفي دولتهم قوى بنو عبيد القداح بأرض مصر ، وفي دولتهم ظهر المشهد المنسوب إلى علي رضي الله عنه بناحية النجف ، وإلا فقليل ذلك لم يكن أحد يقول : إن قبر علي هناك ، وإنما دفن علي رضي الله عنه بقصر الإمارة بالكوفة ، وإنما ذكروا أنه حكى عن الرشيد . أنه جاء إلى بقعة هناك ، وجعل يعتذر إلى المدفون فيها ، فقالوا : إنه علي ، وأنه اعتذر إليه مما فعل بولده ، فقالوا : هذا هو قبر علي ، وقد قال قوم : إنه قبر المغيرة بن شعبة ، والكلام عليه مبسوط في غير هذا الموضع .

* فإذا كان بنو بُوَيْه وبنو عبيد - مع ما كان في الطوائف من الغلو في التشيع . حتى إنهم كانوا يظهرون في دولتهم ببغداد يوم عاشوراء من شعار الرافضة ما لم يظهر مثله ، مثل تعليق المسوح على الأبواب ، وإخراج النوائح بالأسواق ، وكان الأمر يفضي إلى قتال تعجز الملوك عن دفعه . وبسبب ذلك خرج الحرقي صاحب المختصر في الفقه من بغداد ، لما ظهر بها سب السلف . وبلغ من أمر القرامطة الذين كانوا بالمشرق ^(٣) في تلك الأوقات : أنهم أخذوا الحجر الأسود ، وبقي معهم مدة ، وأنهم قتلوا الحجاج وألقوهم ببئر زمزم .

(١) والذين جاءوا إلى مصر ولقبوا أنفسهم بالفاطميين نسبة إلى فاطمة الزهراء ، وهي بريئة منهم ، لأنهم كذابون فجار وثنيون أدخلوا الطقوس والرقص والطرب في دولة الإسلام وأحالوا شعائر الدين وعبادته إلى حانات لمعاقرة المنكرات ، وأكثر من عالم مخلص كشف ما هم فيه من زيف وهتان .

(٢) وفي الحديث الشريف (لا يدخل صاحب مكس الجنة) .

(٣) أي بشرق الجزيرة العربية على شاطئ الخليج الفارسي .

* فإذا كان مع هذا لم يظهر حتى مشهد للحسين بعسقلان ، مع العلم بأنه لو كان رأسه بعسقلان لكان المتقدمون أعلم بذلك من المتأخرين ، فإذا كان مع توفر الهمم والدواعي والتمكين والقدرة لم يظهر ذلك ، علم أنه باطل مكذوب مثل من يدعي أنه شريف علوي : وقد علم أنه لم يدع هذا أحد من أجداده ، مع حرصهم على ذلك لو كان صحيحاً ، فإنه بهذا يعلم كذب هذا المدعى ، وبمثل ذلك علمنا كذب من يدعي النص على علي ، أو غير ذلك من الأمور التي تتوفر الهمم والدواعي على نقلها ولم ينقل .

* الوجه الثاني أن الذين جمعوا أخبار الحسين ومقتله - مثل أبي بكر بن أبي الدنيا ، وأبي القاسم البغوي وغيرهما - لم يذكر أحد منهم أن الرأس حمل إلى عسقلان ، ولا إلى القاهرة .

* وقد ذكر نحو ذلك أبو الخطاب بن دحية في كتابه الملقب بالعلم المشهور في فضائل الأيام والشهور ، ! ذكر أن الذين صنفوا في مقتل الحسين أجمعوا على أن الرأس لم يغترب^(١) ، وذكر هذا بعد أن ذكر أن المشهد الذي بالقاهرة كذب مختلق : وأنه لا أصل له ، وبسط القول في ذلك ، كما ذكر في يوم عاشوراء ما يتعلق بذلك .

* الوجه الثالث أن الذي ذكره من يعتمد عليه من العلماء والمؤرخين أن الرأس حمل إلى المدينة^(٢) ودفن عند أخيه .

(١) أي لم يذهب به إلى أمصار غربية عنه .

(٢) يقول القرطبي : - لما ذهب بالرأس إلى يزيد بعث به إلى المدينة فأقدم إليه عدة من موالي بني هاشم وضم إليهم عدة من موالي أبي سفيان ثم بعث بثقل الحسين وجهزهم بكل شيء ولم يدع لهم حاجة بالمدينة إلا أمرهم بها ، وبعث برأس الحسين عليه السلام إلى عمرو بن سعيد بن العاص وهو إذ ذاك عامله على المدينة فقال عمرو وددت أنه لم يبعث به إلى ، ثم أمر عمرو بن سعيد بن العاص برأس الحسين عليه السلام فكفن ودفن بالبقيع عند قبر أمه فاطمة عليها الصلاة والسلام » التذكرة (٦٦٨/٢)

وقد نقل القرطبي هذا الرأي عن العلامة الحافظ أبو العلا الهمداني وهذا ما نظمته إليه وثق فيه . المحقق .

وإن كانت الإمامية تقول إن الرأس أعيد إلى الجثة بكريلاء بعد أربعين يوماً أو إلى عسقلان في مشهد هناك أو في المشهد القاهري المعروف فهذا شيء باطل لا يصح وقد أنكره القرطبي أيضاً =

* ومن المعلوم : أن الزبير بن بكار ، صاحب كتاب الأنساب ، ومحمد ابن سعد كاتب الواقدي ، صاحب الطبقات ، ونحوهما من المعروف بالعلم والثقة والاطلاع : أعلم بهذا الباب ، وأصدق فيما ينقلونه من المجاهيل والكذابين ، وبعض أهل التواريخ الذين لا يوثق بعلمهم ولا أصدقهم ، بل قد يكون الرجل صادقاً ، ولكن لا خبرة له بالأسانيد . حتى يميز بين المقبول والمردود ، أو يكون سبيء الحفظ أو متهماً بالكذب ، أو بالتزويد في الرواية ، كحال كثير من الإخباريين والمؤرخين ، ولا سيما إذا كان مثل أبي مخنف لوط بن يحيى (١) وأمثاله .

* ومعلوم أن الواقدي نفسه خير عند الناس من مثل هشام بن الكلبي وأبيه محمد بن السائب وأمثاله ، وقد علم كلام الناس في الواقدي ، فإن ما يذكره هو وأمثاله يُعتضد به ، ويستأنس به . وأما الاعتماد عليه بمجردة في العلم : فهذا لا يصلح .

* فإذا كان المعتمد عليهم يذكرون أنه دفن بالمدينة ، وقد ذكر غيرهم : أنه إما أنه عاد إلى البدن ، وإما أنه بحلب ، أو بدمشق ، أو نحو ذلك من الأقوال التي لا أصل لها ، ولم يذكر من يعتمد عليه أنه بعسقلان - علم أن ذلك باطل ، إذ يمتنع أن يكون أهل العلم والصدق : على الباطل . وأهل الجهل والكذب : على الحق في الأمور النقلية ، التي تؤخذ عن أهل العلم والصدق ،

= ودفع بطلانه ونحن نؤيده في رأيه .

وابن كثير يؤيد رأى القرطبي فيقول : - « روى محمد بن سعد أن يزيد بعث برأس الحسين إلى عمرو بن سعيد نائب المدينة ، فدفنه عند أمه بالبقيع » ١ . هـ . البداية والنهاية (٢٢١/٨) .
وقد ذكر ابن جرير الطبري أن موضع قتل الحسين بن علي رحمه الله بكر بلاء قد عفى أثره حتى لم يطلع أحد على تعيينه بخبر .
البداية والنهاية . (٢٢١/٨) بتصرف
وقد كان أبو نعيم - الفضل بن دكين - ينكر على من يزعم أنه يعرف قبر الحسين . (السابق) .

(١) ذكره ابن عدى وقال : - (شيعي منحرف)

وقال عنه الحافظ الذهبي في ميزان الاعتدال أنه لوط بن يحيى أبو مخنف وقال فيه : - (أنه لا يوثق به) .

لا عن أهل الجهل والكذب .

* الوجه الرابع الذي ثبت في صحيح البخاري « أن الرأس حمل إلى قدام عبيد الله بن زياد ، وجعل ينكت بالقضيب على ثناياه بحضرة أنس بن مالك »^(١) وفي المسند « أن ذلك كان بحضرة أبي برزة الأسلمي »^(٢) ولكن بعض الناس روى بإسناد منقطع « أن هذا النكت كان بحضرة يزيد بن معاوية » وهذا باطل . فإن أبا برزة ، وأنس بن مالك ، كانا بالعراق ولم يكونا بالشام ، ويزيد بن معاوية كان بالشام ، ولم يكن بالعراق حين مقتل الحسين ، فمن نقل أنه نكت بالقضيب بحضرة هذين قدامه فهو كاذب قطعاً ، كذباً معلوماً بالنقل المتواتر .

* ومعلوم بالنقل المتواتر : أن عبيد الله بن زياد كان هو أمير العراق حين مقتل الحسين ، وقد ثبت بالنقل الصحيح : أنه هو الذي أرسل عمر بن سعد مقدماً على الطائفة التي قاتلت الحسين ، وامتنع عمر من ذلك ، فأرغبه وأرهبه حتى فعل ما فعل^(٣) .

* وقد ذكر المصنفون من أهل العلم بالأسانيد المقبولة : أنه لما كتب أهل العراق إلى الحسين ، وهو بالحجاز : أن يقدم عليهم ، وقالوا : إنه قد أميتت السنة ، وأحييت البدعة . وأنه ، وأنه ، حتى يقال : إنهم أرسلوا إليه كتباً ملء صندوق وأكثر ، وأنه أشار عليه الأحناء الأتباء . فإنه كما قيل :

وما كل ذي لب بمؤتيك نصحه وما كل مؤت نصحه بلبيب

* فقد أشار عليه مثل عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وغيرهما

(١) راجع التفاصيل في التذكرة للقرطبي (٢/٦٦٦ ، ٦٦٧) نقلاً عن صحيح البخاري .

(٢) ولكن الإمام الطبري يقول أن يزيد بن معاوية هو الذي نكت بالقضيب في وجود أبي برزة الأسلمي .

راجع تاريخ الطبري (٤/٣٥٦)

ونفس القول يؤيده المسعودي في مروج الذهب ومعادن الجوهر (٣/٧٠ ، ٧١)

(٣) راجع البداية والنهاية (٨/١٧٠) والإصابة (٢/١٧)

بأن لا يذهب إليهم . وبذلك كان قد وصّاه أخوه الحسن : واتفقت كلمتهم على أن هذا لا مصلحة فيه ، وأن هؤلاء يُكذّبونه ويخدّلونه ، إذ هم أسرع الناس إلى فتنه ، وأعجزهم فيها ، وأن أباه كان أفضل منه وأطوع في الناس ، وجهور الناس معه . ومع هذا فكان فيهم من الخلاف عليه والخذلان له ما الله به عليم . حتى صار يطلب السلم بعد أن كان يدعو إلى الحرب . وما مات إلا وقد كرههم كراهة الله بها عظيم . وقد دعا عليهم وتبرّم بهم .

* فلما ذهب الحسين رضي الله عنه ، وأرسل ابن عمّه عقيل ^(١) إليهم ، وتابعه طائفة . ثم لما قدم عبيد الله بن زياد الكوفة ، قاموا مع ابن زياد ، وقتل عقيل وغيرهما . فبلغ الحسين ذلك ، فأراد الرجوع ، فوافه سرية عمر بن سعد ، وطلبوا منه أن يستأسرهم ، فأبى ، وطلب أن يردوه إلى يزيد ابن عمه ، حتى يضع يده في يده ، أو يرجع من حيث جاء ، أو يلحق ببعض الثغور ، فامتنعوا من إجابته إلى ذلك ، بغياً وظلماً وعدواناً . وكان من أشدهم تحريضاً عليه : شمر بن الجوشن ^(٢) . ولحق بالحسين طائفة منهم ، ووقع القتل حتى أكرم الله الحسين ومن أكرمه من أهل بيته بالشهادة ، رضي الله عنهم وأرضاهم . وأهان بالبغي والظلم والعدوان من أهانه بما انتهكه من حرمتهم ، واستحلّه من دمائهم ﴿ وَمَنْ يَنْهَ اللَّهَ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ ، إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ ^(٣) وكان ذلك من نعمة الله على الحسين ، وكرامته له ، لينال منازل الشهداء ، حيث لم يحصل له من أول الإسلام من الابتلاء والامتحان ما حصل لسائر أهل بيته ، كجده ﷺ ، وأبيه وعمه ، وعم أبيه رضي الله عنهم . فإن بني هاشم أفضل قریش ، وقریشاً أفضل العرب ، والعرب أفضل بني آدم ، كما صح ذلك عن النبي ﷺ ، قوله في الحديث الصحيح : « إن الله اصطفى

(١) مسلم بن عقيل : وهو رسول الحسين إلى عبيد الله بن زياد وقتله ابن زياد وكان أول رسول مبعوث يقتل في الإسلام .

(٢) وشمر بن ذي الجوشن كان أبرص قبحه الله ولعنه ، وكان معروفاً بشدة عدائه وسخيمته على أهل البيت .

(٣) الحج (٢٢/١٨)

بني إسماعيل ، واصطفي كنانة من بني إسماعيل ، واصطفي قريشاً من كنانة ، واصطفي بني هاشم من قريش .

* وفي صحيح مسلم عنه أنه قال يوم غدیر خُم : « أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي » .

* وفي السنن : « أنه شكّا إليه العباس : أن بعض قريش يحقرونهم ، فقال : والذي نفسي بيده لا يدخلون الجنة حتى يحبّوكم الله ولقرايتي » .

* وإذا كانوا أفضل الخلائق فلا ريب أن أعمالهم أفضل الأعمال ^(١) .

* وكان أفضلهم رسول الله ﷺ ، الذي لا عدل ^(٢) له من البشر ، ففاضلهم أفضل من كل فاضل من سائر قبائل قريش والعرب ، بل وبني إسرائيل وغيرهم .

* ثم عليّ وحمة وجعفر وعبيدة بن الحارث : هم من السابقين الأولين من المهاجرين . فهم أفضل من الطبقة الثانية من سائر القبائل . ولهذا لما كان يوم بدر أمرهم النبي ﷺ بالمبارزة لما برز عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة . فقال النبي ﷺ : « قم يا حمزة . قم يا عبيدة . قم يا عليّ » فبرز إلى الثلاثة ثلاثة من بني هاشم

* وقد ثبت في الصحيح : أن فيهم نزل قوله : ﴿ هَٰذَا نَخَصِمَانِ اِخْتَصِمُوا فِي رَبِّهِمْ - الآية ﴾ ^(٣) . وإن كان في الآية عموم .

* ولما كان الحسن والحسين سيّدَي شباب أهل الجنة ، وكانا قد ولدا بعد الهجرة في عز الإسلام ، ولم ينلها من الأذى والبلاء ما نال سلفهما الطيب ،

(١) قال تعالى : - (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد) هود (١١/٧٣)

ومعنى الآية : أي رحمكم الله وبارك فيكم يا أهل بيت إبراهيم . الصابوني (١٢/٦٢٠)

(٢) العدل : الند والنظير .

(٣) الحج (٢٢/١٩) راجع تفسير القرطبي (١٢/٢٦) لهذه الآية ، والفخر الرازي الكبير

(٢٣/٢٢) وصفوة التفاسير (١٧/٨٨٢)

فأكرمهما الله بما أكرمهما به من الابتلاء ، ليرفع درجاتهما . وذلك من كرامتهما عليه لا من هوانها عنده ، كما أكرم حمزة وعلياً وجعفرأ وعمر وعثمان وغيرهم بالشهادة .

* وفي المسند وغيره : عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها الحسين عن النبي ﷺ أنه قال : « ما من مسلم يصاب بمصيبة فيذكر مصيبتة ، وإن قَدُمْتُ ، فَيُحَدِّثُ لها استرجاعاً^(١) ، إلا أعطاه الله من الأجر مثل أجره يوم أصيب بها » .

فهذا الحديث رواه الحسين ، وعنه بنته فاطمة التي شهدت مصرعه .
وقد علم الله أن مصيبتة تذكر على طول الزمان .

* فالمشروع إذا ذكرت المصيبة وأمثالها أن يقال : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ « اللهم أجرنا في مصيبتنا واخلف لنا خيراً منها » . قال تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ . الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ قال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ .

* والكلام في أحوال الملوك على سبيل التفصيل : متعسر أو متعذر ، لكن يُعلم من حيث الجملة ، وهم أنهم هم وغيرهم من الناس ممن له حسنات وسيئات يدخلون بها في نصوص الوعد^(٢) ، أو نصوص الوعيد^(٣) .

* وتناول نصوص الوعد للشخص مشروط بأن يكون عمله خالصاً لوجه

(١) الإسترجاع : أن يقول عند نزول المصيبة (إنا لله وإنا إليه راجعون) وقد قال ﷺ : - « ليسترجع أحدكم في كل شيء حتى في شسع نعله فإنها من المصائب » رواه ابن السني في عمل (اليوم والليلة) رقم ٣٥٤ وفي سننه يحيى بن عبد الله التيمي لم يوثقه غير ابن حبان وباقي رجاله ثقات .

وقال تعالى : - (وبشر الصابرين ، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون) البقرة (١٥٥/٢) و (١٥٦/٢)

(٢) ، (٣) وعد : وأوعد يقال في الخير والشر أما الوعيد والإيعاد ففي الشر . راجع المختار ص ٧٢٨ بتصرف .

الله ، موافقاً للسنة ^(١) . فإن النبي ﷺ قيل له : « الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاتل حمية ، ويقاتل رياء ، فأبي ذلك في سبيل الله ؟ فقال : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ، فهو في سبيل الله » .

* وكذلك شمول نصوص الوعيد له مشروط بأن لا يكون متبأولاً وتأويلاً مخطئاً . فإن الله عفا لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان .

* وكثير من تأويلات المتقدمين وما يعرض لها فيها من الشبهات معروفة بما يحصل بها من الهوى والشهوات ؛ فيأتون ما يأتونه بشبهة وشهوة .

* والسيئات التي يرتكبها أهل الذنوب تزول بالتوبة ، وقد تزول بحسنات ماحية ، ومصائب مكفرة . وقد تزول بصلاة المسلمين عليه ، وبشفاعة النبي ﷺ يوم القيامة في أهل الكبائر ^(٢) . فلهذا كان أهل العلم يختارون فيمن عرف بالظلم ونحوه مع أنه مسلم له أعمال صالحة في الظاهر - كالحجاج وأمثاله - لأنهم لا يلعنون أحداً بعينه ، بل يقولون كما قال الله تعالى : ﴿ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ ^(٣) فيلعنون من لعنه الله ورسوله عامه ، كقوله ﷺ : « لعن الله الخمر وعاصرها ومعتصرها ، وبائعها ، ومشتريها ، وساقيتها وشاربها ، وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها » ولا يلعنون المعين .

كما ثبت في صحيح البخاري وغيره : « أن رجلاً - كان يدعى حمراً - وكان يشرب الخمر ، وكان النبي ﷺ يجلد ، فأق به مرة ، فلعنه رجل ، فقال النبي ﷺ : « لا تلعه . فإنه يحب الله ورسوله » .

* وذلك لأن اللعنة من باب الوعيد ، والوعيد العام قد ينتفي في حق

(١) وقد كرر شيخ الإسلام ابن تيمية في أكثر من موضع في مصنفاته القيمة الكثيرة أن الله لا يقبل عملاً ما لم يتوفر فيه شيان : الأول : أن يكون خالصاً لوجه الله تعالى الثاني : أن يكون صواباً أي على السنة خالياً من البدع والضلالات . رحمه الله ابن تيمية .

(٢) وفي الحديث الصحيح يقول النبي ﷺ : - « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي » .

(٣) هود (١١/١٨)

المعيّن لأحد الأسباب المذكورة ، من توبة ، أو حسنات ماحية ، أو مصائب مكفرة ، أو شفاعة مقبولة . وغير ذلك .

* وطائفة من العلماء يلعنون المعين ، وطائفة بإزاء هؤلاء يقولون : بل نحبه ، لما فيه من الإيمان يُوالي عليه ، إذ ليس كافراً .

* والمختار عند الأئمة : أنا لا نلعن معيناً ، ولا نحب معينا ، فإن العبد قد يكون فيه سبب هذا وسبب هذا إذا اجتمع فيه من حب الأمرين .

* إذ كان من أصول أهل السنة ، التي فارقوا بها الخوارج ^(١) والمعتزلة ^(٢) والمرجئة ^(٣) : أن الشخص الواحد تجتمع فيه حسنات وسيئات ، فيثاب على حسناته ، ويعاقب على سيئاته . ويحمد على حسناته ، ويذم على سيئاته . وأنه من وجه : مَرَضَى محبوب ، ومن وجه : بغيض مسخوط ، فلذا كان لأهل الأحداث : هذا الحكم .

* وأما أهل التأويل المحض ، الذي يسوخ تأويلها : فأولئك مجتهدون مخطئون خطؤهم مغفور لهم . وهم متابون على ما أحسنوا فيه من حسن قصدهم واجتهادهم في طلب الحق واتّباعه . كما قال النبي ﷺ : « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران . وإذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر » .

* ولهذا كان الكلام في السابقين الأولين ومن شهد له بالجنة ، كعثمان وعليّ وطلحة والزبير ونحوهم : له حكم آخر ، بل ومن هودون هؤلاء ، مثل أكابر أهل الحديبية الذين بايعوا تحت الشجرة . وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة . .

* وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : « لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة » .

(١) راجع الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢٤

(٢) المرجع السابق ص ٢٤ .

(٣) السابق ص ٢٥ .

* فهؤلاء ونحوهم فيما شجر بينهم : إما أن يكون عمل أحدهم سعيًا مشكوراً أو ذنباً مغفوراً ، أو اجتهداً قد عُفي لصاحبه عن الخطأ فيه ، فلهذا كان من أصول أهل العلم : أنه لا يَكُنُّ أحد من الكلام في هؤلاء بكلام يقدح في عدالتهم وديانتهم ، بل يعلم أنهم عدول مرضيون ، رضي الله عنهم وأرضاهم - لا سيما والمنقول عنهم من العظائم كذب مفترى ، مثلما كان طائفة من شيعة عثمان يتهمون علياً بأنه أمر بقتل عثمان ، أو أعان عليه ، وكان بعض من يقاتله يظنُّ ذلك فيه ، وكان ذلك من شبههم التي قاتلوه بها وهي شبهة باطلة . وكان عليٌّ يحلف - وهو الصادق البار - : « إني ما قتلت عثمان ، ولا أعنت على قتله » ويقول « اللهم شتت قتلة عثمان في البر والبحر والسهل والجبل » وكانوا يجعلون امتناعه من تسليم قتله عثمان من شبههم في قتاله . وعليٌّ لم يكن متمكناً من أن يعمل كل ما يريده من إقامة الحدود ، ونحو ذلك ، لكون الناس مختلفين ملتاث أمرهم ، وعسكره وأمراء عسكره غير مطيعين له في كل ما كان يأمرهم به . فإن التفرق والاختلاف يقوم فيه من الشر والفساد وتعطيل الأحكام ما يعلمه من يكون من العلم العاوفين بما جاء من النصوص في فضل الجماعة والإسلام .

* ويزيد بن معاوية : قد أتى أموراً منكراً منها : وقعة الحرة ، وقد جاء في الصحيح عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « المدينة حرم ما بين عاثر إلى كذا . من أحدث فيها حدثاً ، أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً » وقال « من أراد أهل المدينة بسوء أماعه الله كما ينماع الملح في الماء » .

* ولهذا قيل للإمام أحمد : أكتتب الحديث عن يزيد ؟ فقال : لا ، ولا كرامة أو ليس هو الذي فعل بأهل الحرة ما فعل ؟ .

وقيل له : إن قوماً يقولون : إنا نحب يزيد : فقال : وهل يحب يزيد أحد يؤمن بالله واليوم الآخر ؟ ف قيل : فلماذا لا تل عنه ؟ فقال : ومتى رأيت أباك يلعن أحداً . انتهى .

* ومذهب أهل السنة والجماعة : أنهم لا يكفرون أهل القبلة بمجرد الذنوب ، ولا بمجرد التأويل ، بل الشخص الواحد إذا كانت له حسنات وسيئات : فأمره إلى الله تعالى .

* وهذا الذي ذكرناه : هو المتفق عليه بين الناس في مقتله رضي الله عنه .

* وقد رويت زيادات : بعضها صحيح ، وبعضها ضعيف ، وبعضها كذب موضوع .

* والمصنفون من أهل الحديث في ذلك - كالبغي ، وابن أبي الدنيا ، ونحوهما : كالمصنفين من أهل الحديث في سائر المنقولات هم في ذلك أعلم وأصدق بلا نزاع بين أهل العلم . لأنهم يسندون ما ينقلونه عن الثقات ، أو يرسلونه ممن يكون مرسله مقارب الصحة ؛ بخلاف الإخباريين ؛ فإن كثيراً مما يسندونه : يسندونه عن كذاب أو مجهول . أما ما يرسلونه : فظلمات بعضها فوق بعض ، وهؤلاء لعمري ممن ينقل عن غيره مسنداً أو مرسلًا .

* وأما أهل الأهواء ونحوهم : فيعتمدون على نقل لا يعرف له قائل أصلاً ، لا ثقة ولا ضعيف ، وأهون شيء عندهم الكذب المختلق ، وأعلم من فيهم لا يرجع فيما ينقله إلى عمدة ، بل إلى سماعات عن المجاهيل والكذابين ، وروايات عن أهل الإفك المبين .

* فقد ثبت أن القصة التي يذكرون فيها حمل الرأس إلى يزيد ، ونكته بالقضيب : كذبوا فيها : وإن كان الحمل إلى ابن زياد - وهو الناكث بالقضيب - ولم ينقل بإسناد معروف أن الرأس حمل إلى قدام يزيد .

* ولم أر في ذلك إلا إسناداً منقطعاً ؛ قد عارضه من الروايات ما هو أثبت منها وأظهر - نقلوا فيها : أن يزيد لما بلغه مقتل الحسين أظهر التألم^(١) من ذلك .

(١) وقال في ذلك الإمام محمد بن حنبل الطبري : -
» ... فدمعت عين يزيد وقال : قد كنت أرضى من طاعتكم بدون مقتل الحسين ، لعن الله =

وقال : لعن الله أهل العراق ، لقد كنت أَرْضى من طاعتهم بدون هذا .

* وقال في ابن زياد : أما إنه لو كان بينه وبين الحسين رحم لما قتله (٢) ، وأنه ظهر في داره الندب لقتل الحسين ، وأنه لما قدم عليه أهله وتلاقي النساء تباكين ، وأنه خير ابنه علياً بين المقام عنده والسفر إلى المدينة ، فأختار السفر إلى المدينة فجهّزه إلى المدينة جهازاً حسناً .

* فهذا ونحوه مما نقلوه بالأسانيد التي هي أصح وأثبت من ذلك الإسناد المنقطع المجهول : يبين أن يزيد لم يظهر الرضى بقتل الحسين ، وأنه أظهر الألم لقتله . والله أعلم بسريره .

* وقد علم أنه لم يأمر بقتله ابتداء ، لكنه مع ذلك ما انتقم من قاتليه ، ولا عاقبهم على ما فعلوا ، إذ كانوا قتلوه لحفظ ملكه ، ولو قام بالواجب في الحسين وأهل البيت رضي الله عنهم أجمعين ، ولم يظهر له من العدل وحسن السيرة ما يوجب حمل أمره على أحسن المحامل ، ولا نقل أحد أنه كان على أسوأ الطرائق التي توجب الحد ، ولكن ظهر من أمره في أهل الحرّة ما لا نستريب أنه عدوان محرم وكان له موقف في القسطنطينية - وهو أول جيش غزاها - ما يعد من الحسنات .

* والمقصود هنا : أن نقل رأس الحسين إلى الشام لا أصل له في زمن يزيد ، فكيف بنقله بعد زمن يزيد ؟ وإنما الثابت : هو نقله إلى أمير العراق عبيد الله بن زياد بالكوفة ، والذي ذكر العلماء ، أنه دفن بالمدينة .

= ابن سمية ، أما والله لو أني صاحبه لعفوت عنه ، فرحم الله الحسين « ١ . هـ .
ثم بعد ذلك يقول : - « أن يزيد بن معاوية قال لما وضعت الرؤوس بين يديه - رأس الحسين وأهل بيته وأصحابه - قال يزيد :
يفلق هاماً من رجال أعزة علينا ، وهم كانوا أعق وأظلم .
أما والله يا حسين لو أنا صاحبك ما قتلتك « ١ . هـ . تاريخ الطبري (٣٥٢ / ٤) .
(٢) قال يزيد : - « قبح الله ابن مرجانة لو كانت بينه وبينكم رحم أو قرابة ما فعل هذا بكم ، ولا بعث بكم هكذا « تاريخ الطبري (٣٥٣ / ٤)

* وأما ما يرويه من لا عقل له يميّز به ما يقول ، ولا له إلمام بمعرفة المنقول : من أن أهل البيت سُبُّوا ، وأنهم حملوا على البَخَاتي ، وأن البَخَاتي نبت لها من ذلك الوقت سنمانان : فهذا الكذب الواضح الفاضح لمن يقوله . فإن البَخَاتي لا تستر امرأة ، ولا سبى أهل البيت أحد ، ولا سبى منهن أحد . بل هذا كما يقولون : الحجاج قتلهم .

* وقد علم أهل النقل كلهم . أن الحجاج لم يقتل أحداً من بني هاشم ، كما عهد إليه خليفته عبد الملك ، وأنه لما تزوج بنت عبد الله بن جعفر : شق ذلك على بني أمية وغيرهم من قريش ، ورأوه ليس بكفء لها ، ولم يزلوا به حتى فرّقوا بينه وبينها . بل بنو مروان على الإطلاق لم يقتلوا أحداً من بني هاشم ، لا آل علي ، ولا آل عباس ، إلا زيد بن علي ^(١) المطلوب بِكَناسَةِ الكوفة ، وابنه يحيى .

* الوجه الخامس أنه لو قدر أنه مُجِلّ إلى يزيد ، فأبي غرض لهم في دفنه بعسقلان ، وكانت إذ ذاك ثغراً يقيم بها المرابطون ؟ فإن كان قصدهم تَعْفِيَة خبره فمثل عسقلان تظهره ، لكثرة من يتتابها للرباط ، وإن كان قصدهم بركة البقعة فكيف يقصد هذا من يقال : إنه عدوله مستحل لدمه ، ساعٍ في قتله ؟

* ثم من المعلوم : أنه دفنه قريباً عند أمه وأخيه بالبقيع أفضل له .

الوجه السادس أن دفنه بالبقيع : هو الذي تشهد له عادة القوم ، فإنهم كانوا في الفتن ، إذا قتل الرجل فيهم - لم يكن منهم - سلّموا رأسه وبدنه إلى أهله ، كما فعل الحجاج بابن الزبير لما قتله وصلبه ، ثم سلّمه إلى أهله .

* وقد علم أن سعي الحجاج في قتل ابن الزبير ، وأن ما كان بينه وبينه من الحروب : أعظم بكثير مما كان بين الحسين وبين خصومه ، فإن ابن الزبير ادعاه بعد مقتل الحسين ، وبايعه أكثر الناس ، وحاربه يزيد حتى مات وجيشه محاربون له بعد الحرّة .

(١) وقد خرج على هشام بن عبد الملك بن مروان لينتزع الملك والخلافة منه فقتله هشام بن عبد الملك في صفر سنة ١٢٢ هـ .

* ثم تولى عبد الملك غلبه على العراق مع الشام ، ثم بعث إليه الحجاج ابن يوسف ، فحاصره الحصار المعروف حتى قتل ، ثم صلبه ، ثم سلّمه إلى أمه .

* وقد دفن بدن الحسين في مصرعه بكربلاء ، ولم ينبش ، ولم يمثّل به ، فلم يكونوا يمتنعون من تسليم رأسه إلى أهله ، كما سلموا بدن ابن الزبير إلى أهله ، وإذا تسلم أهله رأسه ، فلم يكونوا ليَدْعُوا دفنه عندهم بالمدينة المنورة عند عمه وأمه وأخيه ، وقريباً من جده ﷺ ، ويدفنونه بالشام ، حيث لا أحد إذ ذاك ينصرهم على خصومهم ؟ بل كثير منهم كان يبغضه ويبغض أباه . هذا لا يفعله أحد .

* والقبة التي على العباس^(١) يقال : إن فيها مع العباس الحسن ، وعليّ ابن الحسين وأبا جعفر محمد بن علي وجعفر بن محمد . ويقال : إن فاطمة تحت الحائط ، أو قريباً من ذلك وأن رأس الحسين هناك أيضاً .

الوجه السابع أنه لم يعرف قط أن أحداً ، لا من السنة ، ولا من الشيعة ، كان ينتاب ناحية عسقلان لأجل رأس الحسين ، ولا يزورونه ولا يأتونه ، كما أن الناس لم يكونوا ينتابون الأماكن التي تضاف إلى الرأس في هذا الوقت ، كموضع بحلب .

* فإذا كانت تلك البقاع لم يكن الناس ينتابونها^(٢) ولا يقصدونها ، وإنما كانوا ينتابون كربلاء ، لأن البدن هناك . كان دليلاً على أن الناس فيما مضى لم يكونوا يعتقدون أن الرأس في شيء من هذه البقاع ، ولكن الذي اعتقدوه : هو وجود البدن بكربلاء ، حتى كانوا ينتابونه في زمن أحد وغيره ، حتى إن في مسأله : مسائل فيما يفعل عند قبره ، ذكرها أبو بكر الخلال في جامعه الكبير في زيارة المشاهد .

* ولم يذكر أحد من العلماء أنهم كانوا يزورون التي بالشام موضع الرأس

(١) بالقيع في المدينة .

(٢) يتابونها : يتهون إليها .

في شيء من هذه البقاع غير المدينة .

* فعلم أن ذلك لو كان حقاً لكان المتقدمون به أعلم . ولو اعتقدوا ذلك لعملوا ما جرت عادتهم بعمله ، ولأظهروا ذلك وتكلموا به ، كما تكلموا في نظائره .

* فلما لم يظهر عن المتقدمين - بقول ولا فعل - ما يدل على أن الرأس في هذه البقاع : علم أن ذلك باطل . والله أعلم .

الوجه الثامن أن يقال : ما زال أهل العلم في كل وقت وزمان يذكرون في هذا المشهد القاهري المنسوب إلى الحسين : أنه كذب ومين^(١) ، كما يذكرون ذلك في أمثاله من المشاهد المكذوبة ، مثل المشاهد المنسوبة بدمشق إلى أبي بن كعب وأويس القرني ، أو هود أو نوح أو غيرهما : والمشهد المنسوب بحرّان إلى جابر بن عبد الله^(٢) ، وبالجزيرة إلى عبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن عمر ونحوهما . وبالعراق إلى علي رضي الله عنه ونحوه ، وكذلك ما يضاف إلى الأنبياء غير قبر نبينا محمد ﷺ ، وإبراهيم الخليل عليه السلام .

* فإنه لما كان كثير من المشاهد مكذوباً مختلفاً ، كان أهل العلم في كل وقت يعلمون أن ذلك كذب مختلف ، والكتب والمصنفات المعروفة عن أهل العلم بذلك مملوءة من مثل هذا . يعرف ذلك من تتبّعه وطلبه .

* وما زال الناس في مصنفاتهم ومخاطباتهم يعلمون أن هذا المشهد القاهري من المكذوبات المختلقات ، ويذكرون ذلك في المصنفات ، حتى من سكن هذا البلد من العلماء بذلك .

فقد ذكر أبو الخطاب بن دحية في كتابه « العلم المشهور » في هذا المشهد فصلاً مع ما ذكره في مقتل الحسين من أخبار ثابتة وغير ثابتة ، ومع هذا فقد ذكر أن المشهد كذب بالإجماع ، وبين أنه نقل من عسقلان في آخر الدولة العبّيدية ،

(١) المين : بفتح الميم وسكون الياء : الكذب والافتراء .

(٢) وكذلك قبر سيدي جابر بالاسكندرية كذب مفترى روجت له طائفة من المنتفعين .

وأنه وضع لأغراض فاسدة ، وأنه بعد ذلك بقليل أزال الله تلك الدولة وعاقبها بنقيض^(١) قصدها .

* وما زال ذلك مشهوراً بين أهل العلم حتى أهل عصرنا من ساكني الديار المصرية : القاهرة ، وما حولها .

* فقد حدثني طائفة من الثقات ، عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن علي القشيري المعروف بابن دقيق العبد ، وطائفة عن الشيخ أبي محمد عبد المؤمن ابن خلف الدمياطي ، وطائفة عن الشيخ أبي محمد بن القسطلاني ، وطائفة عن الشيخ أبي عبد الله محمد القرطبي ، صاحب التفسير وشرح أسماء الله الحسني ، وطائفة عن الشيخ عبد العزيز الدريني - كل من هؤلاء حدثني عنه من لا أتهمه ، وحدثني عن بعضهم عدد كثير ، كل يحدثني عن حدثه من هؤلاء : أنه كان ينكر أمر هذا المشهد ويقول : إنه كذب ، وإنه ليس فيه الحسين ولا رأسه . والذين حدثوني عن ابن القسطلاني ذكروا عنه أنه قال : إن فيه نصرانياً ، بل القرطبي والقسطلاني ذكروا بطلان أمر هذا المشهد في مصنفاتها . وبينا فيها أنه كذب ، كما ذكره أبو الخطاب بن دحية .

* وابن دحية هو الذي بنى له الكامل دار الحديث الكاملة ، وعنه أخذ أبو عمرو ابن الصلاح ونحوه كثيراً مما أخذوه من ضبط الأسماء واللغات ، وليس الاعتماد في هذا على واحد بعينه ، بل هذا إجماع من هؤلاء .

* ومعلوم أنه لم يكن بهذه البلاد من يعتمد عليه في مثل هذا الباب أعلم وأدين^(٢) من هؤلاء ونحوهم .

* فإذا كانوا متفقين على أن هذا كذب وميّن : علم أن الله قد برّأ منه الحسين .

(١) وأصعب وأشق الأمور معاقبة الجاني بنقيض مقصوده وقد أقر الشارع هذا في ال فقه الإسلامي فإن قاتل والديه لا يورث ، إذ أنه قتل ليتعجل الميراث فعامله الشرع بنقيض مقصوده فقال لا يرث .

(٢) كذا ورد بالأصول وقصد المؤلف رحمه الله أن يقول : - أعلم وأدين أي أكثر علماً وأخلص ديناً .

* وحديثي من حديثي من الثقات : أن من هؤلاء من كان يوصي أصحابه بأن لا يظهروا ذلك عنه ؛ خوفاً من شتر العامة بهذه البلاد ، لما فيهم من الظلم والفساد . إذ كانوا في الأصل رعية للقرامطة ^(١) الباطنيين ، واستولوا عليها مائتي سنة . فزرعوا فيهم من أخلاق الزنادقة المنافقين ، وأهل الجهل المبتدعين ، وأهل الكذب الظالمين : ما لم يمكن أن ينقلع إلا بعد حين ، فإنه قد فتحها أهل الإيمان والسنة في الدولة النورية والصلاحية ، وسكنها من أهل الإسلام والسنة من سكنها ، وظهرت بها كلمة الإيمان والسنة نوعاً من الظهور ، ولكن النفاق والبدعة فيها كثير مستور ، وفي كل وقت يظهر الله فيها من الإيمان والسنة ما لم يكن مذكوراً ، ويطغى فيها من النفاق والجهل ما كان مستوراً .

* والله هو المسئول أن يظهر بسائر البلاد ما يحبه ويرضاه ، من الهدى والسداد ويعظم على عباده الخير بظهور الإسلام والسنة . ويحقق ما وعد به في القرآن من علو كلمته ، وظهور أهل الإيمان .

* وكثير من الناس قد تخلّق بأخلاق هي في الأصل من أخلاق الكفار والمنافقين وإن لم يكن بذلك من العارفين ، كما يشارك النصارى في أعيادهم ، ويعظم ما يعظمونه من الأمكنة والأزمنة والأعمال . وهو لا يقصد بذلك تعظيم الكفر ، بل ولا يعرف أن ذلك من خصائصهم ، فإذا عرف ذلك انتهى عنه وتاب منه .

* وكذلك كثير من الناس تخلّقوا من أخلاق أهل النفاق بأمور ، لا يعرف أنها من أخلاق المنافقين ، وإذا عرف ذلك كان إلى الله من التائبين . والله يتوب علينا وعلى جميع المذنبين .

وهذا كله كلام في بطلان ذلك ، وفي كذبه .

* ثم نقول : سواء كان صحيحاً أو كذباً ، فإن بناء المساجد على المقابر ليس من دين المسلمين ، بل هو منهي عنه بالنصوص الثابتة عن النبي ﷺ واتفاق أئمة الدين ، بل لا يجوز اتخاذ القبور مساجد ، سواء كان ذلك ببناء

(١) ولا تزال أرض القرامطة حتى الآن موجودة في بني عبيد ، وهي من أعمال مديرية الدقهلية من القطر المصري .

المسجد عليها ، أو بقصد الصلاة عندها ، بل أئمة الدين متفقون على النهي عن ذلك ، وأنه ليس لأحد أن يقصد الصلاة عند قبر أحد ، لاني ولا غير نبي ، وكل من قال : إن قصد الصلاة عند قبر أحد ، أو عند مسجد بني (١) على قبر أو مشهّد ، أو غير ذلك : أمر مشروع ، بحيث يستحب ذلك ويكون أفضل من الصلاة في المسجد الذي لا قبر فيه : فقد مرق من الدين ، وخالف إجماع المسلمين . والواجب أن يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل .

* بل ليس لأحد أن يصلي في المساجد التي على القبور (٢) ، ولو لم يقصد الصلاة عندها ، فلا يفعل ذلك لا اتفاقاً ولا ابتغاء ، لما في ذلك من التشبه بهم ، والذريعة إلى الشرك ، ووجوب التنبيه عليه وعلى غيره ، كما قد نص على ذلك أئمة الإسلام من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم . منهم من صرح

(١) كذا بالأصل والأصح (نبي) وهو تصحيف .

(٢) ولما كان مرض النبي ﷺ تذاكر بعض نسائه كنيسة بأرض الحبشة يقال لها مارية - وقد كانت أم سلمة وأم حبيبة قد أتتا أرض الحبشة - فذكرن من حسناتها وتصاويرها قالت : فرفع النبي ﷺ رأسه فقال : - « أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ثم صوروا تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة » والحديث رواه البخاري (٤١٦/١) ، (٤٢٢) ومسلم (٦٦/٢) والنسائي (١١٥/١) : وأحمد (٥١/٦) وابن سعد في طبقاته (٢/٢٤٠) ، (٢٤١) .

وقال الحافظ بن رجب في فتح الباري (٢/٨٢/٦٥) :

« وهذا الحديث يدل على تحريم بناء المساجد على قبور الصالحين وتصوير صورهم فيها كما يفعله اليهود والنصارى ولا ريب أن كل واحد منها محرم على انفراده » ا . هـ .
ومن حديث آخر عن جندب بن عبد الله البجلي أنه سمع النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول : -

« قد كان لي فيكم إخوة وأصدقاء ، وإني أبرأ - أنكر - إلى الله أن يكون لي فيكم خليل ، وإن الله عز وجل قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ، ولو كنت متخذاً من أمي خليلاً لا تتخذت أبا بكر خليلاً ، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك » رواه مسلم (٦٧/٢ - ٦٨) وأبو عوانه (٤٠١/١) والطبراني في معجمه الكبير (٢/٨٤/١) كذلك رواه ابن سعد (٣٤٠/٢) مختصراً دون ذكر الأخوة واتخاذ الخليل .

ولكن الحافظ نور الدين الهيثمي ضعفه في مجمع الزوائد (٤٥/٩)
وقد كان من دعائه ﷺ : - « اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد ، لمن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »

بالتحريم^(٣) . ومنهم من أطلق الكراهة . وليست هذه المسألة عندهم مسألة الصلاة في المقبرة العامة . فإن تلك منهم من يعلل النهي عنها بنجاسة التراب ، ومنهم من يعلله بالتشبه بالمشركين .

* وأما المساجد المبنية على القبور . فقد كرهوه ، معللين بخوف الفتنة^(٢) بتعظيم المخلوق ، كما ذكر ذلك الشافعي وغيره من سائر أئمة المسلمين .

* وقد نهى النبي ﷺ عن الصلاة عند طلوع الشمس ، وعند غروبها ، وقال « إنه حينئذ يسجد لها الكفار » فنهى عن ذلك ، لما فيه من المشابهة لهم ، وإن لم يقصد السجود إلا للواحد المعبود^(٣) .

= رواه أحمد رقم (٧٣٥٢) وابن سعد (٢/٢٤١ ، ٢٤٢) وأبو نعيم في الحلية (٣١٧/٧) بسند صحيح .

(١) وقد ذهب الشافعية إلى أنه كبيرة فقد قال الهيثمي في الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/١٢٠) : - « الكبيرة الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة والتاسعة اتخاذ القبور مساجد وإيقاد السرج عليها ، واتخاذها أوثاناً والطواف بها واستلامها والصلاة إليها » وعقب على ذلك الإمام محمود الألوسي بقوله : - (وهذا كلام يدل على فهم وفقه في الدين)

راجع روح المعاني للألوسي (٣١/٥)

أما مذهب الحنفية فهو الكراهة التحريمية ، فالكراهة عند الحنفية إنما يقصد بها التحريم يقول تلميذ أبي حنيفة الإمام محمد : -

« لا نرى أن يزداد على ما خرج من القبر ، ونكره أن يجصص أو أو يطين أو يجعل عنده مسجداً » راجع كتاب الآثار ص ٤٥ .

أما المالكية فمذهبهم التحريم : يقول القرطبي رحمه الله : - « قال علماؤنا : وهذا يحرم على المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والعلماء مساجد » الجامع لأحكام القرآن (٣٨/١٠) ط . دار الكتب المصرية .

أما مذهب إمام أهل السنة أحمد بن حنبل فهو التحريم : يقول ابن القيم : - « . . . وعلى هذا فيهدم المسجد إذا بني على قبر كما ينش الميت إذا دفن في المسجد ، نص على ذلك الإمام أحمد وغيره فلا يجتمع في دين الإسلام مسجد وقبر ، بل أيهما طراً على الآخر منع منه ، وكان الحكم للسابق ، فلو وضعنا معاً لم يجوز ولا يصح هذا الوقف ولا يجوز ، ولا تصح الصلاة في هذا المسجد لنهي رسول الله ﷺ عن ذلك ولغته من اتخذ القبر مسجداً ، أو أوقد عليه سراجاً فهذا دين الإسلام الذي بعث الله به رسوله ونبيه وغرخته بين الناس كما ترى ! »

راجع زاد المعاد لابن القيم (٣/٢٢) ط . الكردي

(٤) وهذا من قبيل سد الذرائع . راجع تفسير القرطبي (٥٧/٢) والموافقات للشاطبي (٢/٢٤١) -

٢٥٣ و (٤/١٢٢) وإعلام الموقعين لابن القيم (٣/١٣٦) .

(٣) ولذلك فنحن في صلاة الجنازة لا نسجد ولكن نصلي قياماً أو قائمين والحكمة في ذلك أي في خلوه =

فكيف بالصلاة في المساجد التي على القبور؟

وهذه المسألة قد بسطناها في غير هذا الجواب .

* وإنما كان المقصود : تحقيق مكان رأس الحسين رضي الله عنه ، وبيان أن الأمكنة المشهورة عند الناس بمصر والشام : أنها مشهد الحسين ، وأن فيها رأسه فهي كذب واختلاق ، وإفك وبهتان . والله أعلم .

= صلاة الجنائز من السجود إنما لسد ذريعة السجود لغير الله ، حتى لا يُظَنُّ السجود لغير الله . فتأمل عزيزي القارئ عافاك الله وجعلنا وإياك من المقربين تدبر وتأمل دقة التشريع في سد الذريعة . . . ١١

مراجع

القرآن الكريم

- ١ - الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ط. مصر سنة ١٩٣٩ م .
- ٢ - الإعلام للزركلي ط. العربية بمصر سنة ١٣٤٧ هـ .
- ٣ - البداية والنهاية لابن كثير ط. مصر سنة ١٣٥٨ هـ . وط. دار الفكر العربي بدون تاريخ .
- ٤ - بلوغ الأدب في معرفة أحوال العرب لمحمود شكري الألوسي ط. ثانية بمصر سنة ١٩٢٤ .
- ٥ - البيان والتبيين للجاحظ بتحقيق عبد السلام هارون ط. لجنة التأليف سنة ١٣٦٩ هـ .
- ٦ - تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري ط. مصر سنة ١٢٨٢ هـ .
- ٧ - تاريخ آداب العرب للرافعي ط. مصر سنة ١٣٣٢ هـ .
- ٨ - تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري ط. الاستقامة بمصر سنة ١٩٣٩ م . وط. الأعلمي ببيروت ١٩٨٣ م . [الأصل]
- ٩ - تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد لمحمد ناصر الدين الألباني ط. السلفية بمصر بدون تاريخ .
- ١٠ - تذكرة الحفاظ للذهبي ط. حيدر اباد سنة ١٣٣٤ هـ .
- ١١ - التذكرة في أحوال الموق وأموال الآخرة للقرطبي بتحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا ط. العلمية بيروت سنة ١٩٨٢ م .

- ١٢ - تفسير المنار لمحمد رشيد رضا .
- ١٣ - تفسير الطبري .
- ١٤ - تفسير القرطبي .
- ١٥ - تفسير ابن كثير ومختصر ابن كثير للصابوني .
- ١٦ - تهذيب ابن عساكر ط. دمشق سنة ١٣٥١هـ .
- ١٧ - تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ط. حيدر اباد الدكن سنة ١٣٢٧هـ .
- ١٨ - الجامع الصغير للسيوطي ط. العلمية سنة ١٩٥٤م .
- ١٩ - جهرة أشعار العرب لابن أبي الخطاب ط. مصر سنة ١٣٠٨هـ .
- ٢٠ - جهرة أنساب العرب لابن حزم ط. مصر سنة ١٩٤٨م .
- ٢١ - حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ط. مصر سنة ١٣٥١هـ .
- ٢٢ - حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور لابن كفري بردى ط. بروكلي كليفورنيا سنة ١٩٣٠م .
- ٢٣ - خطط الشام لمحمد كرد علي ط. دمشق سنة ١٣٤٧هـ .
- ٢٤ - دائرة المعارف الإسلامية . ط. مصر سنة ١٩٥٧م .
- ٢٥ - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثانية لابن حجر العسقلاني ط. حيدر اباد سنة ١٩٥٠م .
- ٢٦ - زاد المعاد لابن قيم الجوزية مؤسسة الرسالة ط سنة ١٩٨١م .
- ٢٧ - صفة الصفوة لابن الجوزي ط. حيدر اباد سنة ١٣٥٥هـ .
- ٢٨ - صفوة التفاسير للشيخ الصابوني سنة ١٣٩٩هـ .
- ٢٩ - الطبقات الكبرى لابن سعد ، دار صار بيروت بدون .
- ٣٠ - العقد الفريد لابن عبد ربه بتحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الإيباري ط. دار الكتاب العربي سنة ١٩٨٢م .
- ٣١ - العواصم من القواصم للقاضي ابن العربي بتحقيق محي الدين الخطيب .
- ٣٢ - فتوح البلدان للبلاذري ط. مصر سنة ١٣١٩هـ .
- ٣٣ - الفرق بين الفرق للبغدادى بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ط. دار المعرفة - لبنان بدون تاريخ .
- ٣٤ - الفصل في الملل والنحل لابن حزم ط. مصر سنة ١٣٢١هـ .
- ٣٥ - فوات السوفيات لابن شاکر الکبتی ط. مصر سنة ١٢٩٩هـ .

- ٣٦ - الكامل لابن الأثير ط. مصر سنة ١٣٠٣هـ .
٣٧ - كشف الخفا للعجلوني دار التراث بمصر بدون تاريخ .
٣٨ - الكشف للزخشري .
٣٩ - كشف الظنون ط. استنبول سنة ١٩٤١ م .
٤٠ - لسان العرب لابن منظور ط. بولاق بمصر سنة ١٣٠٨هـ .
٤١ - لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ط. حيدر اباد سنة ١٣٣١هـ .
٤٢ - مختار الصحاح للرازي بتحقيق محسود خاطر ط. دارالمعارف بمصر سنة ١٩١٦ .
٤٣ - مروج الذهب للمسعودي ط. باريس سنة ١٩٣٠ م . وط. دار المعرفة .
٤٤ - الملل والنحل للشهرستاني - هامش الفصل لابن جزم سنة ١٣٢٠هـ .
٤٥ - الوافي بالوفيات للصفدي ط. استنبول سنة ١٩٣١ م .
٤٦ - وفيات الأعيان لابن خلكان ط. مصر سنة ١٣١٠هـ .

الفهرس

٥	اهداء
٧	دعاء
٩	تقديم
٢١	رأينا الخاص في هذه القضية
٢٥	الإمام الطبري
٢٩	خلافة يزيد بن معاوية
	ذكر الخبر عن مراسلة الكوفيين الحسين عليه السلام للمصير وأمر
٣٩	مسلم بني عقيل رضي الله عنه
٧٣	ذكر الخبر عن مسيره اليها وما كان من أمره في مسيره ذلك
٨١	رجع الحديث الى حديث عمار الدهني عن ابي جعفر
	ثم دخلت سنة إحدى وستين وذكر الخبر عما كان فيها
٩٣	من الأحداث
	ذكر اسماء من قتل من بني هاشم مع الحسين عليه السلام وعدد
١٥٩	من قتل من كل قبيلة من القبائل التي قاتلته
١٦٣	ذكر سبب قتله
	ثم دخلت سنة اثنتين وستين وذكر الخبر عما كان في هذه السنة
	من الاحداث فمن ذلك مقدم وفد أهل المدينة على يزيد بن معاوية
١٧١	ذكر الخبر عن سبب مقدمهم عليه

١٧٣ رأس الحسين رضي الله عنه
	الامام تقي الدين ابي العباس احمد بن عبد الحلیم ابن تیمیة
١٧٥ الحراڤي الدمشقي المتوفي سنة ٧٢٨ هـ
١٧٩ عملنا في هذا الكتاب
١٨١ بسم الله الرحمن الرحيم
١٨٣ الجواب بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله
١٩٥ فصل
٢١٧ مراجع

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٨/١٧٣٠

هنا الكتاب

الحسين بن علي ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قتله جرحاً
خائراً في كبد الإسلام ، وثلاثة لا تسد ، وفتق لا يرتق ، وشق لا تحوصه الأيام
والزمان .

ولعل ما أورده المؤرخون - وهم أهل جهالة بحرمت الدين - يجعلنا في
ارتياب من المتحاملين بعواطف رعاء أو المتعاطفين بغير علم ويقين مما زج
بالكثير من الأحاديث الموضوعة التي رُوج لها المفرطون في تقديس النفاق فأضاعوا
الحقائق وشعبوها .

ونخير من تحدث في هذا الموضوع هو الإمام الطبري وهو مؤرخ الإسلام
بالإجماع وقد حقق تلك الروايات بالاستناد إلى كتب التاريخ التي تحدثت عن تلك
الفترة المفكر الدكتور السيد الجميلي فاستبعد الموضوع بل أشار إليه وإلى
الضعيف وأبان القوي وعلق على آراء المؤلف ، وناقش معه الرأي والحجة
والدليل فكان الكتاب لذلك مرجعاً فريداً في موضوعه حجة في قضيه .

المنشور